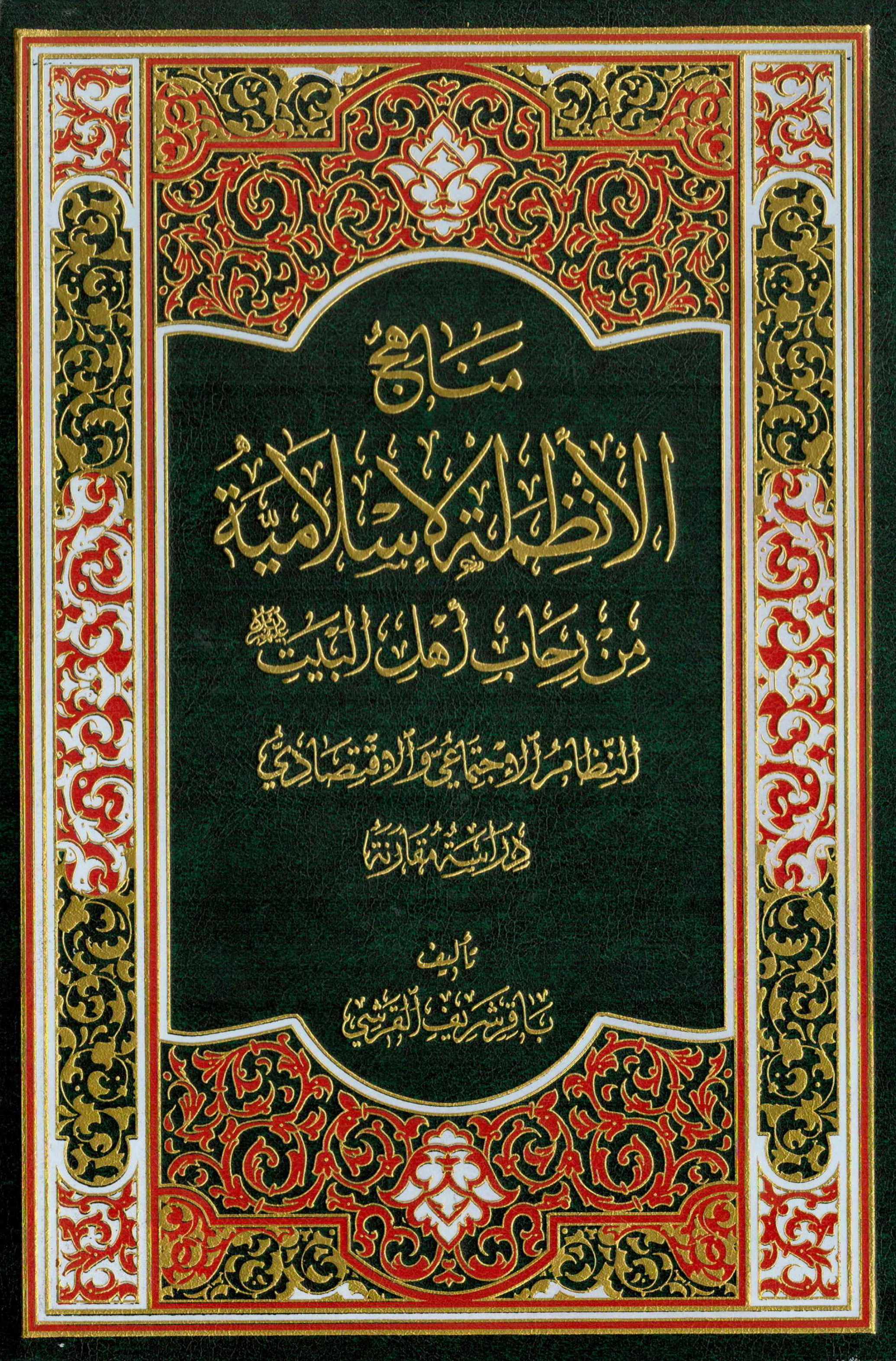

مناهج
الأنظمة الإسلامية
من رحاب أهل البيت عليهم السلام
النظام الاجتماعي والاقتصادي
دراسة مقارنة
تأليف
باقر شريف القرشي



الجزء الخامس

النظام الاجتماعي والاقتصادي

دراسة مقارنة

تأليف

باقر شريف القرشي



النظام الاجتماعي والاقتصادي في الإسلام

تأليف : باقر شريف القرشي

الناشر : .... الرافد

المطبعة : .... ستارة

الطبعة الأولى : ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

عدد النسخ : .... ١٠٠٠ نسخة

ISBN 978 _600 _ 5688 _ 06 _ 1

ردمك : ١ ـ ٠٦ ـ ٥٦٨٨ ـ ٦٠٠ ـ ٩٧٨

الإهداء

إلى الذين يسعون جاهدين لإيجاد مجتمع سليم، تتوفّر فيه عناصر التطوّر والازدهار، أرفع إليهم ما قدّمه الإسلام من الطاقات النديّة الخلّاقة في ميادين الإصلاح الاجتماعي، راجياً أن يحظى منهم بالقبول.

المؤلّف



﴿ إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾

الأنبياء ٢١: ٩٢

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ
فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

الحجرات ٤٩: ١٠


بسم الله الرحمن الرحيم

النظام الاجتماعي والاقتصادي
في الإسلام

تقديم

١

النظام الاجتماعي ضرورة ملحّة من ضروريّات الحياة الإنسانيّة ، لا تستقيم من دونه ولا تستقرّ بغيره. لقد طبع الإنسان على إيجاد نظام يوجّه سلوكه مهما كان ذلك النظام[١].

وبه يمتاز الإنسان عن الحيوان السائم الذي لا يملك إلّا الغرائز التي يسير عليها من الاحساس بالجوع والعطش ، وقضايا الجنس.

ومن الطبيعي أنّ هذه الحاجات الفيسيولوجيّة تعمّ جميع أنواع الحيوانات ، إلّا أنّ الإنسان يمتاز عنها ، فقد وهبه الله العقل الجبّار ـ الذي هو من دون شكّ ـ من أعظم مخلوقات الله ، ومن أكثرها إبداعاً ، فهو الذي يقود مسيرة الإنسان في جميع مراحل حياته ، وليس وراء قيادته قيادة أُخرى.

٢

واجتاز الإنسان في العصور الأُولى من نشأته وتكوينه مراحل قاسية ، وفترات سوداء قاتمة ، فلم تكن له أنظمة صحيحة ، ولا مناهج مستقيمة ، قد خضع لشريعة الغاب ، فالقويّ يتحكّم في الضعيف ، يستبدّ في شؤونه ، قد أغلقت نوافذ المعرفة ،

---

(١) المجتمع لمؤلّفه ارماكيفر شالربيج : ١٦.

وساد الجهل ، وعمّت الفوضى جميع مراحل الحياة .

وقد أشار القرآن الكريم إلى الحالة الراهنة التي كان يعيشها الناس . قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾[١] .

وهل في فاتحة الآية الكريمة بمعنى (قد) ، يعني قد أتى على الإنسان حين وأمد من الزمن لم يكن شيئاً مذكوراً[٢] .

لقد كان حاله حال الحيوان السائم في سلوكه واتّجاهاته ، فقد عاش ملايين السنين عيشة هزيلة ومهانة ، يرى البرق ، ويسمع الرعد فيرتجف فرقاً ، لا يعرف السرّ وراء هذه الأشياء ، وكان ظلام الغابة ، وعويل الرياح ، وحفيف الأشجار يفزعه ، ويخيّل إليه أنّ هناك أجساماً شريرة تريد أن تفتك به[٣] .

وقد أطلق روسو لقب المتوحّشين النبلاء على تلك الجموع البشريّة التي عاشت في تلك العصور[٤] .

٣

وكان من لطف الله تعالى ورحمته وفيضه على عباده أن بعث إليهم أنبياءه العظام لإصلاح شؤونهم ، وتدبير أُمورهم ، وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى واحات المعرفة والنور ، فأقاموا لهم المناهج السليمة لتنظيم حياتهم ، وأناروا لهم الطريق بعدما كانوا يتلبّدون في متاهات سحيقة مظلمة من مجاهل هذه الحياة .

---

(١) الإنسان ٧٦: ١٩.

(٢) فيما أحسب أنّ المراد من تفسير الآية هو ما ذكرناه ، ولكنّ المفسّرين ذكروا شيئاً آخر .

(٣) في النفس والمجتمع : ١٤.

(٤) المفتتح في علم المجتمع لمحمّد نبيل جامع : الصفحة «ب» .

ومن المؤسف أنّ الذين أُوتوا العلم من تلك الأمم قد اختلفوا فيما بينهم، وتباغضوا حسداً، وطلباً للجاه والمال، فغيّروا وبدّلوا أحكام الله تعالى، فأضلّوا الطريق على أُممهم، وحرموهم من تعاليم أنبيائهم، وأعادوا الظلام إلى الحياة.

وقد أعلن القرآن الكريم هذه الظاهرة، قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾[١].

إنّ الاختلاف الواقع بين أهل الكتاب لم يكن نتيجة جهلهم بكتاب الله تعالى، أو جهلهم بسنن أُحكامه، وإنّما وقع نتيجة الغيّ فيما بينهم، تهالكاً منهم على الدنيا، غير حافلين بما جرّوه على أُممهم من الضلال والجهل.

٤

وكان من بين الأنظمة السماويّة الديانة المسيحيّة التي اعتراها التحريف والتغيير والتبديل من قِبل القساوسة ورجال الكنيسة، فقد ربطت الدين كلّه بإرادة الكنيسة، حسب ما نصّ عليه «إنجيل متّى» بقوله:

«في كلّ ما تربطونه في الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكلّ ما تحلّونه على الأرض يكون محلولاً في السماء»[٢].

والكنيسة تحلّل وتحرّم حسب رغباتها وميولها، وما تمليه عليها السلطة، فقد حرمت الكنيسة الانكليزيّة الزواج على رجال الدين، كما أباحت اللواط، وغير ذلك من مساوئ التشريع.

وقد دعت الديانة المسيحيّة إلى الزهد والقناعة، ونبذ ملاذ الحياة، وكان ذلك من عناصرها المشهورة، كما دعت إلى الذلّة والمسكنة.

---

(١) آل عمران ٣: ١٩.

(٢) الإصحاح ١٨: الفقرة ١٨.

ومن المؤكّد أنّ هذه البنود من تشريعات الكنيسة لا تصلح بأي حال إلى الحياة المتطوّرة والمتجدّدة، فإنّ الإنسان بحسب مقوّماته وسيكولوجيته، لا يرتضي حياة الزهد والقناعة، فهو يناضل ويسعى جاهداً للظفر بملاذ الحياة ورفاهيّتها، كما لا يرضى بأي حال حياة الذلّ والمسكنة، فإنّهما يتجافيان مع كرامته وعزّته.

وكانت هذه الظاهرة المؤسفة سائدة في البلاد الخاضعة للحكم المسيحي، فكان معظم أبنائها عبيداً للسادة والأشراف، وكان سكّان القرى يباعون تبعاً للقرى، ولم ينكر القساوسة ورجال الكنيسة ذلك، ممّا أوجد شيوع الكراهية لهم في الأوساط المسيحيّة، ونقمتهم على دينهم، وكانت روسيا خاضعة لهذا النظام القاسي، فرفضته واحتضنت مبادئ لينين وكارل ماركس، إلّا أنّها فرّت من ظلم إلى ظلم آخر هو أقسى وأشدّ محنة وبلاءً عليها ممّا كانت فيه، ولكنّها انطلقت كالمارد الجبّار، فحطّمت القيود والأغلال، وتخلّصت من النظام الشيوعي.

٥

أمّا ما قنّن في الشريعة الموسويّة، فهو على العكس والنقيض ممّا شرّع في الديانة المسيحيّة، فإنّه يدعو إلى التهالك على المادّة، والسيطرة على المال بأيّ وسيلة وبأيّ طريق مهما كان ملتوياً وشاذّاً.

لقد آمنت الصهيونيّة العالميّة التي هي الوجه الحقيقي لليهود بالاستغلال والاحتكار، ونهب ثروات الشعوب واستعبادها.

ومن الطبيعي أنّ الدعوة إلى المادّة بهذا الشكل المنحرف يتصادم مع نواميس الحياة، ومع الفطرة الإنسانيّة، فإنّ الإنسان كما يقول أريك فروم: «روحاني بحسب خلقته».

لقد زعم اليهود أنّهم شعب الله المختار، ولكنّ هذه الدعوى بعيدة كلّ البعد عن سلوكهم وما يحملونه من روح الحرب والبطش وسفك الدماء، وقد تغلّبت عليهم

منذ فجر تاريخهم روح الوثنيّة ، فهم الذين عبدوا العجل الذهبي في صحراء سيناء ، وهم الذين شرّدوا الشعب الفلسطيني عن وطنه ، واقترفوا بحقّه أبشع الجرائم وجرّعوه أقسى المحن والخطوب .

٦

وظهرت على مسرح الحياة العامّة في هذه العصور بعض الأنظمة الاجتماعيّة التي كان منها النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي المنهار ، وليس في هذين النظامين بصورة جازمة أيّة نظرة لقضايا الروح ، وتهذيب الأخلاق التي يؤمن بها الإنسان بحكم فطرته ونشأته ، فلم يعن كلّ من هذين النظامين إلّا بالمادّة ، فقد سيطرت على جميع بنود تشريعاتهم ، وليس فيها أي بصيص لأحاسيس الروح ويقظة الضمير .

لقد نظرت الرأسماليّة إلى زيادة الربح الفردي وتنميته وصيانته ، وأقرّت جميع وسائل الاحتكار والاستغلال ، وآمنت إيماناً مطلقاً بنهب ثروات الشعوب ، والتحكّم في اقتصادها ، ولم تعر أي اهتمامٍ لقضايا الفكر والأخلاق ، وتنظيم المجتمع في سلوكه .

أمّا الشيوعيّة فقد نظرت إلى الإنسان بأنّه كائن بحت ، ونظرت إلى المادّة فجعلتها الكائن الحيّ في المجتمع ، وقد حوّلتها من الأفراد إلى مسار الدولة ، وجعلتها المالك الحقيقي لجميع ثروات البلاد ومقوّماتها الاقتصاديّة ، وحرمت الفرد من جميع رغباته الاقتصاديّة ، فقد حرمت الملكيّة الفرديّة لأنّها ـ فيما تزعم ـ الأداة الفعّالة في خلق البرجوازيّة في البلاد ، وتنكّرت للحريّة الفرديّة ، كما شنّت حملة شعواء على الأديان السماويّة ، وزعمت أنّ الدّين أفيون الشعوب .

إنّ من أولّيات النظام الشيوعي التحلّل المسرف من الإيمان بالله تعالى ، ورفض قواعد الأخلاق التي رسمتها الأديان السماويّة للناس ، وقد بشّرت الشيوعيّة معتنقيها بأنّها ستجعل الأرض فردوساً أعلى ، وينعم في ظلّه كلّ فرد ، إلّا أنّها باءت بالفشل

فقد خيّم الفقر والبؤس والحرمان على جميع أنحاء الاتّحاد السوفياتي الذي كان الوطن الأمّ للشيوعيّة العالميّة، وكانت دعايات الشيوعيّين سراباً، وقد انتفض الاتّحاد السوفياتي وألقى عن كاهله الشيوعيّة، وحطّم أوثانها، وتخلّص من شقائها.

وعلى أي حال، فإنّ الأنظمة الحديثة، لم تنسجم مع طبيعة الإنسان، وظلّت ثقيلة عليه، فهي حلول عرجاء لم تعالج بصورة حاسمة مشاكل الإنسان، لا الاقتصاديّة ولا الأخلاقيّة، فقد فصلت الإنسان عن نفسه وعن طبيعته.

٧

وليس معنى الحضارة والتقدّم للأمم والشعوب أنّها تملك القنابل الذرّيّة والهيدروجينيّة، ولا بما عندها من الأقمار الصناعيّة والسفن الفضائيّة، وغير ذلك من ألوان التقدّم التكنولوجي، فإنّ جميع ذلك ليس مظهراً من مظاهر الحضارة والتقدّم، وإنّما هو مظهر للقوّة، واستعباد البشر، ونهب ثروات الشعوب.

إنّ الدول الغربيّة التي تملك وسائل الدمار الشامل قد أفلست إفلاساً تامّاً من صفات الأخلاق الحميدة، فقد شاعت في ربوعها جميع ألوان الموبقات، والتي كان منها تعاطي المخدّرات، واقتراف أبشع الجرائم الجنسيّة، وتزييف المسكوكات، وخطف البشر لطلب الفدية[١].

وقد انتشرت بصورة هائلة جرائم السرقة والاعتداء على الأبرياء، وبخاصّة في مجالات الأحداث[٢].

إنّ الاحصائيّات الرسميّة، أو السجّلات الخاصّة بالمجرمين، لا تمثّل الحجم

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن: ٧، نقلاً عن تقرير أعدّه الدكتور عبدالقادر رئيس وحدة بحوث الأُسرة بالمركز القومي بالقاهرة.

(٢) التغيير الاجتماعي في البلاد العربيّة وعلاقته بالجريمة: ٥٥.

الأصلي لمرتكبي الجرائم ، فهناك جرائم مجهولة لا تكشفها جهود رجال الشرطة والضبط .

إنّ هذه الظواهر المحزنة من أقسى ألوان الكوارث الاجتماعيّة التي تدمّر الحياة العامّة ، وتقضي على الدعة والأمن والاستقرار ، ولم تختصّ هذه الجرائم بالدول الغربيّة ، وإنّما شملت الدول الخاضعة لنفوذها .

٨

إنّ دول اوروبا التي تتحّكم في مصير العالم في هذه العصور تعاني شعوبها أسوأ الأزمات النفسيّة والأخلاقيّة ، فلم تقم بين أفراد أُسرها عاطفة رحم ولا مودّة قرابة ، قد فقدت جميع مقوّمات الحياة الرفيعة ، فلم تنعم بأواصر المحبّة والأُلفة ، ويعاني الطاعنون في السنّ آلاماً قاسية قد نبذهم أبناؤهم ، فلا أنيس لهم ولا سمير سوى القطط والكلاب ، فأيّة حياة رخيصة وهزيلة مثل هذه الحياة ؟ !

٩

أمّا الإسلام فهو الحلّ الوحيد لكلّ ما تعاني منه الإنسانيّة من أزمات وكوارث ، فقد وضع الحلول الحاسمة لكلّ مشاكل الحياة ، وعنى بالإنسان عناية بالغة ، وقد حكى القرآن الكريم مدى تفضيل الله للإنسان على جميع مخلوقاته ، فقد قال تعالى : ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١) .

ولم يقتصر فضل الله للإنسان على غيره ، فقد أمر ملائكته الكرام بالسجود لآدم أبي البشر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ (٢) .

---

(١) الإسراء ١٧ : ٧٠ .

(٢) البقرة ٢ : ٣٤ .

إنّ الإنسان من أعظم مخلوقات الله تعالى ، ومن أكثرهم منزلة وأهمّيّة عنده تعالى ، وقد أحاط بجميع قضاياه ومشاكله ، فقنّن له أحكامه الخالدة التي تساير الفطرة ، ولا تشذّ عن سنن الحياة ، وتتناسب مع الحياة الاجتماعيّة في كلّ زمان ومكان.

١٠

وستبقى أفكار الإسلام وتعاليمه مدرسة مشرقة حافلة بجميع عوامل النهوض والارتقاء لجميع شعوب العالم وأُمم الأرض ، غير خاضعة للأفكار الضيّقة التي تفرضها تعدّد البيئات ، واختلاف الجنسيّات واللغات.

لقد لاحظ الإسلام بصورة عميقة وشاملة سنّة التطوّر والتقدّم لجميع أبناء البشر ، فقنّن أحكامه الخالدة ، وقد ألغى فيها الفوارق الطبيعيّة والعنصريّة ، وجعل التمايز بالتقوى التي هي العنصر الأساس للمثل العليا والمصدر الحقيقي لسموّ الإنسان وكماله.

إنّ رسالة الإسلام غير محصورة في بيئة معيّنة ، ولم تأت لشعب دون شعب ، وإنّما هي للناس جميعاً على اختلاف قوميّاتهم ولغاتهم ، قال الله تعالى عن نبيّه العظيم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٢].

ومهما حاول المشرّعون تقنين المناهج لرقي شعوبهم ، ورفع مستواهم ، فإنّهم لا يجدون مثيلاً لما قنّنه الإسلام في ميادين الإصلاح الاجتماعي.

١١

ولسنا بحاجة إلى إقامة الدليل والبرهان على أنّ الإسلام ليس مجرّد عقائد دينيّة

---

(١) سبأ ٣٤: ٢٨.

(٢) الأنبياء ٢١: ١٠٧.

بحتة ، كما يتّهمه بذلك المستشرقون من عملاء الاستعمار ، وإنّما هو دين شامل ومستوعب لجميع قضايا الإنسان ومتطلّباته ، والتي منها التشريع السياسي والاقتصادي والعسكري ، وغير ذلك ممّا له مساس في حياة الناس.

إنّ إلقاء نظرة خاطفة على ما قنّنه الإسلام في المجالات العامّة ، تكفي للاستدلال على مدى شموليّة أنظمته لجميع جوانب الحياة ، وإنّه دستور عالمي مستوعب لجميع شؤون الإنسان ورغباته ، والتي منها القضاء على الفقر والمرض والجهل.

ومن الطبيعي أنّ القضاء على هذه الأسباب ممّا يوجب انهيار التخلّف والانحطاط في جميع مناحي الحياة.

ومن الجدير بالذكر أنّه من بين ما عني به الإسلام إصلاح السلوك الشخصي ، وإقامة الأخلاق الرفيعة ، والعادات الحسنة في سلوك الإنسان وكيانه ليكون مواطناً صالحاً.

١٢

ومن بين ما قنّنه الإسلام في تشريعاته العظيمة ، هو النظام الاجتماعي ، فقد أقامه على منهج مشرق ، تتوحّد فيه الجماعة الإسلاميّة على أساس وثيق من المحبّة والأُلفة ، هي أقوى وأعمق بكثير من رابطة النسب والدم ، وقد برزت هذه الظاهرة على الصعيد الاجتماعي في العصور الإسلاميّة الأُولى ، فكانت أروع صورة للحياة البشريّة على وجه الأرض ، وكان من أمثلتها الخالدة الإيثار الخالص من بعض الشهداء ، وهو صريع على وجه الأرض ، قد ذاب قلبه من العطش ، فآثر أخاه الجريح بالماء معلناً أنّه أكثر ظمأً منه.

ومن تلك اللقطات الرائعة في دنيا الإسلام ، ما أبدته الأُسرة النبويّة المقدّسة من الإيثار الذي هزّ المشاعر والعواطف ، فقد قدّموا طعام فطورهم ثلاثة أيّام متوالية إلى المسكين واليتيم والأسير ، لم يذوقوا شيئاً ، وواصلوا صيامهم صابرين على

ألم الجوع ، فشكر الله تعالى هذا الايثار ، وأنزل فيهم سورة من القرآن الكريم ، وهي سورة ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾ باقية مدى الدهر ، تشيد بفضلهم وعظيم إيثارهم .

١٣

ولا تلمّ بحوث هذا الكتاب إلّا ببعض المناحي من التشريعات المنهجيّة للنظام الاجتماعي في الإسلام ، فإنّ استيعاب كلّ ما قنّنه الإسلام وشرّعه في هذا المجال يستدعي دراسة مطوّلة لعلّها تستوعب عدّة مجلّدات .

إنّ هذا الكتاب بالتأكيد غير ملمّ بهذا الموضوع من جميع جوانبه ، وإنّما يلقي أضواءً على بعض معالم ذلك النظام الحافل بجميع قيم الإنسانيّة ومقوّماتها ، آملاً أن أكون قد ساهمت في خدمة الإسلام ، وأبرزت بعض ذخائره التي لاصلاح للإنسان من دونها ، والتوفيق بيد الله تعالى ، يهبه لمن يشاء من عباده .

باقر شريف القرشي

١٧ / ربيع / الأوّل ١٤١٢هـ

مكتبة الإمام الحسن العامة

النجف الأشرف

معالم النظام
الاجتماعي الإسلامي

أوّلاً : إشاعة الإيمان بالله تعالى

وأهمّ ما عنى به الإسلام في نظامه الاجتماعي إشاعة الإيمان بالله تعالى ، ونشر كلمة التوحيد ، تلك الكلمة المشرقة التي تضيء في سماء هذا الكون ، يهتدي بها الحائر ، ويسترشد بها الضالّ ، وتملأ قلوب العارفين إيماناً وهدايةً .

إنّ الإيمان بالله تعالى هو الركيزة الكبرى التي تبتنى عليها قوى الخير والمحبّة والسلام في الأرض ، وإنّ كلّ فكرة ترتبط به تعالى لهي فكرة خير وصلاح تعود بالنفع والخير العميم على الإنسان ، وكلّ فكرة تشذّ عنه وتتجافى عن هديه لهي فكرة سوء وضلال ، تعود بالضرر البالغ والدمار الشامل على الإنسان .

قد جاهد أنبياء الله العظام جهاداً قاسياً ، وناضلوا نضالاً ، فناجزوا قوى الشرك والإلحاد من أجل أن يسود الإيمان بالله تعالى في الأرض ، ويحرّر العقل البشري من خرافات الأوثان ، وأضاليل الأصنام .

وقد حمل لواء التوحيد سيّد النبيّين وخاتمهم الرسول ﷺ ، فعانى صنوفاً كثيرة من الاضطهاد والارهاق ، فقد أجمع عتات قومه وطواغيتهم ، وعلى رأسهم أبو جهل وأبو سفيان ، على أن يردّوا أصوات التوحيد على أعقابها ، ويلغوا راية الإسلام ، إلّا أنّ الله تعالى نصر نبيّه العظيم ، فقد اندحرت القوى المعادية له ، وارتفعت راية الإيمان عالية خفّاقة ، وقام الإسلام على سوقه عبل الذراع ، مفتول الساعد ، تمتدّ موجات نوره إلى جميع أُمم العالم وشعوب الأرض .

وعلى أي حال ، فلابدّ لنا من وقفة قصيرة للنظر فيما أقامه الإسلام من الأدلّة

الحسّيّة والتجربيّة على ضرورة الإيمان بالله خالق الكون ، وواهب الحياة ، كما لا بدّ من النظر فيما يترتّب على الإيمان من عطاء فكري ونفسي للإنسان ، وغير ذلك ممّا يرتبط بالموضوع ويتّصل بطرق الإيمان .

أمّا الطرق والوسائل المؤدّية إلى الإيمان بالله تعالى فهي كما يلي :

الإيمان عن تقليد

وهو أن يرى الإنسان أبويه وأُسرته وبيته يؤمنون بالله ويعبدونه فيتّبعهم ، ويسير على منهجهم ، من دون أن يستند في ذلك إلى دليل قاطع ، وبرهان حاسم ، وهذا من أضعف الإيمان ، لأنّه لا يلبث أن يتلاشى كما يتلاشى الدخان في الفضاء .

فقد ارتدّ جملة من الناس لأنّهم لم يأخذوا إيمانهم بالله عن الدليل ، وقد شنّ الإسلام عليهم حملة شعواء ، وأهاب بكلّ مسلم أن يتحرّر من التقليد الأعمى ، وأن يتبصّر وينظر بعمق إلى آيات الله العظيمة ، ليكون إيمانه عن بصيرة لا عن تقليد .

لقد شجب القرآن الكريم في بعض آياته تقليد الأُمم السابقة لآبائهم الذين كانوا يعبدون الأصنام ، فقد حكى إنكار إبراهيم شيخ الأنبياء عليه السلام على أبيه وقومه ، الذين كانوا يعبدون الأوثان .

قال تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ** ـ أي إبراهيم ـ **لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُم لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُم وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾(١) .

لقد عكفوا على عبادة الأوثان تقليداً لآبائهم ، ومن الطبيعي أنّ عبادتهم لتلك التماثيل لا تكسبها قيمة ولا قداسة ، وقد أنكر عليهم إبراهيم عليه السلام ذلك لأنّهم قد خلعوا عن نفوسهم حريّة الفكر ، وانطلاقه الداعي إلى التحرّر من الوراثات المتحجّرة

---

(١) الأنبياء ٢١ : ٥٢ ـ ٥٤ .

والقداسات الوهميّة.

وأنكر القرآن الكريم في آية أُخرى التقليد الأعمى للآباء. قال تعالى: ﴿ **بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ** ﴾[١].

يقول السيّد قطب:

« هي قولة تدعو إلى السخرية فوق أنّها متهافتة لا تستند إلى قوّة، إنّها مجرّد المحاكاة ومحض التقليد بلا تدبّر ولا تفكّر ولا حجّة ولا دليل، وهي صورة فرديّة تشبه صورة القطيع يمضي حيث هو يساق، ولا يسأل إلى أين يمضي، ولا يعرف معالم الطريق.

والإسلام رسالة التحرّر الفكري والانطلاق الشعوري، لا يقرّ هذا التقليد المزري، ولا يقرّ محاكاة الآباء والأجداد، اعتزازاً بالإثم والهوى، فلا بدّ من سند، ولا بدّ من حجّة، ولا بدّ من تدبّر وتفكّر، ثمّ اختيار مبني على الإدراك واليقين »[٢].

ونعى عليهم القرآن الكريم اتّباعهم لآبائهم، وإصرارهم الشديد والحثيث على تقليد الآباء، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** ﴾[٣]. إنّ دليلهم الوحيد هو التقليد لآبائهم، وهو التقليد الجامد المتحجّر، الذي لا يقوم على علم، ولا يعتمد على تفكير.

التقليد الذي يريد الإسلام أن يحرّرهم منه، وأن يطلق عقولهم لتتدبّر، ويشيع فيها اليقظة والحركة والنور، فيأبوا هم الانطلاق من إسار الماضي المنحرف، ويتمسّكوا بالأغلال والقيود.

---

(١) الزخرف ٤٣: ٢٢.

(٢) في ظلال القرآن: ٢٥: ٧١.

(٣) لقمان ٣١: ٢١.

إنّ الإسلام حريّة في الضمير، وحركة في الشعور، وتطلّع إلى النور، ومنهج جديد للحياة، طليق من إسار التقليد والجمود.

إنّ الإسلام لا يقرّ مجال التقليد في العقائد، ويصرّ على النظر والتدبّر والفكر، ليتوصّل بذلك إلى الحقيقة التي لا مجال للشكّ فيها.

الإيمان عن برهان

أمّا الأدلّة القائمة على وجود الله العظيم، الذي هو من لوازمه ضرورة الإيمان، فهي كما يلي:

١ ـ الأدلّة العقليّة

وذكر الفلاسفة والمتكلّمون جمهرة كبيرة من الأدلّة الحاسمة التي لا يتطرّق إليها الشكّ على وجود الله تعالى، ووحدانيّته، ولزوم الإيمان به، ومن بين تلك الأدلّة مبدأ العلّيّة، فإنّ جميع ظواهر الطبيعة من تقلّبات الجوّ، وتعاقب الليل والنهار، وحالات الإنسان والحيوان والنبات، كلّها ترتبط بمبدأ العلّيّة، وأنّها ناشئة عن تلك القوّة الكبرى المبدعة والمكوّنة لها، فهي التي تفيض الوجود على الشيء بعدما كان معدوماً، وإذا نفينا مبدأ العلّيّة لما تمكّن عالم من إجراء تجربة، ولا طبيب من وصف دواء، ولاكان للفنّ والفلسفة ولا للعلم بشتّى أنواعه، ولا للمسؤوليّة وتحمّلها، عين ولا أثر، بل ما كان في الوجود إلّا الفوضى والخراب[(١)].

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**إيّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ في اللهِ، وَلكِنْ إذا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُروا إِلىٰ عَظَمَتِهِ فَانْظُروا إِلىٰ عَظيمِ خَلْقِهِ**»[(٢)].

---

(١) الإسلام بنظرة عصريّة: ٢٥.

(٢) الكافي: ١: ٩٣. التوحيد: ٤٥٨. وسائل الشيعة: ١٦: ١٩٥، الحديث ٢١٣٢٧، ولكن جاء في الأخيرين: «**فَانظُروا إِلىٰ عِظَمِ خَلْقِهِ**».

وعن الصادق عليه السلام ، قال : « **جاءَ حَبْرٌ إلىٰ أمير الْمُؤْمِنينَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ فَقالَ: يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ حينَ عَبَدْتَهُ ؟**

قال : **فَقالَ: وَيْلَكَ ما كُنْتُ أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَهُ.**

قالَ: وَكَيْفَ رَأَيْتَهُ ؟

قالَ: وَيْلَكَ ، لَا تُدْرِكُهُ الْعُيونُ في مُشاهَدَةِ الْأَبْصارِ، وَلٰكِنْ رَأَتْهُ الْقُلوبُ بِحَقائِقِ الْإِيمانِ »(١) .

إنّ كلّ ممكن موجود يفتقر ـ بالبداهة ـ إلى مؤثّر موجود ، وذلك المؤثّر هو الله تعالى خالق الكون ، وواهب الحياة ، وقد أطال الفلاسفة والمتكلّمون البحث في هذه الجهة ، ولسنا بحاجة إلى ذكرها بعد أن توفّرت الأدلّة الحسّيّة التي لا تقبل المناقشة والجدل على وجود الخالق العظيم .

٢ ـ الأدلّة الحسّيّة

أمّا الأدلّة الحسّيّة على وجود الخالق العظيم فهي لا تحصى ، ففي كلّ ذرّة من ذرّات هذا الوجود دلالة واضحة وصريحة على وجود الخالق العظيم ، ولزوم الإيمان به .

وقد سلك القرآن الكريم هذا المنهج ، فوضع الأيدي على اللمسات الحسّيّة التي تدلّ على وجود المبدع الحكيم ، ولعلّ من المفيد جدّاً أن نشير إلى بعض الآيات ، وهي :

١ ـ قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ** ﴾(٢) .

---

(١) الكافي : ١ : ٩٧ . التوحيد : ١٠٩ . بحار الأنوار : ٤ : ٤٤ و ٤١ : ١٥ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٩٠ .

يا له من منظر رائع تتفتّح أمامه العيون والأبصار، وتنطلق الأفكار، إنّه مشهد السموات والأرض، ومشهد اختلاف الليل والنهار، وما فيهما من تنسيق وإبداع ونظام وإحكام، لا بدّ فيهما من ناموس يتحكّم فيهما، ولا يمكن أن يكون ذلك خداعاً ولا جزافاً ولا صدفة ولا باطلاً، وإنّما صادر عن قوّة مبدعة هي فوق الخيال والفكر.

في حديث للإمام الصادق عليه السلام مع أحد الزنادقة: « **يا أَخا أَهْلَ مِصْرَ، تَفَهَّمْ عَنّي، فَإِنّا لَا نَشُكُّ في اللهِ أَبَداً، أَما تَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهارَ، يَلِجانِ وَلَا يَشْتَبِهانِ وَيَرْجِعان، قَدِ اضْطَرّا لَيْسَ لَهُما مَكانٌ إِلَّا مَكانُهُما، فَإِنْ كانا يَقْدِرانِ عَلىٰ أَنْ يَذْهَبا فَلَا يَرْجِعانِ؟ وَإِنْ كانا غَيْرَ مُضْطَرَّيْنِ فَلِمَ لَا يَصيرُ اللَّيْلُ نَهاراً، وَالنَّهارُ لَيْلاً؟! اضْطَرّا وَاللهِ يا أَخا أَهْلَ مِصْر إِلىٰ دَوامِهِما، وَالَّذي اضْطَرَّهُما أَحْكَمُ مِنْهُما وَأَكْبَرُ**»[١].

إنّ مجرّد التفكير في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، يوحي إلى الإيمان المطلق بالله تعالى، ويزيل عن آفاق النفس غبار الشكوك والأوهام.

٢ ـ قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ**﴾[٢].

إنّ آية خلق السموات والأرض لا تحتمل جدلاً ولا ريبة ولا شكّاً ولا يجادل فيها مجادل، وهي تنادي بوجود الخالق العظيم. ليس الذي أنشأها هو الإنسان ولا غيره من مخلوقات الله تعالى.

قال أبو عبدالله عليه السلام لرجل زنديق: « **يا أَخا أَهْلَ مِصْرَ، إِنَّ الَّذي تَذْهَبونَ إِلَيْهِ، وَتَظُنُّونَ أَنَّهُ الدَّهر، إِنْ كانَ الدَّهْرُ يَذْهَبُ بِهِمْ لِمَ لَا يَرُدُّهُمْ؟ وَإِنْ كانَ يَرُدُّهُمْ لِمَ يَذْهَبُ بِهِمْ؟! الْقَوْمُ مُضْطَرُّونَ يا أَخا أَهْلَ مِصْرَ، لِمَ السَّماءُ مَرْفُوعَةٌ، وَالْأَرْضُ مَوْضوعَةٌ،**

---

(١) الكافي: ١: ٧٢. التوحيد: ٢٩٤. بحار الأنوار: ٣: ٥١. نور البراهين: ٢: ١٢٥.

(٢) الشورى ٤٢: ٢٩.

لِمَ لَا يَسْقُطُ السَّماءُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلِمَ لَا تَنْحَدِرُ الْأَرْضُ فَوْقَ طِباقِها وَلَا يَتماسَكانِ ؟ وَلَا يَتَماسَكُ مَنْ عَلَيْها ؟ »[1].

إنّ ضخامة الأرض والسماء ، وتناسقهما الدقيق ، ونظامهما الدائب ، كلّ ذلك لا يمكن أن يفسّر عقلاً ، إلّا على أساس أنّ هناك إلٰهاً أنشأهما ودبّرهما .

وتنطوي آية السماوات والأرض على آية أُخرى في ثناياها : ﴿ **وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ** ﴾ ، والحياة في هذه الأرض وحدها ـ ودع عنك ما في السماوات من حياة أُخرى لا ندركها ـ آية أُخرى ، وهي سرّ لم ينفذ إلى طبيعته أحد ، فضلاً على أنّ التطلّع إلى إنشائه سرّ غامض لا يدري أحد كنهه وواقعه .

هذه الأحياء المبثوثة في كلّ مكان فوق سطح الأرض وفي ثناياها ، وفي أعماق البحر ، وفي أجواء الفضاء ـ ودع عنك تصوّر الأحياء الأُخرى في السماء ـ هذه الأحياء المبثوثة التي لا يعلم الإنسان منها إلّا النزر اليسير ، ولا يدرك منها بوسائله المحدودة إلّا القليل المشهود . هذه الأحياء التي تدبّ في السماوات والأرض يجمعها الله حيث يشاء ، لا يضلّ منها فرد واحد ، ولا يغيب عنه .

وأسراب من الطير لا يعلم عددها إلّا الله تعالى ، وأسراب من النحل والنمل وأخواتها ، لا يحصيها إلّا الله ، وأسراب من الحشرات والهوام والجراثيم لا يعلم مواطنها إلّا الله ، وأسراب من الأسماك وحيوان البحر لا يطّلع عليها إلّا الله ، وقطعان من الأغنام والوحش سائحة وشاردة في كلّ مكان ، وقطعان من البشر مبثوثة في الأرض في كلّ مكان[2] كلّها تنادي بوجود الله تعالى .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ**

---

(١) الكافي : ١ : ٧٢ . التوحيد : ٢٩٤ . بحار الأنوار : ٣ : ٥١ . نور البراهين : ٢ : ١٢٥ .

(٢) في ظلال القرآن : ٢٥ : ٣٦ ـ ٣٧ .

وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾(١).

إنّ من آيات الله تعالى البيّنات خلق السماوات والأرض ، وقد عرضنا لذلك .

ومن آياته تعالى اختلاف ألسنة الناس وألوانهم ، ومن المؤكّد أنّ لهما علاقة بخلق السماوات والأرض ، لأنّ اختلاف الأجواء على سطح الأرض ، واختلاف البيئات والمناجم من طبيعة وضع الأرض الجغرافي علاقة باختلاف الألسنة والألوان .

٤ ـ قال تعالى : **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾**(٢).

نظرت الآية الكريمة إلى ما يتعلّق بأحوال الإنسان التي يستدلّ بها على وجود الله تعالى وتدبيره وحكمته ، وهو نوم البشر بالليل ، وذلك النوم الذي يعوّض الجسم جميع ما لاقاه من المتاعب للسعي على معاشه ، فقد جعل الله تعالى غدداً في الجسم تنشر الراحة حين منامه .

وأمّا في النهار ، فإنّ الإنسان يقظ فيه ، يسعى بنشاط وكد لابتغاء رزق الله تعالى ، فيا له من تنسيق رائع ، وحكمة بالغة في تسيير نظام هذا الكون .

٥ ـ قال تعالى : **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**(٣).

عرضت الآية الكريمة إلى ظاهرة من ظواهر النظام الكوني ، وهي البرق الذي هو من آيات الله تعالى ، فإنّه يحدث شعوراً بالقلق والخوف من سقوط الزلازل والصواعق التي تدمّر الأحياء والحياة ، كما يحدث شعوراً بالطمع في نزول المطر

---

(١) الروم ٣٠: ٢٢.

(٢) الروم ٣٠: ٢٣.

(٣) الروم ٣٠: ٢٤.

الذي هو من أعظم مصادر الخير في الأرض.

وقد عقّب تعالى ذلك بقوله: ﴿ **وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾. إنّ في نزول المطر إلى الأرض حياة لها، فهو ينبت فيها الزرع والنبات، ويجعلها تموج بالنضارة والحياة.

٦ـ قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1].

من آيات الله تعالى البيّنات أنّه خلق الزوجين الذكر والأُنثى، امتداداً لبقاء الإنسان، واستمراراً لوجوده على هذا الكوكب الذي يعيش عليه، وقد أودع تعالى في نفس كلّ منهما للآخر عواطف المحبّة ومشاعر المودّة، وجعل كلّاً منهما سكناً للنفس، وراحة للجسم، واستقراراً للحياة، وممّا لا شبهة فيه إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكّرون.

ولم تقتصر ظاهرة الذكورة والأُنوثة على الإنسان، وعموم الحيوانات، وإنّما كانت شاملة لعالم النبات على اختلاف أنواعه، وتعدّد فصائله، بل شملت غير النبات ممّا لا نعلمه. قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[2].

هذه بعض آيات الله التي أعلنها القرآن الكريم، وهي أدلّة حسّيّة تعتمد على الحسّ واللمس على وجود الخالق العظيم، وإنّه ضرورة حتميّة من ضروريّات الحياة، وأنّ الذي ينكره ويجحده لا يملك أي دليل على ذلك، وإنّه قد فقد وعيه وحسّه، وهبط إلى مستوى سحيق من الجهل والانحطاط ما له من قرار.

---

(١) الروم ٣٠: ٢١.

(٢) يس ٣٦: ٣٦.

لقد تطوّرت العلوم في هذه العصور بصورة مذهلة ، واكتشف العلماء كثيراً من الحقائق التي كانت مخفيّة ، وكان من أعظم الانجازات العلميّة صعود الإنسان إلى القمر ، وهو انجاز لم تحلم به الإنسانيّة في تاريخها الماضي ، وقد نزل روّاد القمر متّجهين صوب الكنائس ، فقد رأوا عظيم قدرة الله تعالى ، وبدائع حكمته وصنائعه .

إنّ التقدّم التكنولوجي الذي حصل عليه الإنسان في مختلف العلوم ، خصوصاً في علوم الفيزياء والكيمياء ، قد أوجب انهيار الأفكار المادّيّة التي تجحد الله تعالى ، وإصابتها بالخرافة والعقم . ومن المؤكّد أنّ الإنسانيّة في جميع أنحاء الأرض قادمة على الإيمان بالله ، إيمان ينبعث عن الأدلّة الحسّيّة التي لا تقبل أدنى شكّ .

ثمرات الإيمان

لا أرى هناك عائدة على الإنسان أعظم ولا أسمى من الإيمان بالله تعالى ، فإنّه يعود عليه بأعظم المكاسب ، والتي منها ما يلي :

١ ـ إنّ من أهمّ ما يظفر به الإنسان من إيمانه بالله تعالى ، أنّه يقيه الأمراض النفسيّة ، فلا يساوره قلق ولا جزع من مجريات الأحداث التي يمنى بها ـ كما أعلن ذلك علماء النفس ـ فإنّ الإنسان إذا اعتقد أنّ ما يصيبه من الكوارث مكتوب عليه ، وأنّ الأُمور كلّها بيد الله تعالى ، فهو الذي يدبّر اُمور خلقه بما شاء ، فمن الطبيعي أنّه لا يحزن ولا يجزع على ما مني به ، وبذلك يتخلّص من الأزمات النفسيّة التي تؤدّي في بعض الأحيان إلى هلاكه[١] .

٢ ـ من ثمرات الإيمان بالله تعالى إنّ الإنسان إذا تسلّح به ، ونفذ إلى أعماق قلبه ودخائل نفسه ، فإنّه يصونه من اقتراف الجرائم ، ويحميه من ارتكاب المنكرات ، ويصدّه عن الاعتداء والعدوان على أخيه الإنسان ، وهو أقوى بكثير من سنّ

---

(١) الإسلام والعلم الحديث : ١٤٦ .

القوانين ، وفرض العقوبات الشديدة التي تفرضها الدول على مرتكبي الجرائم ، فإنّها على الرغم من قسوتها ، لم تمنع من اقتراف الجرائم ، فقد ضجّت الأرض ـ في هذه العصور التي تزعزع فيها الإيمان ـ من كثرتها ، فحوادث السرقة ، واختطاف الطائرات ، وترويع الآمنين ، وغير ذلك ممّا تعجّ به دوائر الشرطة والمحاكم كلّها ، ناجمة من فقد الإيمان بالله تعالى .

إنّ الإيمان بالله تعالى هو السياج الواقي للمجتمع من الظلم والغبن والاعتداء ، كما إنّه الضمان الوحيد لنشر الدعة والأمن والاستقرار في العالم .

٣ ـ إنّ الإيمان بالله تعالى تترتّب عليه جميع القيم العليا ، والمثل الكريمة ، ومن دونه لا يكون للوجود معنى .

يقول العالم الفسيولوجي راندروكو نواى ايفي :

« إنّ الاعتقاد بوجود الله تعالى هو الوسيلة الفكريّة الكاملة الوحيدة التي تجعل لوجود الإنسان معنى . وهذا الاعتقاد هو الذي يجعل لوجود الإنسان معنى أكثر من أنّه مجرّد كتلة من المادة أو الطاقة .

والاعتقاد بوجود الله تعالى هو المنبع لأسمى فكرة إنسانيّة حول المحبّة ، والقاعدة التي تقوم عليها الاخوّة بين البشر بسبب اجتماعهم على محبّة الله وطاعته ، وهو مصدر إحساسنا بالحقوق والواجبات ، لأنّنا لا نتساوى إلّا في نظر الحبّ والعدالة والرحمة المطلقة ، والاعتقاد بوجود الله هو الحصن الذي يعصمنا من الشرور ، وهو ذلك الأساس المتين الذي يقوم عليه الإيمان ، وتدوم بسببه القيم الروحيّة التي يعتبر وجودها رهيناً بوجوده تعالى »[1] .

إنّ القيم العليا التي يسعد بها الإنسان ، وتزدهر بها حياته ، ويكون بمنجى

---

(١) الدين والعلم الحديث : ٢٤ و ٢٥.

من الشرور والآثام ، ترتبط بالإيمان بالخالق العظيم ، الذي هو مصدر الفيض والعطاء لجميع الكائنات الحيّة ، ومن دون الإيمان به تصبح الحياة قاتمة لا بصيص فيها من النور ، يسودها القلق والاضطراب ، وتعمّها الكوارث والمحن .

إنّ الإيمان بالله تعالى يلهم الإنسان طرق المحبّة والخير ، ويبعده عن نزعاته الشريرة ، ويفتح له آفاقاً كريمة لازدهار حياته ، وسلامته من المحن والكوارث .

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ، قال : « **كَفىٰ لأُوْلي الأَلْبابِ بِخَلْقِ الرَّبِّ الْمُسَخِّرِ ، وَمُلْكِ الرَّبِّ الْقاهِرِ ، وَجَلالِ الرَّبِّ الظّاهِرِ ، وَنُورِ الرَّبِّ الْباهِرِ ، وَبُرْهانِ الرَّبِّ الصّادِقِ ، وَما أَنْطَقَ بِهِ أَلْسُنَ الْعِبادِ ، وَما أَرْسَلَ بِهِ الرُّسُلَ ، وَما أَنْزَلَ عَلَى الْعِبادِ دَليلاً عَلَى الرَّبِّ** »[١] .

---

(١) الكافي : ١ : ٨١.

ثانياً : نشر العلم

إنّ من اوليات المبادئ التي رفع شعارها الإسلام ، وتبنّاها في جميع مجالاته ، هي بسط العلم ونشره وإشاعته بين الناس ، وجعله ضرورة من ضروريّات الحياة .

لقد انطلق الإسلام كالمارد الجبّار وهو يحمل معول الهدم على الجهل والتخلّف ، ويدعو إلى التسلّح بالعلم ، وكانت كلمات النبيّ ﷺ في الحثّ على طلب العلم قوّة دافعة ، وزخماً عظيماً أيقظت طاقات المسلمين ، انظروا إلى أحاديثه المشرقة في تمجيد العلم .

قال ﷺ : « **طَلَبُ الْعِلْمِ فَريضَةٌ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ، أَلَا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ بُغاةَ**[١] **الْعِلْمِ** »[٢] .

إنّ طلب العلم ـ حسب هذا الحديث ـ ليس مستحبّاً وندباً ، وإنّما هو حكم إلزامي يُسأل عنه العباد .

وفي حديث آخر : « **تَعَلَّموا الْعِلْمَ ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلّٰهِ حَسَنَةٌ ، وَدِراسَتَهُ تَسْبيحٌ ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهادٌ ، وَطَلَبَهُ عِبادَةٌ ، وَتَعْليمَهُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ** »[٣] .

أرأيتم هذه الحفاوة والتعظيم للعلم ، والحثّ على طلبه ودراسته ، لأنّه من المستحيل أن تنهض اُمّة ، وتحتلّ مكاناً مرموقاً تحت الشمس من دون أن تتسلّح بالعلم .

---

(١) **البغاة** : الطلّاب .

(٢) اُصول الكافي : ١ : ٧٩.

(٣) روح الإسلام : ٣٤٣.

ولقد بلغ من اهتمام الإسلام البالغ بطلب العلم، أن جعل مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء، وهم أكرم الناس وأفضلهم منزلة عند الله تعالى، وقد أمر النبيّ ﷺ بالسعي لطلبه ولو كان في الصين.

استمعوا إلى ما يقوله رائد العدالة الاجتماعيّة في الإسلام، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الحثّ على طلب العلم:

«الْعِلْمُ إِحْدى الْحَيَاتَيْنِ»[١].

«الْعِلْمُ تُحْفَةٌ فِي الْمَجَالِسِ، وَصَاحِبٌ فِي السَّفَرِ، وَأُنْسٌ فِي الْغُرْبَةِ»[٢].

«الْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحصىٰ، فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ»[٣].

«يا كُمَيْلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ. وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ.

يا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يا كُمَيْلُ، هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ»[٤].

وكثير من أمثال هذه الكلمات الذهبيّة صدرت منه في تمجيد العلم وتكريم حملته.

وأُثرت عن رائد الحضارة والتطوّر الفكري في دنيا الإسلام، الإمام الصادق عليه السلام

---

(١) مستدرك نهج البلاغة: ١٨٠.

(٢) مستدرك نهج البلاغة: ١٨٦.

(٣) معجم الأُدباء: ١: ٧٣.

(٤) نهج البلاغة: ٣: ١٦٤.

جمهرة من الأحاديث في فضل العلم، والحثّ على دراسته، قال عليه السلام: «**اطلبوا العِلْمَ، وَتَزَيَّنوا مَعَهُ بِالْحِلْمِ وَالْوَقارِ، وَتَواضَعوا لِمَنْ طَلَبْتُمْ مِنْهُ الْعِلْمَ، وَلَا تَكُونوا عُلَماءَ جَبّارينَ، فَيَذْهَبَ باطِلُكُمْ بِحَقِّكُمْ**»[١].

وقال عليه السلام: «**لَوَدَدْتُ أَنَّ أَصْحابي ضُرِبَتْ رُؤوسُهُمْ بِالسِّياطِ حَتّىٰ يَتَفَقَّهوا**»[٢].

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة قد وردت عن أئمّة الهدى عليهم السلام وهي ناطقة بفضل العلم وتعظيم حملته.. والقرآن خير شاهد على القيم الرفيعة للعلم والعلماء، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[٣]، وأي مكرمة أرفع وأسمى من خشية الله تعالى، واتّقاء غضبه، وتلك ميزة العلماء.

يقول الزمخشري في تفسيره لسورة العلق: «لقد علّم الله سبحانه وتعالى الإنسان ما لم يعلم، وهذا شاهد على عظيم كرمه، إذ أنّه وهب عباده علم ما كانوا يجهلون، وقد أخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، فجعلهم يدركون بركة معرفة الكتابة، وعظيم نفسها، ومن دون علم الكتابة لا يتمّ تحصيل أي من العلوم، كما يستحيل تجميع العلوم في حدود معيّنة، وكذلك علم آثار السابقين، وتدوين حكمهم وأمثالهم، ومن دون علم الكتاب لا يتمّ تسطير الكتب المقدّسة، وما أنزل الله من وحي، ولو أنّ المعرفة غير متوفّرة لبني الإنسان لما انتظمت أُمور الدين والدنيا».

لقد أشاد الرسول صلى الله عليه وآله بفضل العلم، ودلّ أُمّته على الينبوع الفيّاض، والقبس المشرق، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقال في كلمته الخالدة: «**أَنا مَدينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَنْ أَرادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبابَ**»[٤].

---

(١) الكافي: ١: ٣٦.

(٢) الكافي: ١: ٣١.

(٣) فاطر ٣٥: ٢٨.

(٤) تاريخ بغداد: ٤: ٣٤٨. تهذيب التهذيب: ٦: ٣٢٠. أُسد الغابة: ٤: ٣٢، وغيرها.

وعلّق السيّد مير علي الهندي على الحديث بقوله :

« وهو هناك من هو خليق بأن يدرك المعاني التي قصد إليها الرسول ﷺ أكثر من عليّ ، مع أنّه صديقه الحبيب ، وحواريه الموثوق ، وابن عمّه ، وربيبه البارّ ، وقد كان لتلك التعاليم التي تفطّرت فانطبعت في عقل عليّ الشابّ أن تؤتي ثمارها الزكيّة ، وسرعان ما فعلت »[١] .

تطوّر الحياة العلميّة

وتطوّرت الحياة العلميّة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وازدهرت فيها معالم الحضارة ، ونشير بإيجاز إلى بعض مراكز الثقافة والعلم في دنيا الإسلام .

أوّلاً : يثرب

أمّا يثرب ، فكانت من أهمّ الجامعات العلميّة في ذلك العصر ، فقد تشكّلت فيها مدرستان ، وهما :

١ ـ مدرسة التابعين

وعنت هذه المدرسة بعلوم الشريعة الإسلاميّة ولم تتجاوزها ، وقد ضمّت هؤلاء الأعلام : سعيد بن المسيّب ، عروة بن الزبير ، القاسم بن محمّد بن أبي بكر ، أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، سليمان بن يسار ، عبيدالله بن عتبة بن مسعود ، خارجة بن زيد ، ونظم أسماءهم بعض الشعراء بقوله :

إِذا قيلَ مَنْ في العِلْمِ سَبعَةُ أَبْحُرٍ ... رِوايَتُهُمْ لَيسَتْ عَنِ العِلْمِ خارِجَة

---

(١) روح الإسلام : ٣٤٥.

فَـقُلْ هُـمْ عُـبَيْدُاللهِ عُـرْوَةُ قـاسِمٌ سَعيدٌ أَبـو بَكْـرٍ سُـلَيْمانُ خـارِجَة

وقال شاعر آخر:

أَلا كُــلُّ مَــنْ لَا يَـقْتَدي بِـأَئِمَّةٍ فَقِسْمَتُهُ ضيزى عَنِ العِلْمِ خـارِجَه
فَـخُذْهُمْ عُـبيْدُاللهِ عُـروَةُ قاسِمٌ سَعيدٌ سُلَيْمانٌ أَبو بَكْرٍ خـارِجَه[١]

وعنى هؤلاء بتدريس الحديث والفقه، وقد قاموا بدور هامّ في نشر الثقافة الإسلاميّة.

٢ ـ مدرسة أهل البيت عليهم‌السلام

وأسّس هذه المدرسة أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام، الذين أضاءوا الحياة العلميّة والفكريّة في دنيا الإسلام، ولم تقتصر علومهم على الحديث والفقه، وإنّما شملت جميع أنواع العلوم بما فيها الطبّ والفيزياء والكيمياء والفلسفة.

وقامت هذه المؤسّسة بدور مهمّ في تدوين العلوم وتأسيسها، بعد أن منع بعض الخلفاء تدوين الحديث، زاعماً أنّ ذلك يؤثر على كتاب الله تعالى، وهو اعتذار مهلهل لا واقع له.

وكان المؤسّس الأوّل لهذه المدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام، رائد الحكمة والعدالة الاجتماعيّة في الأرض، ثمّ من بعده الأئمّة الطاهرون من ولده، وقد ازدهرت هذه المؤسّسة في عهد الصادقين الإمام محمّد الباقر والإمام جعفر الصادق عليهما‌السلام، وقد انتهل كبار العلماء وجهابذة الفقهاء من نمير علومهما.

واتّسعت هذه المؤسّسة اتّساعاً هائلاً في عهد الإمام الصادق عليه‌السلام، فقد انضمّ إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي أربعة آلاف طالب[٢]، وفيهم كبار العلماء،

---

(١) تاريخ أبي الفداء: ١: ٢٠٢.

(٢) الإرشاد: ٢: ١٧٩. إعلام الورى: ١: ٥٣٥. المعتبر: ١: ٢٦. الذكرى: ١: ٥٨ و ٥٩.

وبعض أئمّة المذاهب، وقد ازدهرت يثرب وصارت أهمّ مركز علمي وثقافي في الإسلام، وامتدّت موجاتها العلميّة إلى معظم أنحاء العالم الإسلامي، فقد حمل المتخرّجون من مدرسة الإمام ما تلقّوه من العلوم، وأخذوا ينشرونه ويذيعونه في بلادهم.

ثانياً: الكوفة

وتأتي الكوفة بعد يثرب في الأهمّيّة، فقد كان الجامع الأعظم من أهمّ المعاهد الإسلاميّة، فقد انتشرت في بهوه الحلقات الدراسيّة، وكان الطابع العامّ لتلك الدراسة هي العلوم الإسلاميّة من الفقه والحديث والتفسير، بالإضافة إلى علوم الفلسفة والكلام.

وقد عنت الكوفة بصورة موضوعيّة بعلوم أهل البيت عليهم السلام، فقد روى الحسن بن عليّ الوشّاء، قال: «أدركت في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ تسعمائة شيخ كلّ يقول: حدّثني جعفر بن محمّد»[١].

ولم يكن فقه أهل البيت وحديثهم السائدَين في مدرسة الكوفة، وإنّما كان النحو سائداً فيها أيضاً، فقد أنشأت فيها مدرسة النحويّين، وكان من أعلامها البارزين الكسائي[٢]، وقد عهد إليه الرشيد بتعليم ابنيه الأمين والمأمون.

---

(١) وسائل الشيعة: ٣٠: ٣٤٤.

(٢) **الكسائي**: هو أبو الحسن عليّ بن حمزة الكوفي البغدادي المقري النحوي اللغوي، وهو أحد القرّاء السبعة، وكان من علماء الشيعة البارزين في علم النحو، لقّب بالكسائي لأنّه أحرم في كساء، عهد إليه الرشيد بتعليم ولديه الأمين والمأمون، وقد أشرف على الكسائي وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها، فابتدر الأمين والمأمون فوضعاها بين يديه، فقبّل رأسيهما وأيديهما، وأقسم عليهما أن لا يعاودا ذلك، فبهر الرشيد والتفت إلى حضّار مجلسه، فقال لهم: أي الناس أكرم خادماً؟ ⇦

ومن الجدير بالذكر أنّ علم النحو قد اخترعه ووضع قواعده وأصله، رائد الحياة العلميّة في الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام.

ثالثاً: البصرة

أمّا البصرة فقد كانت من المراكز الثقافيّة المهمّة في ذلك العصر، وأوّل من شيّد مدرسة البصرة أبو الأسود الدؤلي[1] تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام، وكانت هذه المدرسة تنافس مدرسة الكوفة، وقد سمّي نحاة البصرة أهل المنطق تمييزاً لهم عن نحاة الكوفة.

ومن أعلام هذه الصناعة سيبويه الفارسي، وهو مؤلّف كتاب سيبويه الذي هو من أنضج كتب النحو، ومن أكثرها عمقاً وأصالة.

يقول دي بور:

« فلو نظرنا إلى كتاب سيبويه لوجدناه عملاً ناضجاً، ومجهوداً عظيماً،

⇨ فقالوا: أمير المؤمنين أعزّه الله.

فقال: بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون، ثمّ حدّثهم بما رآه.

توفّي الكسائي بالريّ، وتوفّي معه الفقيه محمّد بن الحسن الشيباني، فقال الرشيد: دفنا الفقه والعربيّة بالريّ. الكنى والألقاب: ٣: ٩٢.

(١) **أبو الأسود الدؤلي**: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، واختلف في اسمه ونسبه اختلافاً كثيراً، كان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام، وشهد معه وقعة صفّين، وهو بصري، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدّهم عقلاً، وهو الذي وضع علم النحو، وقد أخذه عن إمام المتّقين وباب مدينة علم النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام، وكان شاعراً مجيداً، ومن أشعاره قوله:

وَمـا طَلَبُ المَعيشَةِ بِالتَّمَنّي ... وَلكِنْ أَلْقِ دَلوَكَ في الدِّلاءِ

تَجِيءُ بِمِلْئِها طَوْراً وَطَوْراً ... تَجِيءُ بِحَمْأَةٍ وَقَليلِ ماءِ

تجد ترجمته في وفيات الأعيان: ٢: ٥٣٥. أنساب السمعاني: ٢: ٥٠٨.

حتّى أنّ المتأخّرين قالوا إنّه لا بدّ أن يكون ثمرة جهود متظافرة لكثير من العلماء مثل قانون ابن سينا »[١].

وكما كانت البصرة ميداناً لعلم النحو، كذلك كانت مدرسة لعلم التفسير، وكان من علمائها البارزين أبو عمرو بن العلاء، وكانت مدرسة لعلم العروض، وقد وضع أُصوله الخليل بن أحمد[٢] صاحب كتاب العين، وهو أوّل معجم وضع في اللغة العربيّة[٣].

رابعاً: بغداد

أمّا بغداد فقد ازدهرت بالحركات العلميّة والثقافيّة، وقد انتشرت فيها المدارس والمعاهد، ولم يعد هناك شيء أيسر ولا أبذل من العلم، وقد أصبحت أعظم حاضرة علميّة في ذلك العصر، فقد توافد عليها طلّاب العلوم، وروّاد المعرفة

---

(١) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ٣٩.

(٢) **الخليل بن أحمد الفراهيدي**: كان إماماً في علم النحو، وهو الذي استنبط علم العروض، وكان له ابن متخلّف، فدخل على أبيه، فرآه يقطّع بيت شعر بأوزان العروض، فخرج إلى الناس وقال لهم: إنّ أبي قد جُنّ، فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ولده، فقال مخاطباً له:

لَوْ كُنتُ تعلَمُ ما أَقولُ عَذرتَني ... أَوْ كُنتَ تعلَمُ ما تَقولُ عَذَلْتُكا

لكِنْ جَهِلتَ مَقالَتي فَعَذَلْتَني ... وَعَلِمتُ أَنَّكَ جاهِلٌ فَعَذَرتُكا

وكان يتردّد إليه شخص يتعلّم منه العروض، ولكنّه لم يفهم ما يريده الخليل، فضجر منه وقال له: قطّع هذا البيت من الوافي:

إذا لَمْ تَستَطِعْ شَيْئاً فَدَعْهُ ... وَجاوِزْهُ إلى ما تَسْتَطيعُ

فشرع في تقطيعه، وعلم المراد منه، فلم يعد بعد ذلك إلى الخليل، وكان دوماً ينشد:

وَإِذا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْراً يَكونُ كَصالِحِ الأَعْمالِ

وفيات الأعيان: ٢: ٢٤٤ ـ ٢٤٨

(٣) حياة الإمام محمّد الجواد عليه السلام: ١٩١.

من جميع أقطار الدنيا.

يقول غوستاف لوبون:

«كان العلماء ورجال الفنّ والأُدباء من جميع الملل والنحل من يونان وفرس وأقباط وكلدان يتقاطرون إلى بغداد، ويجعلون منها مركزاً للثقافة في الدنيا. قال أبو الفرج عن المأمون: إنّه كان يخلو بالحكماء، ويأنس بمناظرتهم، ويلتذّ بمذاكرتهم، علماً منه بأنّ أهل العلم هم صفوة الله من خلقه»[١].

ويقول نيكلسون:

«وكان لانبساط رقعة الدولة العبّاسيّة، ووفرة ثروتها، ورواج تجارتها، أثر كبير في خلق نهضة ثقافيّة لم يشهدها الشرق من قبل، حتّى لقد بدا أنّ الناس جميعاً من الخليقة إلى أقل أفراد العامّة شأناً، غدوا فجأة طلّاباً للعلم، أو على الأقلّ أنصاراً للأدب، وفي عهد الدولة العبّاسيّة كان الناس يجوبون ثلاث قارات، سعياً إلى موارد العلم والعرفان، ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهّفين»[٢].

لقد علّل نيكلسون انتشار النشاط العلمي والثقافي في العالم الإسلامي، خصوصاً في عاصمته بغداد بسعة الدولة الإسلاميّة، ورواج تجارتها، وهو تعليل غير وثيق، فإنّ ذلك لا يوجب ذيوع العلم وانتشاره، وإنّما السبب يعود إلى الرسول الأعظم ﷺ وأوصيائه الممجدّين الذين جعلوا طلب العلم فرضاً لازماً على جميع المسلمين.

---

(١) حضارة العرب: ٢١٨.

(٢) تاريخ الإسلام: ٢: ٣٢٣.

خامساً: القاهرة

وبرزت في القاهرة الحياة العلميّة بصورة متّسعة في عهد المعزّ لدين الله ، فقد أنشئت فيها دار الحكمة ،كما أُنشئ فيها الأزهر الشريف ، وذلك في عهد الخلفاء الفاطميّين ، وقد ازدهرت فيها العلوم والفنون ، وساهمت بصورة إيجابيّة وفعّالة في تقدّم العالم الإسلامي وازدهار حضارته .

هذه بعض مراكز العلم وأكاديميّاته في العالم الإسلامي ، وقد عمّ شذاها العاطر جميع طلّاب العلوم والمعارف .

المكتبات

وأُسّست في معظم المعاهد والمدارس المكتبات العامّة التي هي من مصادر الوعي والنور ، وكان من أبرز المكتبات التي أُقيمت في دنيا الإسلام مكتبة بيت الحكمة ، فقد نقل إليها الرشيد مكتبته الخاصّة ، وأضاف إليها من الكتب ما جمعه جدّه المنصور وأبوه المهدي ، وفي عهد المأمون طلب من أمير صقلية بعض الكتب العامّة والفلسفيّة ، فلمّا وصلت إليه نقلها إلى مكتبة بيت الحكمة ، كما جلب إليها من خراسان الكثير من الكتب ، وكان لا يسمع بكتاب إلّا جلبه إليها [١] .

وظلّت هذه الخزانة التي هي من أثمن ما في العالم قائمة تمدّ البحّاث ورجال العلم بما يحتاجون إليه ، فلمّا سقطت الدولة الإسلاميّة صريعة بأيدي السفّاكين المغول وهجومهم على بغداد عمدوا إلى إتلافها ، وبذلك فقد خسر العالم الإسلامي أعظم تراث له .

وعلى أي حال ، فإنّ إنشاء المكاتب العامّة في البلاد الإسلاميّة ، جزء لا يتجزّأ

---

(١) ذكرنا عرضاً مفصّلاً للمكتبات القائمة في العالم الإسلامي في كتابنا (حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه‌السلام) .

من رسالة الإسلام الهادفة إلى نشر الوعي العلمي والثقافي في بلاد المسلمين.

تطوّر العلوم

ومن بين الأهداف الأصيلة للإسلام تطوّر العلوم ونشرها بين المسلمين، وقد بلغ التطوّر والتقدّم أقصاهما في العصر العبّاسي، فقد اخترع المقنع الخراساني قمراً يطلع ويراه الناس من مسيرة شهرين ثمّ يغيب عنهم، وفيه يقول المعرّي:

أَفِقْ إِنَّما البَدرُ المُقَنَّعُ رَأْسُهُ ضَلالٌ وَغَيٌّ مِثلُ بَدرِ المُقَنَّعِ

ويقول فيه أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك:

إِلَيكَ فَما بَدرُ المُقَنَّعِ طالِعاً بِأَسحَرِ مِنْ أَلْحاظِ بَدرِ المُعَمَّمِ[1]

كما أوضح ابن الهيثم لأوّل مرّة في تاريخ العالم أنّ أشعة الضوء ترد إلى العين من الأجسام الخارجة عنها، وليست تصدر من العين لتصطدم بالأجسام الخارجيّة، ثمّ تعود ثانية كما كان يعتقده الإغريق، وهو الذي قرّر أنّ الشبكيّة الخارجيّة هي مركز الإبصار، كما أثبت أنّ الصور المنطبعة عليها تنتقل إلى الدماغ عن طريق العصب البصري، وقد فسّر ظواهر رؤية المنظر الواحد بتكوّن مناظر مرئيّة على أجزاء متناسبة من الشبكتين، كما أنّه اكتشف أنّ انعكاس الضوء يتأثّر بكثافة الجوّ، وأنّ كثافة الجوّ تتأثّر بالارتفاع[2].

وكان من تطوّر العلوم في الإسلام هو ما اخترعه جابر بن حيّان، مفخرة الشرق وتلميذ الإمام الصادق عليه السلام، الدماغ المفكّر للإنسانيّة من صنوف المخترعات المذهلة، ويعتبر الأب لعلم الكيمياء الحديثة.

---

(١) وفيات الأعيان: ٢: ٣٩٣.

(٢) روح الإسلام: ٣٦٣.

أمّا مكتشفات أبناء موسى بن شاكر، وهم: محمّد وأحمد والحسن فيما يتعلّق بتطوّر حركات الشمس والنجوم، فهي تنطبق تماماً على ما توصّل إليه العلم الحديث، فقد اكتشفوا دوران الأرض حول الشمس، كما قاموا بحسب حجم الأرض عن طريق قياس درجة عرضيّة على ساحل البحر الأحمر، في وقت كانت اوروبا تجزم بأنّ الأرض منبسطة غير مستديرة.

ومن تطوّر العلوم في الإسلام ما اخترعه أبو الحسن البصري، فقد اخترع التلسكوب وقال عنه:

«إنّه أنبوب أثبتت عدستان إلى طرفيه، وجاء بعده من طوّر تلك الأنابيب، وقد استعمل التلسكوب في مرصدي القاهرة»[1].

وعلى أي حال، فإنّ الإسلام يدعو بصورة إيجابيّة ملحّة إلى تطوير العلوم وازدهارها، وتسليح المسلمين بجميع أنواع العلوم، ليكونوا روّاد الشعوب إلى حياة كريمة تتوفّر فيها جميع ألوان المعرفة والعلوم.

لقد أكّدت البحوث الحديثة في علم النفس والاجتماع أنّ الجهل ونقص التعليم الثقافي من الجراثيم الفتّاكة في المجتمع، فالمجتمع المتخلّف علميّاً يمنى بكثير من الانحرافات وتتفشّى فيه المعتقدات الخرافيّة، ولذلك ألزم الإسلام بالعلم، وجعله عنصراً مهمّاً في حياة المسلمين.

---

(١) روح الإسلام: ٣٥٩ و ٣٦٠.

ثالثاً : وحدة وتضامن المسلمين

من أبرز الأنظمة الاجتماعيّة التي رفع شعارها الإسلام هي الوحدة الشاملة بين المسلمين ، فقد عنى بها الرسول ﷺ عناية بالغة ، واهتمّ بها قبل تنفيذ أرصدته الروحيّة والفكريّة ، وجعلها منهجاً من مناهج الحياة الإسلاميّة الأصيلة ، واعتبرها المسلمون جزءاً لا يتجزّأ من حياتهم العقائديّة .

لقد استطاع الرسول الأعظم ﷺ أن يجذب المجتمع ويقيم فيه وحدة أخلاقيّة لا تقوم على العاطفة ، وإنّما تقوم على الإيمان الذي يمتدّ إلى أعماق القلوب ودخائل النفوس .

لقد آخى بين المسلمين اخوّة هي أقوى وأعمق بكثير من رابطة الدم والنسب ، وقد آخى بصورة رائعة بين أصحابه ، حتّى لم يبق أحد منهم إلّا جعل له أخاً يغايره في نسبه ، أو في قوميّته ، وبقي ﷺ فاتّخذ باب مدينة علمه ، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخاً ، وقال في ذلك مقالته المشهورة : « **يا عَلِيُّ ، أَنْتَ أَخي في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ** »[1] .

إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخو النبيّ ﷺ ، وساعده الذي وقف إلى جانبه ، يصدّ عنه اعتداء المعتدين ، ويحميه من القوى الغادرة التي أرادت الفتك به .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النّاسَ في مَسْجِدِ الْخَيْفِ ،**

---

(١) صحيح الترمذي : ٢ : ٢٩٩ . مستدرك الحاكم : ٣ : ١٤ .

وقريب منه في الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨ : ١١٤ . مسند الإمام أحمد بن حنبل : ١ : ٢٣٠ . كنز العمّال : ٦ : ٤٠٠ . الرياض النضرة : ١ : ١٥ . تاريخ بغداد : ١٢ : ٢٦٨ .

فَقالَ: نَضَّرَ اللهُ عَبْداً سَمِعَ مَقالَتي فَوَعاها وَحَفِظَها وَبَلَّغَها مَنْ لَمْ يَسْمَعْها، فَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ غيرُ فَقيهٍ، وَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إِلىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلهِ، وَالنَّصِيحَةُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمينَ، وَاللُّزومُ لِجَماعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ مُحيطَةٌ مَنْ وَرائَهُمْ، الْمُسْلِمونَ إِخْوَةٌ تَتَكافَأُ دِماؤُهُمْ، وَيَسْعىٰ بِذِمَّتِهِمْ أَدْناهُمْ»[١].

وقال عليه‌السلام: «قالَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه‌السلام: لَا تَخْتانوا وُلاتَكُمْ، وَلَا تَغُشُّوا هُداتَكُمْ، وَلَا تَجْهَلوا أَئِمَّتَكُمْ، وَلَا تَصَدَّعوا عَنْ حَبْلِكُمْ فَتَفْشَلوا وَتَذْهَبَ ريحُكُمْ، وَعَلىٰ هٰذا فَلْيَكُنْ تَأْسيسُ أُمورِكُمْ، وَالْزَموا هٰذِهِ الطَّريقَةَ فَإِنَّكُمْ لَوْ عايَنْتُمْ ما عايَنَ مَنْ قَدْ ماتَ مِنْكُمْ مِمَّنْ خالَفَ ما قَدْ تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ لَبَدَرْتُمْ وَخَرَجْتُمْ، وَلَسَمِعْتُمْ، وَلٰكِنْ مَحْجوبٌ عَنْكُمْ ما قَدْ عايَنوا، وَقَرِيباً ما يُطْرَحُ الْحِجابُ»[٢].

تشريعات مهمّة

وأحاط الإسلام الوحدة الإسلاميّة بتشريعات مهمّة تصونها من الانحلال والتفكّك، وتعقد أواصر المودّة والمحبّة بين المسلمين، وكان من بينها ما يلي:

١ ـ صلاة الجماعة

أمّا صلاة الجماعة فهي مظهر رائع لوحدة المسلمين وتضامنهم، وتهذيب سلوكهم، فهي تكرّر في كلّ يوم خمس مرّات، يجتمع فيها المسلمون على صعيد واحد لأداء هذه الفريضة الروحيّة الفريدة في عطائها وثمراتها، والتي منها ترابط

(١) الكافي: ١: ٤٠٣. بحار الأنوار: ٢: ١٤٨ و ٢١: ١٣٨ و ٢٧: ٦٧ و ٧٤: ١٣٢. أمالي المفيد: ١٨٦. الخصال: ١: ١٤٩، وغيرها.

(٢) أُصول الكافي: ١: ٤٠٥.

المسلمين وتعارفهم ، ومعونة غنيّهم لفقيرهم ، وعيادة أصحّائهم لمرضاهم ، وغير ذلك من الفوائد العظيمة والمنافع الجليلة .

يقول الإمام الصادق عليه السلام **«إنَّما جُعِلَ الْجَماعَةُ وَالاجْتماعُ إِلَى الصَّلاةِ لكي يُعْرَفَ مَنْ يُصَلّي مِمَّنْ لَا يُصَلّي ، وَمَنْ يَحْفَظُ مَواقيتَ الصَّلاةِ مِمَّنْ يُضَيّعُ ، وَلَوْلا ذلِكَ لَمْ يُمكنْ أَحَدٌ أَنْ يَشْهَدَ عَلىٰ أَحَدٍ بِصَلاحٍ لأَنَّ مَنْ لَمْ يُصَلِّ في جَماعَةٍ فَلَا صَلاةَ لَهُ بَيْنَ الْمُسْلمينَ لأَنَّ رَسولَ اللهِ** صلى الله عليه وآله **قالَ : لَا صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ في الْمَسْجِدِ مَعَ الْمُسْلمينَ إلَّا مِنْ عِلَّةٍ»**[1] .

٢ ـ صلاة الجمعة

أمّا صلاة الجمعة ، فإنّها تجب في الاسبوع مرّة واحدة ، وهي تضمّ جميع أبناء البلد الواحد ، فالذي يراهم يرى قوّة واحدة متماسكة مترابطة قد اتّجهت بقلوبها وعواطفها نحو الله تعالى ، خالق الكون وواهب الحياة .

أمّا عواصم الأقاليم الإسلاميّة التي تضمّ ملايين المسلمين ، فإنّ المصلّين يتجاوزون مئات الآلاف ، ومنظرهم في حال الصلاة من أعظم المناظر التي ترهب القوى المعادية للإسلام .

وفي الوقت نفسه فإنّها تحثّ على ترابط المسلمين ، وشيوع المودّة والمحبّة فيما بينهم ، ومن عوائدها ما يلقيه إمام الجمعة من خطب الوعظ والإرشاد التي تجلو القلوب ، وتصلح الضمائر ، وما يلقيه عليهم من أخبار وتحليلات الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة التي ألمّت بهم وبالمسلمين ، فصلاة الجمعة مدرسة سياسيّة ومعهد للتربية والأخلاق .

---

(١) علل الشرائع : ٣٢٥.

٣ـ صلاة العيدين

أمّا صلاة العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى ، فلا تقلّ أهميّة عن صلاة الجمعة ، فهي مصدر تعارف وتوادد بين المسلمين ، كما أنّها من الأسباب الوثيقة لنشر الوعي الديني والسياسي بين المسلمين ، وذلك لما يلقيه إمام الجمعة في خطابه بعد الصلاتين من تعريف المسلمين بما ألمّ بهم من المشاكل السياسيّة أو الاجتماعيّة التي في بلادهم ، وفي سائر أنحاء الوطن الإسلامي .

٤ـ مؤتمر الحجّ

الحجّ من الفروض الإسلاميّة المهمّة التي تبعث على تضامن الأُمّة الإسلاميّة ، وتبادل الخبرات والمنافع بين أبنائها ، وهو أعظم مؤتمر عالمي يعقد في بيت الله الحرام ، يجمع بين أبناء المسلمين على اختلاف قوميّاتهم ولغاتهم ليتعرّفوا على مشاكلهم السياسيّة والاجتماعيّة ، وما ألمّ بهم من الأحداث ، بالإضافة إلى ما يكسبونه من الخبرات الاجتماعيّة التي تفتح لهم آفاقاً مشرقة من المعرفة في جميع حقول الحياة من التجارة والصناعة وسائر الحرف الأُخرى التي يجلبونها إلى بلادهم بعد قفولهم من الحجّ .

عن الإمام الصادق عليه السلام : « **إنَّ اللهَ تَعالىٰ خَلَقَ الْخَلْقَ لَا لِعِلَّةٍ ، إلَّا أَنَّهُ شاءَ فَفَعَلَ ، فَخَلَقَهُمْ إلىٰ وَقْتٍ مُؤَجَّلٍ ، وَأَمَرَهُمْ وَنَهاهُمْ ما يَكونُ مِنْ أَمْرِ الطّاعَةِ في الدّينِ وَمَصْلَحَتِهِمْ مِنْ أَمْرِ دُنْياهُمْ .**

فَجَعَلَ فيهِ ـ أي في الحجّ ـ **الاجْتِماعَ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لِيَتعارَفوا ، وَلْيَتَرَبَّحَ كُلُّ قَوْمٍ مِنَ التِّجاراتِ مِنْ بَلَدٍ إلىٰ بَلَدٍ ، وَلْيَنْتَفِعَ بذلِكَ الْمُكاري وَالْجَمّالِ ، وَلِتُعْرَفَ آثارُ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، وَتُعْرَفَ أَخْبارُهُ ، وَيُذْكَرَ وَلَا يُنْسىٰ وَلَوْ كانَ كُلُّ قَوْمٍ إنَّما يَتَكَلَّمونَ عَلىٰ بِلادِهِمْ ، وَما فيها هَلَكوا ، وَخَرُبَتِ الْبِلادُ وَالْأَرْباحُ ، وَعُمِّيَتِ الْأَخْبارُ ، وَلَمْ يَقِفوا**

عَلىٰ ذٰلِكَ فَذٰلِكَ عِلَّةُ الْحَجِّ »[١].

الحثّ على الوحدة

وحثّ الإسلام بصورة إيجابيّة وشاملة على وحدة المسلمين واتّحادهم، واعتبر ذلك عنصراً مقوّماً لحياتهم ومجدهم وكرامتهم، فبالوحدة يكونون قوّة ضاربة لا يغلبهم غلّاب، ولا يطمع في ثرواتهم طامع، ولا يغزو بلادهم مستعمر، وبالوحدة يصانون من الذلّ والهوان، والفقر والحرمان، ونعرض إلى بعض ما أُثر عن الإسلام في الحثّ عليها.

قال رسول الله ﷺ: « **إِنَّ أَعْظَمَ النّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقيامَةِ أَمْشاهُمْ في أَرْضِهِ بِالنَّصيحَةِ لِخَلْقِهِ** »[٢].

وقال ﷺ أيضاً: « **مَنْ أَكْرَمَ أَخاهُ الْمُسْلِمَ بِكَلِمَةٍ يُلْطِفُهُ بِها، وَفَرَّجَ عَنْهُ كُرْبَتَهُ لَمْ يَزَلْ في ظِلِّ اللهِ الْمَمْدودِ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ ما كانَ في ذٰلِكَ** »[٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام: « **إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمورِ الْمُسْلمينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ سَمِعَ رَجُلاً يُنادي يا لِلْمُسْلمينَ فَلَمْ يُجِبْهُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ** »[٤].

في ظلال القرآن الكريم

وتتابعت الآيات في القرآن الكريم التي تلزم المسلمين بالوحدة فيما بينهم، وتبني عليها واقع حياتهم، وتسدّ كلّ ثغرة يسلك فيها لتفريقهم، وهذه بعض الآيات:

---

(١) علل الشرائع: ٤٠٥.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ٢٠٨.

(٣) أُصول الكافي: ٢: ٢٠٦.

(٤) أُصول الكافي: ٢: ١٦٣.

قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِنْهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١).

إنّ الاعتصام بحبل الله هو الوسيلة إلى الوحدة التي هي الحصن المنيع لحفظ المسلمين ، وارتفاع كلمتهم وسلامتهم من كيد الكائدين ، وعبث المعتدين ، وفي ذلك يقول السيّد قطب :

« وكذلك تجيء الدعوة إلى الوحدة بعد الدعوة إلى الإسلام ، فالوحدة في الله هي جوهر العقيدة الإسلاميّة ، والارتباط بحبل الله هو وسيلة الوحدة.. والتعبير يسمّيه اعتصاماً ، فيرسم صورة الالتجاء من خطر الفرقة إلى عصمة الوحدة إنّها عمليّة احتماء والتجاء واعتصام ، والحياة الدنيا متاهة ، متاهة شهوات ، ومتاهة عداوات ، والاعتصام بحبل الله فيها عصمة ، والالتجاء إليه فيها نجوة.. هذا الحبل هو شريعة الله ، وتقوى الله ، والتحابّ في الله والاتّجاه إلى الله ، فكلّها تؤدّي إلى التماسك حول محور واحد ، والتجاذب بجاذبية واحدة ، والالتجاء إلى قبلة واحدة ، والتجمّع حول هدف واحد تسعى له الأُمّة كلّها وتتوخّاه.

ويذكر المسلمين بنعمته عليهم ، نعمة تأليف القلوب ، ورأب الصدع ، والارتفاع على حزازات الصدور ، والتفاني في غاية أسمى من الشخصيّات الزائلة ، والأمجاد الفارغة ، والفخر بالعصبيّات والإنسان ، وإنّها لمعجزة تلك التي تحول شتات العرب في جاهليّتهم وحدة ، وعداوتهم في الجاهليّة مودّة ، وتربط على قلوبهم هذا الرباط الذي

---

(١) آل عمران ٣: ١٠٣.

لم تشهد له البشريّة من قبل أو من بعد نظيراً »[١].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[٢] إنّها أمّة واحدة في عقيدتها، تعبد الله وحده، ولا تشرك به شيئاً، فأي رباط أقوى من هذا الرباط، وبذلك تبني الأُمّة المسلمة مجداً شامخاً، وتحتلّ مكانة مرموقة في هذا العالم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣].

ويترتّب على الاخوة التي عقد أواصرها الإسلام أن يسود فيها الحبّ والسلام، وأن تكون المودّة فيها نافذة إلى أعماق القلوب، ودخائل النفوس، وإذا وقع بين أبناء الأُمّة خلاف أو قتال، فيجب على الأُمّة أن تسعى جاهدة إلى إخماده وإصلاحه، وأن تسدّ جميع الثغرات، ولا يكون هناك أي منفذ يسلك منه الأعداء لإفساد الاخوّة الإسلاميّة.

هذه بعض الآيات الكريمة التي أشادت بالوحدة الإسلاميّة، واعتبرتها من العناصر المقوّمة للحياة الإسلاميّة، لا تستقيم بدونها.

في رحاب السنّة

وأُثرت عن أئمّة الهدى عليهم السلام كوكبة من الأخبار، وهي تلزم المسلمين بالتماسك والوحدة فيما بينهم، وأن يكونوا يداً واحدة على مَن سواهم لترتفع كلمتهم، ويكونوا سادة الأُمم. استمعوا إلى ما يقوله رائد الحضارة والفكر في دنيا الإسلام

---

(١) في ظلال القرآن: ٤: ١٤.

(٢) الأنبياء ٢١: ٩٢.

(٣) الحجرات ٤٩: ١٠.

الإمام الصادق عليه السلام :

١ ـ قال عليه السلام : « **الْمُؤْمِنُ أَخو الْمُؤْمِنِ ، كَالْجَسَدِ الْواحِدِ ، إِنِ اشْتَكىٰ شَيْئاً وَجَدَ أَلَمَ ذلِكَ في سائِرِ جَسَدِهِ ، وَإِنَّ روحَيْهِما مِنْ روحِ اللهِ ، وَإِنَّ روحَ الْمُؤْمِنِ لَأَشَدُّ اتّصالاً بِروحِ اللهِ مِنِ اتّصالِ شُعاعِ الشَّمْسِ بِها** »[١].

وأيّة رابطة أقوى وأكثر تماسكاً من هذه الرابطة التي تقوم على وحدة المبدأ والعقيدة ، فتجعل المجتمع بجميع شرائحه جسماً واحداً متكاملاً ، فإذا تألّم بعضه سرى الألم العاصف إلى بقيّة الجسد كلّه .

٢ ـ قال عليه السلام : « **إِنَّما الْمُؤْمِنونَ إِخْوَةٌ بَنو أَبٍ وَأُمٍّ ، وَإِذا ضَرَبَ عَلىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ عِرْقٌ سَهَرَ لَهُ الْآخَرونَ** »[٢].

وأكّد هذا الحديث الشريف الاخوّة بأوسع رحابها بين المؤمنين ، وإنّها تمتدّ إلى أعماق القلوب ، وتنفذ إلى جميع أجزاء الجسد ، فإذا اعتدي على واحد منهم ، فإنّ الاعتداء يشمل الجميع .

٣ ـ قال عليه السلام : « **الْمُؤْمِنُ أَخو الْمُؤْمِنِ وَعَيْنُهُ وَدَليلُهُ ، لا يَخونُهُ وَلا يَخْذُلُهُ** »[٣].

إنّ جميع ثمرات الاخوّة النسبيّة تترتّب على الاخوّة الإسلاميّة ، فالمسلم أخو المسلم بجميع ما تحتويه الاخوّة من معنى ، وبذلك يتكوّن المجتمع السليم الذي تتوفّر فيه جميع عناصر القوّة والازدهار .

---

(١) الحكم الجعفريّة : ٤٢.

(٢) و (٣) المحاسن : ٥٠١.



المجتمع السليم

وأنشأ الإسلام منذ فجر تأريخه مجتمعاً سليماً تتوفّر فيه عناصر التقدّم والازدهار، فقد أقامه على أساس وثيق من المودّة والمحبّة والأُلفة، وجعله مجتمعاً متراصّاً يشدّ بعضه بعضاً، لا ظلّ فيه للكراهية والبغضاء، ونتحدّث بإيجاز عن بعض أُسسه ومعالمه.

عوامل الربط الاجتماعي

أوّلاً: الاخوّة

وأقام الإسلام أحدث الوسائل على تماسك المجتمع الإسلامي وترابطه، وأقام الأُخوّة بين المسلمين، وأحاطها بسياج واقٍ من الثغرات.

إنّ الأُخوّة الإسلاميّة لم تكن شعاراً زائفاً خدّاعاً، وإنّما هي حقيقة واقعيّة، وتجربة تاريخيّة، وأصل بارز من أُصول الإسلام، فقد آخى النبيّ ﷺ بين المهاجرين والانصار، وبقي وحده فآخى بينه وبين وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، واعتبرت هذه الأُخوّة أقوى من رابطة النسب والدم، وبلغ من تماسكها أنّ الأنصار من الأوس والخزرج كانوا يشاركون إخوانهم المهاجرين في مسكنهم وبلغة عيشهم.

إنّ الأُخوّة الإسلاميّة قامت على أُسس دينيّة امتدّت إلى أعماق النفوس ودخائل القلوب، ولم تقم على أساس قبلي أو جنسي أو إقليمي، وبهذا أصبحت قوّة هائلة أمدّت المجتمع الإسلامي بالوحدة والتفاهم والتعاون، وخلقت له أُنموذجاً فريداً

من التكافل الاجتماعي ، وسدّت الطريق أمام خصوم الإسلام من أفاعي الجشع والاستعمار ، لقد بلغت الأُخوّة الإسلاميّة روعتها في عهد النبيّ ﷺ ، فقد قال : «**لايُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّىٰ يُحِبَّ لأَخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِه**» .

وبعث ﷺ رجلاً في حاجة فأبطأ عليه ، فلمّا حضر قال له : **ما أَبْطَأَكَ ؟**

- العري .
- **أما كانَ لَكَ جارٌ لَهُ ثَوْبانِ يُعيرُكَ أَحَدَهُما ؟**
- بلى يا رسول الله .

فتألّم النبيّ ﷺ وقال : **ما هذا لَكَ بِأَخ** » .

ووصف النبيّ ﷺ المجتمع الإسلامي في تقارب عواطفه ، ووحدة مشاعره بأنّه كالجسد الواحد ، قال ﷺ : «**مَثَلُ الْمُؤْمِنينَ في تَوادِّهِمْ وَتَراحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إذا اشْتَكىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَداعىٰ لَهُ سائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمّىٰ**» .

وقال ﷺ : «**الْمُسْلِمُ أَخو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَحْقِّرُهُ**»[(١)] .

والاخوّة الإسلاميّة قوّة وتحالف وترابط ومودّة وإخاء . وإذا عصفت بين المسلمين ريح التفرقة فيجب إزالتها ، وإصلاح ما شجر بينهم من خلاف . قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ .

إنّ الاخوّة الإسلاميّة مودّة وصفاء ونور ومحبّة ليس فيها زيف ولا خداع ولا نفاق .. وهذا عرض لبعض أسبابها ومفرّقاتها .

١ ـ التراحم والتعاطف

من الأسباب التي تؤدّي إلى الودّ والمحبّة التراحم والتعاطف ، وهذه وصايا إمام المسلمين ورائد حضارتهم الإمام الصادق عليه‌السلام :

---

(١) مسند أحمد بن حنبل : ٢ : ٣١١ . صحيح مسلم : ٨ : ١١ .

١ ـ قال عليه السلام : «**اتَّقوا اللهَ وَكُونوا إخْوةً مُتحابِّينَ في اللهِ ، مُتَواصِلينَ ، مُتَراحِمينَ ، تَزاوروا وَتَلاقوا وَتَذاكروا أَمْرنا وَأَحْيوهُ**»(١).

٢ ـ وقال عليه السلام : «**يَحِقُّ عَلَى الْمُسْلِمينَ الإجْتِهادُ في التَّواصُلِ وَالتَّعاوُنُ عَلى التَّعاطُفِ وَالْمُواساةُ لِأَهْلِ الحاجَةِ ، حَتّىٰ تَكُونُوا كَما أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ، مُتَراحِمينَ ، مُغْتَمّينَ لِما غابَ عَنْكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلىٰ ما مَضىٰ عَلَيهِ مَعْشَرُ الْأَنْصارِ عَلىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله**»(٢).

من المؤكّد أنّ هذه الأسباب من أهمّ الروابط الاجتماعيّة التي توحّد الكلمة ، وتجمع القلوب والعواطف.

٣ ـ قال عليه السلام : «**تَواصَلوا ، وَتَبارّوا ، وَتَراحَموا ، وَتَعاطَفوا**»(٣).

٤ ـ وعن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : «**ما أَرىٰ شَيْئاً يَعْدِلُ زِيارة الْمُؤْمِنِ إلّا إطْعامَهُ ، وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَن يُطْعِمَ مَنْ أَطْعَمَ مُؤْمِناً مِنْ طعامِ الْجَنَّةِ**»(٤).

إنّ المجتمع الإسلامي لو تحلّى بهذه الأخلاق الرفيعة لكان قوّة ضاربة وألغم الطريق أمام خصومه وأعدائه ، وما غُرست إسرائيل في قلب الوطن الإسلامي.

٢ ـ الإغاثة والمواساة

من الأسباب التي تأكّد المحبّة وتنشر الوئام هي إغاثة المسلم لأخيه المسلم ومواساته له في السرّاء والضرّاء . استمعوا إلى كوكبة من الأحاديث التي اُثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأئمّة المسلمين ، ومصابيح الإسلام.

---

(١) اُصول الكافي : ٢: ٤٧٥ ، الحديث ١.

(٢) اُصول الكافي : ٢: ١٤٠ ، الحديث ٤. الفتح ٤٨: ٢٩.

(٣) اُصول الكافي : ٢: ١٧٥ ، الحديث ٣.

(٤) وسائل الشيعة : ٣٠٤/٢٤ ، الحديث ٥/٣٠٦١٨.

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ. وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخيهِ»(١).

٢ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمالِ إِلَى اللهِ تَعالىٰ إِدْخالُ السُّرورِ عَلَى الْمُؤْمِنينَ»(٢).

٣ ـ وقال عليه السلام أيضاً: «لا يَرىٰ أَحَدُكُمْ إِذا أَدْخَلَ عَلىٰ مُؤْمِنٍ سُرُوراً أَنَّهُ عَلَيْهِ أَدْخَلَهُ فَقَط، بَلْ وَاللهِ عَلَيْنا، بَلْ واللهِ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله»(٣).

٤ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً نَفَّسَ اللهُ تَعالىٰ عَنْهُ كُرَبَ الْآخِرَةِ، وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ وَهُوَ ثَلِجُ الْفُؤادِ، وَمَنْ أَطْعَمَهُ مِنْ جوعٍ أَطْعَمَهُ اللهُ تَعالىٰ مِن ثِمارِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ سَقاهُ شُرْبَةً سَقاهُ اللهُ تَعالىٰ مِنَ الرَّحيقِ الْمَخْتومِ»(٤).

٥ ـ وقال عليه السلام أيضاً: «أَيُّما مُؤْمِنٍ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً وَهُوَ مُعْسِرٌ يَسَّرَ اللهُ تَعالىٰ لَهُ حَوائِجَهُ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلىٰ مُؤْمِنٍ عَوْرَةً يَخافُها سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ سَبْعينَ عَوْرَةً مِنْ عَوْراتِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ في عَوْنِ الْمُؤْمِنِ ما كانَ الْمُؤْمِنُ في عَوْنِ أَخيهِ، فَانْتَفِعوا في الْعِظَةِ، وَارْغَبوا في الْخَيْرِ»(٥).

٦ ـ وقال الإمام الرضا عليه السلام: «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ فَرَّجَ اللهُ تَعالىٰ عَنْ قَلْبِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ»(٦).

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي: ٢: ١٨٩.

(٢) أصول الكافي: ٢: ١٨٩، الحديث ٤.

(٣) أصول الكافي: ٢: ١٥١، الحديث ٦.

(٤) أصول الكافي: ٢: ١٩٩، الحديث ٣.

(٥) أصول الكافي: ٢: ٢٠٠، الحديث ٥.

(٦) أصول الكافي: ٢: ٢٠٠، الحديث ٤.

وكثير من أمثال هذه الأحاديث الشريفة التي تحمل طابع النور قد أُثرت عن أوصياء رسول الله ﷺ وهي تحثّ المسلمين على إدخال السرور على المؤمنين الذين أثقلتهم متاعب الحياة كما دعتهم إلى التعاون والمواساة بينهم في مكاره الدهر لتستوثق عرى الاخوّة الإسلاميّة.

٣ـ التزاور

من الأسباب الوثيقة التي تعقد أواصر المحبّة والمودّة بين المسلمين تزاور المسلمين، واتّصال بعضهم ببعض، وهذه كوكبة من أحاديث أئمّة الهدى تحثّ المسلمين على ذلك:

١ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**لِقاءُ الإِخْوانِ مَغْنَمٌ جَسيمٌ وَإِنْ قَلُّوا**»[١].

أي مغنم أعظم من لقاء الإخوان لأنّ به وحدة الصفّ، واجتماع الكلمة، وإشاعة المودّة والألفة بين المسلمين.

٢ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام لخيثمة ـ وهو من خلّص أصحابه ـ: «**أَبْلِغْ مَنْ تَرىٰ مِنْ مَوالينا السَّلَامَ، وَأَوْصِهِمْ بِتَقْوَى اللهِ العَظِيمِ، وَأَنْ يَعُودَ غَنِيُّهُمْ عَلىٰ فَقيرِهِمْ، وَقَوِيُّهُمْ عَلىٰ ضَعِيفِهِمْ، وَأَنْ يَشْهَدَ حَيُّهُمْ جَنازَةَ مَيِّتِهِمْ، وَأَنْ يَتَلاقَوْا في بُيُوتِهِمْ، فَإِنَّ لُقْيا بَعْضِهِمْ بَعْضاً حَياةٌ لِأَمْرِنا، رَحِمَ اللهُ مَنْ أَحْيا أَمْرَنا**»[٢].

حفلت هذه الوصيّة بالمواد التالية:

١ ـ الوصيّة بتقوى الله تعالى التي هي مصدر لكلّ خير.

٢ ـ مساعدة الأغنياء للفقراء فإنّها توجد التعاون والمحبّة بين المسلمين.

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ١٤٠، الحديث ١٦.

(٢) الكافي: ٢: ١٧٥ و ١٧٦، الحديث ٢. بحار الأنوار: ٧١: ٢٢٣، الحديث ٩.

٣ ـ الحضور في جنائز الموتى من المسلمين الذين لا يدينون بالولاء لأهل البيت عليهم السلام ، فإنّه يوجب ترابط المسلمين ووحدة كلمتهم .

٣ ـ وأوصى الإمام الصادق عليه السلام بالتزاور وحثّ شيعته عليه ، قال : « **تَزاوَروا ، فَإِنَّ في زِيارَتِكُمْ إِحْياءً لِقُلوبِكُمْ ، وَذِكْراً لِأَحاديثِنا ، وَأَحاديثُنا تَعْطِفُ بَعْضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ ، فَإِنْ أَخَذْتُمْ بِها رَشَدْتُمْ وَنَجَوْتُمْ ، وَإِنْ تَرَكْتُموها ضَلَلْتُمْ وَهَلَكْتُمْ ، فَخُذوا بِها وَأَنا بِنَجاتِكُمْ زَعيمٌ** »[١] .

من الفوائد المهمّة في زيارة الإخوان التي أدلى بها الإمام هي أنّ فيها إحياء للقلوب ، وذلك فيما إذا كان الحديث عن تقوى الله تعالى وفضائل أهل البيت عليهم السلام ، فإنّ في ذلك حياة للنفوس ، ورواء للقلوب ، ومنهلاً لكلّ فضيلة .

٤ ـ قضاء الحوائج

من أوثق أسباب عقد أواصر المحبّة والاخوة قضاء وإسعاف المحتاجين ، وقد تظافرت الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله في الحثّ عليه ، وهذه شذرات منها :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **مَنْ مَشىٰ في قَضاءِ حاجَةِ أَخيهِ ساعَةً في لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ قَضاها أَوْ لَمْ يَقْضِها كانَ خَيْراً مِنِ اعْتِكافِ شَهْرٍ** »[٢] .

٢ ـ روى صفوان الجمّال ، قال : « كنت مع الإمام أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل مكّة يقال له مَيْمُونٌ ، فشكا إليه تَعَذُّر الكِراءِ عليه ، فقالَ لي : **قُمْ فَأَعِنْ أَخاكَ** .

فقام صفوان معه وقضى حاجته ثمّ قفل راجعاً إلى الإمام أبي عبدالله عليه السلام ،

---

(١) وسائل الشيعة : ١٦ : ٣٤٦ ، الحديث ٢١٧٢٤ . أُصول الكافي : ٢ : ١٨٦ ، الحديث ٢ .

(٢) أُصول الكافي : ٢ : ١٩٤ ، الحديث ٩ .

فقال له: **ما صَنَعْتَ في حاجَةِ أَخِيكَ ؟**

- قضاها الله بأبي أنت وأمّي.

فسرّ الإمام وابتهج وشكره، وقال له: **أما إنَّكَ إنْ تُعينَ أخاكَ المُسْلِمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَوافِ أُسْبُوعٍ بِالْبَيْتِ مُبْتَدِئاً**»[١].

٣ ـ وأضاف الإمام قائلاً: «**إنَّ رَجُلاً أَتَى الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ** عليه السلام ، **فَقالَ: بِأَبي أَنْتَ وَأُمِّي، أَعِنِّي عَلىٰ قَضاءِ حاجَةٍ، فَقامَ مَعَهُ وَقَضاها**»[٢]، وذكر له المزيد من الأجر الذي يمنحه الله تعالى للذين يقضون حوائج الناس.

٤ ـ وكان الإمام الصادق عليه السلام إذا كلّفه شخص بقضاء حاجة له سارع في قضائها، فقيل له: لماذا هذه السرعة ؟

فقال: **أَخْشىٰ أَنْ يَقومَ بِقَضائِها شَخْصٌ غَيْري وَأُحْرَمَ مِنَ الثَّوابِ**.

٥ ـ وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام لشيعته: «**تَنافَسوا في الْمَعْروفِ لإِخْوانِكُمْ، وَكُونوا مِنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ باباً يُقالُ لَها الْمَعْروفُ، لا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنِ اصْطَنَعَ الْمَعْروفَ في الْحَياةِ الدُّنْيا، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَمْشي في حاجَةِ أَخيهِ الْمُؤْمِنِ فَيُوَكِّلُ اللهُ تَعالىٰ بِهِ مَلَكَيْن: واحِدٌ عَنْ يَمينِهِ، وَآخَرُ عَنْ شِمالِهِ، يَسْتَغْفِرانِ لَهُ رَبَّهُ، وَيَدْعُوانِ لَهُ بِقَضاءِ حاجَتِهِ**»[٣].

لقد أعدّ الله تعالى الأجر الجزيل والمزيد من الحسنات لمن قام بقضاء حاجة مؤمن أو فقير.

إنّ السعي في قضاء حوائج الناس من أهمّ الوسائل في إشاعة المودّة والمحبّة بين الناس.

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ١٥٨ و ١٥٩، الحديث ٩.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ١٩٨، الحديث ٩.

(٣) أُصول الكافي: ٢: ١٩٥، الحديث ١٠.

٥ ـ صلة الأرحام

من الأسباب الوثيقة التي تعقد أواصر المحبّة والاخوّة صلة الأرحام والبرّ بهم والإحسان إليهم ، وقد حثّ القرآن الكريم على ذلك في كوكبة من الآيات ، وكذلك تظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ وعن الأئمّة الطاهرين في الحثّ على ذلك ، وأنّه من أفضل القربات وأفضل الطاعات ، وهذه بعض الآيات ، والأخبار التي دعت إلى ذلك .

ندب القرآن الكريم إلى صلة الرحم في كوكبة من الآيات ، منها :

١ ـ قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾[١].

٢ ـ قال تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مِن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً** ﴾[٢].

٣ ـ قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ** ﴾[٣].

لقد أكّدت الآيات على ضرورة صلة الأرحام والاتّصال بهم لأنّه يؤدّي إلى تماسك الأسر وتضامنها ، وهي من أهمّ الخلايا في المجتمع .

---

(١) النساء ٤ : ١.

(٢) النساء ٤ : ٣٦.

(٣) الرعد ١٣ : ٢١.

وأمّا في السنّة، فقد أُثرت عن النبيّ ﷺ وعن أئمّة الهدى عليهم السلام أحاديث تحثّ على تماسك الأُسرة وترابطها، وهذه شذرات منها: أمر رسول الله ﷺ المسلمين بصلة أرحامهم، وترابطهم، وهذه بعض الأخبار التي أُثرت عنه:

١ ـ قال ﷺ: «**إِنَّ أَعْجَلَ الْخَيْرِ ثَواباً صِلَةُ الرَّحِمِ**»(١).

٢ ـ قال ﷺ: «**أُوْصِي الشّاهِدَ مِنْ أُمَّتي وَالْغائِبَ مِنْهُمْ وَمَنْ في أَصْلابِ الرِّجالِ وَأَرْحامِ النِّساءِ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَنْ يَصِلَ الرَّحِمَ، وَإِنْ كانَ مِنْهُ عَلىٰ مَسيرَةِ سَنَةٍ، فَإِنَّ ذلِكَ مِنَ الدّينِ**»(٢).

٣ ـ قال ﷺ: «**إِنَّ الْقَوْمَ لَيَكونونَ فَجَرَةً، وَلَا يَكونونَ بَرَرَةً فَيَصِلونَ أَرْحامَهُمْ فَتَنْمىٰ أَمْوالُهُمْ، وَتَطولُ أَعْمارُهُمْ، فَكَيْفَ إِذا كانوا بَرَرَةً**»(٣).

٤ ـ قال ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكونونَ فُجّاراً تَنْمىٰ أَمْوالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذا وَصَلوا أَرْحامَهُمْ**»(٤).

وكثير من أمثال هذه الأحاديث صدرت عن النبيّ ﷺ وهي تحثّ المسلمين على صلة الأرحام وتذكر ما لها من أثر مهمّ في الدنيا من تنمية المال والسعة في الرزق وزيادة العمر.

٥ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**صِلوا أَرْحامَكُمْ وَلَوْ بِالتَّسْليم. يَقولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾**»(٥).

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ١٥٢، الحديث ١٥.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ١٥١، الحديث ٥.

(٣) أُصول الكافي: ٢: ١٥٥، الحديث ٢١.

(٤) كنز العمّال: ٣: ٣٦٤، الحديث ٦٩٥٧.

(٥) أُصول الكافي: ٢: ١٥٥، الحديث ٢٢.

٦ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إِنَّ الرَّحِمَ مُتَعَلِّقَةٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِالْعَرْشِ تَقولُ: اللّهُمَّ صِلْ مَنْ وَصَلَني، وَاقْطَعْ مَنْ قَطَعَني»[1].

وأكّد الإمام الصادق عليه السلام في كوكبة من الأخبار على صلة الرحم، هذه بعضها:

٧ ـ قال عليه السلام: «صِلَةُ الْأَرْحامِ وَالْبِرُّ لَيُهَوِّنانِ الْحِسابَ، وَيَعْصِمانِ مِنَ الذُّنوبِ، فَصِلوا أَرْحامَكُمْ، وَبِرُّوا بِإِخْوانِكُمْ، وَلَوْ بِحُسْنِ السَّلامِ وَرَدِّ الْجَوابِ»[2].

٨ ـ قال عليه السلام: «صِلَةُ الرَّحِمِ تُهَوِّنُ الْحِسابَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَهِيَ مَنْسَأَةٌ في الْعُمْرِ وَتَقي مَصارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»[3].

٩ ـ قال عليه السلام: «صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْجِوارِ يُعَمِّرانِ الدِّيارَ، وَيَزيدانِ في الْأَعْمارِ»[4].

إنّ الأخبار التي وردت في صلة الأرحام من الكثرة بحيث لا تحصى، وقد ذكرنا بعضها وذلك لما لها من الأثر في ترابط المجتمع وتماسكه ووحدته.

٦ ـ الجوار

من الأمور التي توجب تماسك المجتمع وشيوع المودّة بين أبنائه البرّ بالجارّ والإحسان إليه.

في رحاب القرآن

أوصى القرآن الكريم برعاية الجار والإحسان إليه. قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ

---

(١) أصول الكافي: ٢: ١٥١، الحديث ١٠.

(٢) أصول الكافي: ٢: ١٥٧، الحديث ٣١.

(٣) أصول الكافي: ٢: ١٥٧، الحديث ٣٢.

(٤) أصول الكافي: ٢: ١٥٢، الحديث ١٤.

وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾(١).

لقد أوصى الله تعالى بالجار ذي القربى، وهو الجار القريب داراً، كما أوصى بالجار الجنب، وهو البعيد جواراً أو نسباً، وقد قرن الإحسان إليه بعبادة الله تعالى وبالبرّ بالوالدين وبالإحسان لليتامى والمساكين وابن السبيل، وهو المسافر.

في ظِلال السُّنّة

وتظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ والأئمّة الهداة من أهل بيته عليهم السلام بالإحسان إلى الجار، وهذه طائفة من الأحاديث:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «**الْجيرانُ ثَلاثَةٌ: فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلاثَةُ حُقوقٍ: حَقُّ الْجِوارِ، وَحَقُّ الْإِسْلامِ، وَحَقُّ الْقَرابَةِ. وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقّانِ: حَقُّ الْإِسْلامِ، وَحَقُّ الْجِوارِ. وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقٌّ واحِدٌ، الْكافِرُ لَهُ حَقُّ الْجِوارِ**»(٢).

لقد أثبت النبيّ ﷺ للكافر حقّ الجوار.

٢ ـ قال ﷺ: «**أَحْسِنْ مُجاوَرَةَ مَنْ جاوَرَكَ تَكُنْ مُؤْمِناً**»(٣).

٣ ـ قال ﷺ: «**مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جارَهُ**»(٤).

٤ ـ قيل لرسول الله ﷺ: فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وتتصدّق وتؤذي

---

(١) النساء ٤: ٣٦.

(٢) روضة الواعظين: ٣٨٩. مشكاة الأنوار: ٣٧٣. كنز العمّال: ٩: ٧٩، الحديث ٢٤٩٣٥ و: ١٨٦، الحديث ٢٥٦١٣.

(٣) مشكاة الأنوار: ٣٧٣.

(٤) أُصول الكافي: ٢: ٤٨٩، الحديث ٦.

جارها بلسانها، فقال صلى الله عليه وآله: **لَا خَيْرَ فيها، هِيَ مِنْ أَهْلِ النّارِ**[١].

٥ ـ قال صلى الله عليه وآله: «**لَا إِيمانَ لِمَنْ لَمْ يَأْمَنْ جارُهُ بَوائِقَهُ**»[٢].

٦ ـ روى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كَتَبَ بَيْنَ الْمُهاجِرينَ وَالْأَنْصارِ، وَمَنْ لَحِقَ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ: إِنَّ الْجارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضارٍّ وَلَا آثِمٍ، وَحُرْمَةُ الْجارِ عَلَى الْجارِ كَحُرْمَةِ أُمِّهِ**»[٣].

٧ ـ قال صلى الله عليه وآله: «**ما آمَنَ بي مَنْ باتَ شَبْعاناً وَجارُهُ جائِعٌ**»[٤].

٨ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**حُسْنُ الْجِوارِ زِيادَةٌ في الْأَعْمارِ، وَعِمارَةٌ في الدِّيارِ**»[٥].

٩ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يُحْسِنْ مُجاوَرَةَ مَنْ جاوَرَهُ**»[٦].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي ألزمت بالإحسان إلى الجار ووحدة المجتمع الإسلامي، وبنائه على أسس سليمة.

تحديد الجوار

أمّا تحديد الجوار فقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله تحديده بأربعين داراً من اليمين والشمال والخلف والأمام[٧].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨: ٣٩٤، الحديث ٦٣.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ٦٦٦، الحديث ١.

(٣) أُصول الكافي: ٢: ٦٦٦، الحديث ٢.

(٤) أُصول الكافي: ٢: ٦٦٨، الحديث ١٤.

(٥) أُصول الكافي: ٢: ٦٦٧، الحديث ٧.

(٦) أُصول الكافي: ٢: ٦٦٨، الحديث ١١.

(٧) الوافي: ٣: ٩٧.

جار الإمام الصادق عليه السلام

كان جار للإمام الصادق عليه السلام بالمدينة فأدركته حاجة فاضطرّ إلى بيعها وسامها بمبلغ من النقود يساوي قيمتها مرّتين، فقيل له في ذلك أنّها تساوي نصف المبلغ، فقال: الجوار يساوي النصف الثاني؛ لأنّه ليس له نظير في الأرض، وبلغ ذلك الإمام عليه السلام فأوصله بما يحتاج إليه وأبقاه على جواره.

دعاء الإمام عليه السلام لجيرانه

ومن سموّ أخلاق الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام دعاؤه لجيرانه. قال عليه السلام:

«اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوَلَّني في جيراني وَمَوالِيَّ الْعارِفينَ بِحَقِّنا، وَالْمُنابِذينَ لأَعْدائِنا بِأَفْضَلِ وَلايَتِك، وَوَفِّقْهُمْ لإِقامَةِ سُنَّتِك، وَالْأَخْذِ بِمَحاسِنِ أَدَبِك في إِرْفاقِ ضَعيفِهِمْ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيادَةِ مَريضِهِمْ، وَهِدايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُناصَحَةِ مُسْتَشيرِهِمْ، وَتَعَهُّدِ قادِمِهِمْ، وَكِتْمانِ أَسْرارِهِمْ، وَسَتْرِ عَوْراتِهِمْ، وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مُواساتِهِمْ بِالْماعُونِ، وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَةِ وَالْإِفْضالِ، وَإِعْطاءِ ما يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤالِ.

واجْعَلْنِي اللّٰهُمَّ أَجْزي بِالْإِحْسانِ مُسيئَهُمْ، وَأُعْرِضُ بِالتَّجاوُزِ عَنْ ظالِمِهِمْ، وَأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ في كافَّتِهِمْ، وَأَتَوَلّىٰ بِالْبِرِّ عامَّتَهُمْ وَأَغُضُّ بَصَري عَنْهُمْ عِفَّةً، وَأُلينَ جانِبي لَهُمْ تَواضُعاً، وَأَرِقُّ عَلىٰ أَهْلِ الْبَلاءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً، وَأُسِرُّ لَهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّةً، وَأُحِبُّ بَقاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحاً، وَأُوجِبُ لَهُمْ ما أُوجِبُ لِحامَّتي، وَأَرْعىٰ لَهُمْ ما أَرْعىٰ لِخاصَّتي.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَارْزُقْني مِثْلَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ، وَاجْعَلْ لي أَوْفَى الْحُظُوظِ فِيما

عِنْدَهُمْ، وَزِدْهُمْ بَصيرَةً في حَقّي وَمَعْرِفَةً بِفَضْلي، حَتّىٰ يَسْعَدُوا بِـي وَأَسْـعَدَ بِـهِمْ، آمينَ رَبَّ الْعالَمينَ»[١].

أرأيتم هذه الروح الملائكيّة التي هي من نفحات جدّه الرسول ﷺ.

٧ـ التعاون

ويقوم المجتمع السليم على تعاون بعض شرائحه مع بعض، وقد حثّ الإسلام على ذلك، قال تعالى: ﴿وَتَـعَاوَنُوا عَـلَى الْـبِرِّ وَالتَّـقْوَىٰ وَلَا تَـعَاوَنُوا عَـلَى الْإِثْـمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢].

إنّ التعاون على الخير والبرّ والتقوى، وما ينفع الناس من أبرز الصفات الرفيعة في المجتمع السليم الذي أقامه الإسلام ليكون رائد خير وسعادة لجميع شعوب العالم وأُمم الأرض.

٨ـ إصلاح ذات البين

إنّ في إصلاح ذات البين حسماً للشرّ، واستئصالاً لجراثيم العداوة، وإرجاعاً لعلاقة الصفاء وروابط الإخاء، ووقاية للمجتمع من التصدّع، وقد اهتمّ الإسلام به اهتماماً بالغاً. قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٣].

وقال تـعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَـوَيْكُمْ وَاتَّـقُوا اللهَ لَـعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤].

---

(١) الصحيفة السجّاديّة: ١٣١.

(٢) المائدة ٥: ٢.

(٣) الأنفال ٨: ١.

(٤) الحجرات ٤٩: ١٠.

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[١].

١ ـ قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ إِصْلاحُ ذاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسادَ ذاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحالِقَةُ**»[٢].

٢ ـ وقال ﷺ لأبي أيّوب: **يا أَبا أَيّوبَ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلىٰ صَدَقَةٍ يُحِبُّها اللهُ وَرَسولُهُ، تُصْلِحُ بَيْنَ النّاسِ إِذا تَباغَضوا وَتَفاسَدوا**»[٣].

إنّ إصلاح ذات البين يقضي على عوامل الشرّ والشقاق، ويصلح ما أفسدته الأنانيّات، وغيرها ممّا يؤول أمرها إلى التراب.

٩ ـ الاستقامة

وبنى الإسلام مجتمعه السليم على الاستقامة والتوازن في جميع الأُمور.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[٤].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾[٥].

٣ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٦].

إنّ الاستقامة تحفظ الفرد والمجتمع، وتقيهما من المشاكل والأزمات، وتبني

---

(١) الحجرات ٤٩: ٩.

(٢) سنن الترمذي: ٤: ٧٣.

(٣) المعجم الكبير: ٤: ٣٨.

(٤) هود ١١: ١١٢.

(٥) فصّلت ٤١: ٦.

(٦) فصّلت ٤١: ٣٠.

للأمّة صرحاً من الأمن والاستقرار.

١٠ ـ الصدق

وأقام الإسلام مجتمعه السليم على الصدق وتحرّي الواقع، لأنه أساس الفضائل، والمجتمع الذي يتسلّح به قد حاز شرف الدنيا، وأمّا المجتمع الذي ينحرف عنه، ويؤمن بالنفاق والكذب، فهو مجتمع مريض لا خير فيه.

ولنستمع إلى بعض ما أُثر عن الإسلام في الحثّ على التحلّي به:

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِي مِن لَدُنكَ سُلْطَاناً نَصِيراً** ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً** ﴾[٣].

وقال تعالى في ذمّ الكذّاب: ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي**

---

(١) التوبة ٩: ١١٩.

(٢) الإسراء ١٧: ٨٠.

(٣) مريم ١٩: ٥٤.

(٤) غافر ٤٠: ٢٨.

(٥) الصفّ ٦١: ٧.

جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ ﴾[١].

ووردت جمهرة من الأخبار عن النبيّ ﷺ وهي تحثّ على التحلّي بالصدق الذي هو أساس كلّ فضيلة.

١ ـ قال ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدي إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْكَذِبُ يَهْدي إِلَى الْفُجورِ، وَالْفُجورُ يَهْدي إِلَى النّارِ**»[٢].

٢ ـ وقال ﷺ: «**تَحَرَّوا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ الْهَلَكَةَ فيهِ، فَإِنَّ فيهِ النَّجاةَ**»[٣].

وقال ﷺ: «**كَبُرَتْ خِيانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخاكَ حَديثاً هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ لَهُ كاذِبٌ**»[٤].

٣ ـ وقال ﷺ: «**كُلُّ الخلالِ يُطْوىٰ عَلَيْها الْمُؤْمِنُ إِلّا الْخِيانَةَ وَالْكَذِبَ**»[٥].

لقد أقام الإسلام مجتمعه على أُسس وثيقة ومشرقة من الفضائل، ترفعه إلى أرقى المستويات، وتجعله الرائد الأعلى لشعوب العالم وأُمم الأرض.

١١ ـ الصداقة

الصداقة من الشؤون الاجتماعيّة التي لا يستغني عنها الإنسان بحال من الأحوال، فإنّه لا يمكنه أن يعيش انطوائيّاً، وبمعزل من النّاس ليس له خدن ولا صديق يشاركه في ميوله واتّجاهاته، ويواسيه في آلامه ومشاكله، فإن وجد شخص كذلك فهو

---

(١) الزمر ٣٩: ٣٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ١: ٤٠٥.

(٣) كنز العمّال: ٣: ٣٤٤.

(٤) مجمع الزوائد: ٨: ٩٨.

(٥) مجمع الزوائد: ١: ٩٣.

مصاب بالكآبة والشذوذ ، ونظراً لأهمّية الصداقة في الترابط الاجتماعي الذي هو جزء من الحياة الإسلاميّة ، فقد أولاها الإسلام المزيد من الاهتمام ، فنظر بعمق وشمول إلى أهمّية الصداقة ، وما ينبغي أن تتوفّر في الصديق من الصفات الفاضلة كما ألقى الأضواء على غير ذلك من شؤون الصداقة ، وهذا ما نتحدّث عنه .

أهمّية الصداقة

الصداقة زينة الحياة الدنيا التي ينعم بها الإنسان في حياته ، وهي من أهمّ المكاسب التي يظفر بها ؛ لأنّها ترتبط بحياته الفكريّة والاجتماعيّة ، وقد قيل لمعاوية ابن أبي سفيان حينما صفا له الملك ، لقد ظفرت بجميع متع الدنيا ، فهل عندك رغبة في متعة أُخرى ، فقال : « نعم ، الجلوس مع الأصدقاء ، وتعاطي الحديث معهم » .

قال الإمام الصادق عليه السلام : «**لَقَدْ عَظُمَتْ مَنْزِلَةُ الصَّديقِ حَتّىٰ أَنَّ أَهْلَ النّارِ يَسْتَغِيثُونَ بِهِ ، وَيَدْعُونَهُ قَبْلَ الْقَريبِ الْحَميمِ**»[1].

قال الله تعالى مخبراً عنهم : ﴿ **فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾[2].

وقيل لحكيم : أيّما أحبّ إليك أخوك أم صديقك ؟ أنا أُحبّ أخي إذا كان صديقاً لي .

مَن نصادق ؟

أرشدنا القرآن الكريم إلى مصاحبة الأخيار والمتحرّجين في دينهم . قال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**

---

(١) بحار الأنوار : ٧١ : ١٨٠ .

(٢) الشعراء ٢٦ : ١٠٠ و ١٠١ .

وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾[١].

قال الإمام الجواد عليه السلام: «إيّاكَ وَمُصاحَبَةَ الشِّرِّيرِ، فَإِنَّهُ كَالسَّيْفِ الْمَسْلولِ، يَحْسُنُ مَنْظَرُهُ، وَيَقْبَحُ أَثَرُهُ»[٢].

وقال الإمام العسكري عليه السلام: «خَيْرُ إِخْوانِكَ مَنْ نَسِيَ ذَنْبَكَ، وَذَكَرَ إِحْسانَكَ إِلَيْهِ»[٣].

أمرنا الله تعالى بهذه الآية بمصاحبة الأتقياء لنقتبس من فضائلهم وآدابهم، ونقتدي بأخلاقهم، وقال تعالى في هذا المعنى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[٤].

إنّ الصديق الصالح رائد خير، وداعية صلاح، ومرشد أمين لاكتساب الفضائل والآداب.

وندب الإسلام إلى مصاحبة مَن تتوفّر فيه الصفات الكريمة والآداب الرفيعة، وهم:

الصادقون

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «عَلَيْكَ بِاخوانِ الصِّدْقِ فَأَكْثِرْ مِنِ اكْتِسابِهِمْ فَإِنَّهُمْ عِدَّةٌ عِنْدَ الرَّخاءِ، وَجُنَّةٌ عِنْدَ الْبَلاءِ»[٥].

قال الإمام الهادي عليه السلام: «الْمِراءُ يُفْسِدُ الصَّداقَةَ الْقَديمَةَ، وَيَحِلُّ الْعُقْدَةَ الْوَثيقَةَ،

---

(١) الكهف ١٨: ٢٨.

(٢) مستدرك الوسائل: ٨: ٣٥١. بحار الأنوار: ٧١: ١٩٨.

(٣) بحار الأنوار: ٧٥: ٣٧٧. الدرّ النظيم: ٧٤٧.

(٤) النجم ٥٣: ٢٩.

(٥) بحار الأنوار: ٧١: ١٨٧.

وَأَقَلُّ ما فيهِ أَنْ تَكونَ الْمُغالَبَةُ ، وَالْمُغالَبَةُ أَمْتَنُ أَسْبابِ الْقَطيعَةِ »(١) .

إنّ أفضل خصلة يتّصف بها الإنسان هي الصدق في القول والعمل ، فمن اتّصف به كان قدوة حسنة لغيره .

الثقات

ندب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى مصاحبة الثقات . قال عليه السلام في حديث له :

« فَأَمّا إِخْوانُ الثِّقَةِ فَهُم الكَفُّ وَالْجَناحُ ، وَالْأَهْلُ وَالْمالُ ، فَإِذا كُنْتَ مِنْ أَخيكَ عَلىٰ حَدِّ الثِّقَةِ فَابْذِلْهُ مالَكَ وَبَدَنَكَ ، وَصافِ مَنْ صافاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ ، وَاكْتُم سِرَّهُ وَعَيْبَهُ ، وَأَظْهِر مِنْهُ الْحَسَنَ ، وَاعْلَمْ أَيُّها السّائِلُ أَنَّهُم أَقَلُّ مِنَ الْكِبْريتِ الْأَحْمر »(٢) .

أمّا الثقات فهم زينة الرجال وخيرة المجتمع والاتّصال بهم خير ورحمة ، فهم الأدلّاء على مرضاة الله تعالى وطاعته ، ويكتسب الإنسان منهم ما ينفعه في دنياه وآخرته .

كره الإسلام مصاحبة رجل اتّصف بإحدى الصفات الممقوتة ، وقد جمع بعضها الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين في وصيّته لولده الإمام الباقر ، قال عليه السلام :

« يا بُنَيَّ ، انْظُرْ خَمْسَةً فَلاَ تُصاحِبْهُم ، وَلا تُخالِطْهُم ، وَلا تُرافِقْهُم » .

فانبرى الإمام قائلاً : **يا أَبَة ، مَنْ هُم ؟** .

قال : **إِيّاكَ وَمُصاحَبَةَ الْكَذّابِ ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرابِ يُقَرِّبُ لَكَ الْبَعيدَ ، وَيُبَعِّدُ لَكَ الْقَريبَ .**

وَإِيّاكَ وَمُصاحَبَةَ الْفاسِقِ ، فَإِنَّهُ بايِعُكَ بِأَكْلَةٍ أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذلِكَ .

---

(١) أعلام الدين : ٣١١ . نزهة الناظر : ١٣٩ ، الحديث ١١ .

(٢) الوافي : ٣ : ١٠٥ . الكافي : ٢ : ٢٤٢ .

وَإيّاكَ وَمُصاحَبَةَ الْبَخيلِ ، فَإِنَّهُ يَخْذُلُكَ في مالِهِ بِأَحْوَجِ ما تَكُونُ إِلَيْهِ.

وَإِيّاكَ وَمُصاحَبَةَ الأَحْمَقِ ، فَإِنَّهُ يُريدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ.

وَإِيّاكَ وَمُصاحَبَةَ الْقاطِعِ لِرَحِمِهِ ، فَإِنّي وَجَدْتُهُ مَلْعوناً في كِتابِ اللهِ تَعالىٰ في ثَلاثِ مَواضِع »[1].

وهؤلاء الأصناف لا خير فيهم ، فإنّ مصاحبتهم تجرّ الويل والندامة ، وتلحق بمن صاحبهم الأضرار التي تحدّث عنها الإمام عليه‌السلام .

كما أنّه ينبغي للمؤمن أن لا يصادق ولا يوادّ من عادى الله ورسوله ، ولو كان أقرب النّاس إليه . قال تعالى : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ**[2] **وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾[3].

وقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : « **مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُواخِيَنَّ كافِراً ، وَلَا يُخالِطَنَّ فاجِراً ، وَمَنْ آخىٰ كافِراً أَوْ خالَطَ فاجراً كان كافِراً فاجِراً** »[4].

على المؤمن أن يبتعد عن هذه الأصناف التي لا صلة لها بالله تعالى ، فإنّ مصاحبتها تجرّ الخسران المبين ، وقد قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : « **الْمَرْءُ عَلىٰ دينِ خَليلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخالِلْ** »[5].

تأثيره النفسي

والشيء المؤكّد أنّ الصديق له الأثر البالغ في تكييف حياة صديقه فكريّاً

---

(١) الوافي : ٣ : ١٠٥ . الكافي : ٢ : ٣٧٥ و ٣٧٦ .

(٢) حادّ الله تعالى : عاداه .

(٣) المجادلة ٥٨ : ٢٢ .

(٤) صفات الشيعة للصدوق : ٦ .

(٥) بحار الأنوار ـ كتاب العِشرة : ٧١ : ١٩٢ .

واجتماعيّاً وسياسيّاً، وقد قيل:

عَنِ المَرْءِ لا تَسألْ وسَلْ عن قَرينِهِ   فَكُـلُّ قَـرينٍ بـالمُقارنِ مُـقْتَدي

وكان المربّون من العرب يقولون:

لَا تَرْبُط الجَـرباءَ حَـولَ صَـحيحةٍ   خَوفاً عَلى تِلكَ الصَّحيحَةِ تَجْرَبُ

إنّ الصديق يؤثّر في تفكير صديقه، كما أنّه يتأثّر به، وقد قيل في علم الاجتماع أنّ الحياة الاجتماعيّة حياة تأثير وتأثّر، فكلّ إنسان يؤثّر بمن حوله، ويتأثّر كذلك بمن حوله.

حدود الصداقة

تحدّث الإمام الصادق عليه السلام عن حدود الصداقة ومكوّناتها، فقال:

«لا تَكُونُ الصَّداقَةُ إلَّا بِحدُودِها، فَمَنْ كانَتْ فيهِ هـٰذِهِ الْحُدودُ أَوْ شَيْءٍ مِنْها فَانْسِبْهُ إلَى الصَّداقَةِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ شَيْءٌ مِنْها فَلَا تَنْسِبْهُ إلىٰ شَيْءٍ مِنَ الصَّداقَةِ.

فَأَوَّلُها: أَنْ تَكونَ سَريرَتُهُ وَعَلانِيَتُهُ لَكَ واحِدَةً.

الثّانِيَةُ: أَنْ يَرىٰ زَيْنَكَ زَيْنَهُ، وَشَيْنَكَ شَيْنَهُ.

الثّالِثَةُ: أَنْ لا تُغَيِّرَهُ عَلَيْكَ وِلايَةٌ وَلا مالٌ.

الرّابِعَةُ: أَنْ لا يَمْنَعَكَ شَيْئاً تَنالُهُ مَقْدِرَتُهُ.

الخامِسَةُ: وَهِيَ تَجْمَعُ هـٰذِهِ الْخِصالَ أَنْ لا يُسْلِمْكَ عِنْدَ النَّكَباتِ»[١].

وهذه الحدود إنّما هي من صفات الشريف الوفي الذي أُترعت نفسه بالشرف والكمال.

---

(١) الوافي: ٣: ١٠٤. الكافي: ٢: ٦٣٩.

حقوق الصداقة

للصداقة حقوق ينبغي رعايتها، وقد ألمّ بالكثير منها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لولده الزكيّ الإمام الحسن عليه السلام، قال:

«**احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ**[1] **عَلَىٰ الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَىٰ اللَّطَفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَىٰ الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَىٰ الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَىٰ اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَىٰ الْعُذْرِ، حَتَّىٰ كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ**».

وأضاف يقول: «**لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً**».

ومن فقراتها:

«**وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذٰلِكَ يَوْماً مَّا. وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَىٰ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ**»[2].

أرأيتم هذه النصائح الذهبيّة التي أدلى بها رائد الحضارة في الإسلام، فقد سجّل فيها أروع حقوق الصديق.

وقال عليه السلام أيضاً في تحديد الصديق: «**لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّىٰ يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ: فِي نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفَاتِهِ**»[3].

هذا هو المقياس بين الصديق الوفي وبين الصديق المزيّف.

---

(١) الصرم: القطيعة.

(٢) نهج البلاغة: وصيّته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: ٤٠٣.

(٣) وسائل الشيعة: ١٢: ٢٦.

نصيحة للأصدقاء

ينبغي للصديق أن لا يدلي بجميع أسراره إلى صديقه لأنّه لا يؤمن أن تتغيّر القلوب والعواطف، ويلقي بينهما الشيطان العداوة والبغضاء فيفضح صاحبه ويشهّر به إن كان قد اقترف عملاً سيّئاً فقد أوصى الإمام الصادق عليه السلام بعض أصحابه قائلاً:

«لا تُطْلِعْ صَديقَكَ مِنْ سِرِّكَ إلَّا ما لَوِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ عَدُوُّكَ لَمْ يَضُرَّكَ، فَإنَّ الصَّديقَ قَدْ يَكُونُ عَدُوَّكَ يَوْماً مّا»(١).

ويذكر الإمام زين العابدين عليه السلام حقّ الصاحب ونصيحته ضمن رسالة الحقوق. يقول عليه السلام: **«وَأَمّا حَقُّ الصّاحِبِ فَأَنْ تَصْحَبَهُ بِالْفَضْلِ ما وَجَدْتَ إلَيْهِ سَبيلاً، وَإلَّا فَلَا أَقَلَّ مِنَ الْإنْصافِ، وَأَنْ تُكْرِمَهُ كما يُكْرِمُكَ، وَتَحْفَظَهُ كَما يَحْفَظُكَ، وَلَا يَسْبِقْكَ فيما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إلىٰ مَكْرَمَةٍ، فَإنْ سَبَقَكَ كافَأْتَهُ، وَلَا تُقَصِّرْ بِهِ عَمّا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَوَدَّةِ. تُلْزِمُ نَفْسَكَ نَصيحَتَهُ وَحِياطَتَهُ وَمُعاضَدَتَهُ عَلىٰ طاعَةِ رَبِّه ومَعونَتِهِ عَلىٰ نَفْسِهِ فيما لا يَهُمُّ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ، ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِ رَحْمَةً، وَلَا تَكُونُ عَلَيْهِ عَذاباً وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ»**(٢).

ثانياً: المساواة

من أبرز القيم الحضاريّة في الإسلام، ومن أعظم مكوّناته الفكريّة والاجتماعيّة هي المساواة العادلة بين الناس، فهم كأسنان المشط لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربي على غيره، إلّا بالتقوى ـ كما في الحديث ـ، ونعرض بإيجاز للمساواة وما يرتبط بها من شؤون.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٢: ١٤٦.

(٢) تحف العقول: ٢٥٥ ـ ٢٧٢.

كلمات في المساواة الإسلاميّة

نالت المساواة الإسلاميّة الإعجاب والإكبار من بعض السياسيّين والباحثين من غير المسلمين ، وهذه شذرات ممّا قالوه :

١ ـ جواهر لال نهرو

قال جواهر لال نهرو السياسي البارز في الهند : « إنّ نظريّة الاخوّة الإسلاميّة والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها ، ويعيشون فيها ، أثّرت في أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً ، وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير البؤساء الذين حرّم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتّع بالحقوق الإنسانيّة »[(١)].

إنّ المساواة في الإسلام قضت على جميع الفوارق الجنسيّة والعصبيّة التي أوجدت التناحر بين الطبقات ، وأدّت إلى إذلال بعض الطبقات كالهندوس في الهند .

٢ ـ جيب

يقول جيب : « إنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي ما زال في قدرته أن ينجح نجاحاً باهراً في تأليف العناصر والأجناس البشريّة المتنافرة في جبهة واحدة أساسها المساواة ، وإذا وضعت منازعات الشرق والغرب موضع الدرس فلا بدّ من الالتجاء إلى الإسلام »[(٢)].

٣ ـ توماس كارليني

قال الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليني : « إنّ في الإسلام خلّة من أشرف

---

(١) النظام السياسي في الإسلام : ٢٠٣ .

(٢) النظام السياسي في الإسلام : ١٧٨ .

الخلال وأحبّها ، وهي المساواة بين الناس »[١].

إنّ المساواة بين الناس ليست شعاراً رفعه الإسلام ، وإنّما هو حقيقة واقعيّة تبنّاها ، وسار على منهاجها الرسول محمّد ﷺ وأئمّة الهدى من أبنائه.

المساواة في الإسلام؟

ويتساءل السائلون عن المساواة في الإسلام والتي صارت مصدر شرف واعتزاز للمسلمين ، فقالوا :

أوّلاً: هل المراد بالمساواة هي المساواة الطبيعيّة بين الناس ؟ وهذا غير مراد وغير ملحوظ ؛ لأنّ الناس قد خُلقوا غير متساوين في ألوانهم وأشكالهم وتكوينهم وذكائهم وميولهم وطبائعهم ، فهذا غير مراد قطعاً.

ثانياً: هل المراد بالمساواة هي المساواة في الأُجور والمعيشة ، وهذا غير مراد قطعاً ؛ وذلك لاختلاف العمّال في عملهم وتجاربهم ، فكيف يساوي العامل الذكي الخبير بشؤون العمل وزيادة الانتاج بغيره ممّن ليست له هذه الكفاءة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « **واجْعلْ لِذَوِي الْحاجاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عامّاً فَتَتَواضَعُ فِيهِ لِلّٰهِ الَّذي خَلَقَكَ ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ ، حَتَّىٰ يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ في غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيها حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ». ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ والْعِيَّ ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ والْأَنَفَ يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذٰلِكَ أَكْنافَ رَحْمَتِهِ ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوابَ طاعَتِهِ. وَأَعْطِ ما أَعْطَيْتَ هَنِيئاً ، وَامْنَعْ في إِجْمالٍ وَاعْذَارٍ!** »[٢].

---

(١) النظام السياسي في الإسلام: ١٧٩.

(٢) نهج البلاغة: ٣: ١٠٢.

وقد أراد ستالين تطبيق المساواة في الأُجور على العمال ففشل، وتعرّضت بلاده لمجاعة شاملة، فقرّر إلغاء ذلك، وخطب في أعضاء حزبه قائلاً:

«إنّ هؤلاء يحسبون أنّ الاشتراكيّة تستلزم المساواة في الأجر، ألا ما أسخفه من رأي، إنّ المساواة التي نادوا بها أضرّتنا أكبر الإضرار»[١].

وأعلن ستالين في المؤتمر الذي عقده عام ١٩٣١م أنّ الانهيار الذي منيت به روسيا كان من جرّاء تطبيق المساواة في الأُجور بين العمّال، قال:

«إن سير التقدّم قد تعثّرت خطاه نظراً للطريقة التي يسير إليها العمل من إهمال وتكاسل».

وأضاف قائلاً:

«إذا أردنا المقدرة الصناعيّة فلا بدّ أن يكون الأجر على درجات تحدّد الفروق بين العمل تحديداً دقيقاً، ويجب أن يحدّد الأجر لا بحسب حاجة العامل، بل بحسب ما أتمّ من عمل»[٢].

إنّ المساواة بين العمّال التي طبّلوا لها قد عدلوا عنها، وأصبح المبدأ المعمول به «كلّ حسب قدرته، ولكلّ حسب ما يؤدّيه من عمل».

وعلى أي حال، إنّ المساواة في الأُجور بين العمّال غير ممكن، ولا تحتمل الحياة، ومن ثمّ فقد منيت الشيوعيّة بالهزيمة في وطنها الأمّ الاتّحاد السوفيتي، وأصبحت الفكرة من مهازل الزمن بجميع مبادئها وشعاراتها، وعلينا أن ننظر إلى ما عاناه الإسلام في مساواته.

---

(١) العمل وحقوق العامل في الإسلام: ٢٧٣.

(٢) الشيوعيّة اليوم وغداً: ١٧٠.

صور المساواة في الإسلام

وتبنّى الإسلام أروع صور المساواة التي توحّد وتجمع ولا تفرّق ، وتعود بالخير العميم على الناس ، والتي منها :

١ ـ المساواة الاجتماعيّة

ونعني بها مساواة الناس جميعاً في الكرامة ، فلا فضل ولا ميزة لأحد على أحد ، ولا لصنف على صنف ، والجميع متساوون ، ولا ميزة إلّا بالتقوى التي هي عمل الخير.

وقد أعلن القرآن الكريم ذلك. قال تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾** .

لقد أقام الإسلام المساواة على أساس الفطرة السليمة ، فلم يقدّم قوماً على قوم ، والجميع عباد الله تعالى ، وقد رفع النبيّ ﷺ والأئمّة الطاهرون هذا الشعار ، وهذه بعض الأحاديث النبويّة :

١ ـ قال ﷺ : **«كُلُّكُمْ لآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ ، وَلَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبائِهِمْ ، أَوْ لَيَكونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلانِ»**[١] .

٣ ـ خاطب النبيّ ﷺ أسرته قائلاً : **«يا بَنِي هاشِمٍ ، لا يأْتيني النّاسُ بِأَعْمالِهِمْ وَتَأْتوني بِأَنسابِكُمْ تَقُولونَ : نَحْنُ ذُرِّيَّةُ مُحَمَّدٍ ...»**[٢] .

٢ ـ قال ﷺ : **«إنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عَيْبَةَ الْجاهِلِيَّةِ وَتَعاظُمَها بِآبائِها ، فَالنّاسُ رَجُلان : رَجُلٌ بَرٌّ تَقِيٌّ كَريمٌ عَلَى اللهِ تَعالىٰ ، وَرَجُلٌ فاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى**

---

(١) تفسير ابن كثير : ٤ : ٢٣٣ . الدرّ المنثور : ٦ : ٩٩ .

(٢) الكشّاف : ١ : ٣١٤ . تفسير كنز الدقائق : ١ : ٣٤٩ .

الله تَعالىٰ»(١).

٤ ـ خاصم عبد أسود من عامّة الناس عبدالرحمن بن عوف، وهو من سادات قريش، فصاح به: يابن السوداء، فلمّا سمع النبيّ ﷺ هذا التنابز قال لابن عوف: **«لَيْسَ لابْنِ الْبَيْضاءِ عَلَى ابْنِ السَّوْداءِ سُلْطانٌ إلَّا بِالْحَقِّ»**.

إنّ التفاخر بالآباء والعنصريّة القوميّة حطّمه الإسلام، وجعل السلطان للحقّ، يقول الإمام سيّد الساجدين وزين العابدين عليه السلام: **«إنَّ الله تَعالىٰ خَلَقَ الْجَنَّةَ لِمَنْ أطاعَهُ، وَلَوْ كانَ عَبْداً حَبَشِيّاً، وَخَلَقَ النّارَ لِمَنْ عَصاهُ وَلَوْ كانَ سَيِّداً قُرَشِيّاً»**(٢).

ويقول الرواة: إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام اعتق جارية له وبعد العتق تزوّج بها، ولمّا علم بذلك عبدالملك بن مروان سارع فأرسل إلى الإمام رسالة ندّد فيها بتزويجه بالأمة، جاء فيها: «أمّا بعد.. فقد بلغني تزويجك مولاتك، وقد علمت أنّه كان في أكفائك من قريش من تمجّد به في الصهر وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت، ولا على ولدك أبقيت، والسلام».

ولمّا مثلت هذه الرسالة بين يدي الإمام وقرأها رأى فيها روح الجاهليّة، فردّ عليه برسالة جاء فيها بعد البسملة:

«أمّا بَعْدُ.. فَقَدْ بَلَغَني كِتابُكَ تُعَنِّفُني بِتَزْويجي مَوْلاتي، وَتَزْعَمُ أنَّهُ كانَ في نِساءِ قُرَيْشٍ مَنْ أُمَجِّدُ بِهِ في الصِّهْرِ، وَأَسْتَنْجِبُهُ في الْوَلَدِ، وَإنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُرْتَقىً في مَجْدٍ، وَلا مُسْتَزادَ في كَرَمٍ، وَإنَّما كانَتْ مِلْكَ يَميني، خَرَجَتْ مِنّي بِأَمْرٍ أرادَهُ اللهُ تَعالَى الْتَمَسْتُ فيهِ ثَوابَهُ، ثُمَّ ارْتَجَعْتُها عَلىٰ سُنَّتِهِ، وَمَنْ كانَ زَكِيّاً في دينِهِ فَلَيْسَ يَخِلُّ بِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، وَقَدْ رَفَعَ اللهُ تَعالىٰ بِالْإسْلامِ الْخَسيسَةَ وَأَتَمَّ بِهِ النَّقيصَةَ، وَأَذْهَبَ

---

(١) تفسير القرطبي: ١٦: ٣٤١. تفسير ابن كثير: ٤: ٢٣٣. الدرّ المنثور: ٦: ٩٨.

(٢) بحار الأنوار: ٤٦: ٨٢.

اللُّؤْمَ فَلا لُؤْمَ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، إِنَّما اللُّؤْمُ لُؤْمُ الْجاهِلِيَّةِ »(١).

إنّ الشرف الواقعي في عرف الإمام عليه‌السلام يحوم حول ما قرّره الإسلام من التمسّك بمعالم الشريعة ، وأي حزازة أو نقص على الإمام حينما تزوّج بامرأة مسلمة بعد عتقها ، فإنّه لم يخالف بذلك شريعة الإسلام ولم ينتقص حرمته ، لقد جعل الإسلام المسلم كفء المسلمة ، فقد تزوّج رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله زينب بنت عمّته من غلامه ومملوكه وعتيقه زيد بن حارثة ، وقد قضى بذلك على النعرات الجاهليّة ، وتفاخرها بالآباء والأنساب .

لقد وضع الإسلام المساواة على أساس الفطرة السليمة والمنطق الأصيل ، ولم يعر أي اهتمام إلى العادات الجاهليّة .

٢ ـ المساواة أمام القانون

من معالم المساواة في الإسلام مساواة الناس جميعاً أمام القانون ، بلا فرق بين الرئيس والمرؤوس ، والقويّ والضعيف ، وقد سئل النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله أن يعفو عن سارق لشرف أُسرته ، فامتنع من إجابتهم ، وقال : « **إِنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كانوا إذا أَذْنَبَ الضَّعيفُ فِيهِمْ عاقَبوهُ ، وَإِذا أَذْنَبَ الشَّريفُ فيهِمْ تَرَكوهُ ، وَاللهِ! لَوْ سَرَقَتْ فاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَها** »(٢).

ولمّا دنا أجله ، وشعر بمفارقة الحياة خرج وقد ألمّ به المرض فخاطب المسلمين قائلاً : « **أَيُّها النَّاسُ ، أَلا فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْراً فَهٰذا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ ، وَمَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ مالاً فَهٰذا مالِي فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضاً فَهٰذا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ... وَلا يَقُولَنَّ قائِلٌ : أَخافُ الشَّحْناءَ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ، أَلا وَإِنَّ الشَّحْناءَ**

---

(١) أعيان الشيعة ـ القسم الثاني : ٤ : ٤٧٩ ، وقريب منها في العقد الفريد : ٧ : ١٢١ .

(٢) الخراج لأبي يوسف : ٥٠ .

لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِي وَلَا مِنْ خُلُقِي ، وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقّاً كانَ لَهُ عَلَيَّ ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عِنْدِي مَظْلِمَةٌ ...»(١).

ثمّ نزل عن المنبر ، وصلّى صلاة الظهر ، ثمّ رجع إلى المنبر وأعاد مقالته الأُولى .

لقد أعلن النبيّ ﷺ المساواة العادلة أمام القانون ، ولم يفرّق بين نفسه وهو سيّد الكائنات وبين غيره من سواد الشعب .

في مجلس القضاء

ويتفرّع على التسوية أمام القانون التسوية أمام القضاء ، فقد كان من صميم القضاء في الإسلام محاكمة الخلفاء والولاة إذا كان لهم خصم فإنّ المحكمة تجلبهم إلى ساحة القضاء ، فهذا الإمام أمير المؤمنين في أيّام خلافته فقدَ درعاً له ، فوجده عند يهودي ، فأنكر أن يكون له ، فرفع أمره إلى القاضي فحكم لصالح اليهودي لأنّه صاحب اليد ، ولم تكن عند الإمام بيّنة ، وإنّما خاصمه الإمام ليعلن أمام المجتمع استقلال القضاء ، وأنّه لا فرق بين الرئيس والمرؤوس .

ومثل آخر لاستقلال القضاء أن رجلاً خاصم الإمام في أيّام عمر بن الخطّاب ، فقال عمر للإمام : قم يا أبا الحسن مع خصمك .

فتأثّر الإمام وبان الاستياء على سحنات وجهه الشريف ، وبعد انتهاء المرافعة قال له عمر : يا أبا الحسن ، ما لي أراك متغيّراً ، أكرهتَ ما كان؟

قال عليه‌السلام : **نَعَمْ**.

قال عمر : وما ذاك ؟

قال عليه‌السلام : **كَنَّيْتَني بِحَضْرَةِ خَصْمي ، هَلّا قُلْتَ : قُمْ ـ يا عَلِيُّ ـ فَاجْلِسْ مَعَ خَصْمِكَ ،**

(١) تاريخ مدينة دمشق : ٤٨ : ٣٢٣.

فاعتنق عمر عليّاً وجعل يقبّل وجهه، وقال: بأبي أنتم، بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمة إلى النور»[١].

إنّ الإسلام ألزم بالمساواة العادلة في مجلس القضاء، فلا يصحّ تقدّم أحد الخصمين على الآخر مهما كانت منزلته ومكانته الاجتماعيّة، وهذه صور رائعة من المساواة في القضاء نصّ عليها الفقهاء، وهي:

١ ـ التسوية بين الخصمين في السلام، فليس للقاضي أن يخصّ أحدهما به دون الآخر، كما يجب عليه أن يساوي في ردّه على سلامهما، فلا يجوز له أن يفضي الإكبار في سلامه على أحدهما دون الآخر، بل يساوي بينهما في ردّ التحيّة.

٢ ـ المساواة بينهما في كلامه، فليس له أن ينطلق في كلامه مع أحدهما ويسكت عن الآخر.

٣ ـ المساواة بين الخصمين في الإذن بالدخول عليه، فليس له أن يأذن لأحدهما بالدخول ويحجب الآخر.

٤ ـ التسوية بينهما في التكريم.

٥ ـ التسوية بينهما في المجلس، فليس له أن يرفع مجلس أحدهما دون الآخر.

٦ ـ التسوية بينهما في طلاقة الوجه.

٧ ـ الاستماع لكلامهما وليس للقاضي أن يسمع كلام أحدهما دون الآخر.

٨ ـ أن يستعمل الإنصاف والعدل بينهما على حدّ سواء، كما يستحبّ للقاضي أن يساوي بين الخصمين حتّى في الميل النفسي[٢].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأحد ولاه: «**فاخْفِضْ لَهُمْ جَناحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ**

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧: ٦٥. فرائد السمطين: ١: ٣٤٨، الحديث ٢٧٣، نحوه.

(٢) اللمعة ـ كتاب القضاء: ١: ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

جانِبَكَ ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَآسِ بَيْنَهُمْ في اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ ، حَتَّىٰ لَا يَطْمَعَ الْعُظَماءُ في حَيْفِكَ لَهُمْ ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ »(١) .

إنّ هذه المساواة التي شرّعها الإسلام في القضاء لا يوجد لها مثيل في جميع أنظمة القضاء في العالم ، فإنّ الكثير منها قد فقدت التوازن والعدل .

٣ـ المساواة في الضرائب

إنّ الضرائب الماليّة التي فرضها الإسلام لمكافحة الفقر ،كالزكاة والخمس ، يجب أداؤها على كلّ مسلم ، ولا يجوز إعفاء أحد منها لنفوذه وقوّته ، فالجميع يتساوون في دفعها .

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام : « **إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النّاسِ ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقيرِ فَقْرُهُ!** »(٢) .

٤ ـ المساواة في التوظيف

من المساواة في الإسلام المساواة بين المواطنين في وظائف الدولة وأجهزة الحكم ، وسائر المناصب ، فلا يجوز أن يختصّ بها فريق من ذوي الوجاهة والوساطة ويحرم منها الآخرون مع توفّر شروط الوظيفة من الكفاءة والأمانة وحسن التصرّف ، أمّا مخالفة ذلك فإنّه يؤدّي إلى السخط على الحكومة وانحرافها عن طريق العدل والانصاف .

وسئل الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام : أَيهما أَفضل : العدل أو الجود ؟

فقال عليه‌السلام : « **الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَواضِعَها ، والْجُودُ يُخرِجُها مِنْ جِهَتِها ، والْعَدْلُ**

---

(١) نهج البلاغة : ٣: ٢٧ ، الخطبة ٢٧.

(٢) نهج البلاغة : ٢: ١٨٨ ، الخطبة ٢٠٩.

سائِسٌ عامٌّ، والْجُودُ عارضٌ خاصٌّ، فالْعَدْلُ أَشْرَفُهُما وَأَفْضَلُهُما»[١].

٥ ـ المساواة في الواجبات الإسلاميّة

ويتساوى جميع المسلمين فيما فرضه الله عليهم من الواجبات، كالصلاة والصوم والزكاة والحجّ، فلا يختصّ بها قوم دون آخرين، وإنّما هي عامّة وشاملة للجميع.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن المساواة التي أعلنها الإسلام، والتي هي من أوّليّات المبادئ التي رفع شعارها وتبنّاها في جميع المجالات.

امتيازات لا يقرّها الإسلام

لا يقرّ الإسلام بعض الامتيازات لأي أحد مهما كانت وظيفته، ولا لأي هيئة مهما كانت مكانتها، ومن هذه الامتيازات التي فقدت المشروعيّة في نظر الإسلام.

١ ـ تمييز رئيس الدولة

إنّ كثيراً من الأنظمة القديمة والحديثة اعتبرت رئيس الدولة ملكاً أو رئيساً للجمهوريّة، فإنّه غير خاضع للقانون بحجّة أنّه مصدر السلطات العليا في البلاد، وهو مصدر القانون فيعفى عن كلّ ما اقترفه، واعتبر ذلك الدستور الدانماركي والإسباني قبل إعلان الجمهوريّة، ونصّ على ذلك الدستور الإنجليزي، وأنّ ذات الملك مصونة ومقدّسة لا تسأل عن شيء.

وفي الدستور البلجيكي والمصري نصّا على أنّ ذات الملك مصونة لا تمسّ بسوء، وكذلك كان الحال في إيطاليا وفي رومانيا قبل إلغاء النظام الملكي فيهما.

واستمرّ الوضع على صيانة الملك وعدم مسؤوليّته عن كلّ تصرّف ممنوع على

---

(١) نهج البلاغة: ٤: ١٠٢، الخطبة ٤٣٧.

غيره حتّى القرن التاسع عشر ، فأعلن الدستور الفرنسي مسؤوليّة رئيس الجمهوريّة في حالة خيانته للشعب ، وأجاز ذلك دستور جيكوسلوفاكيا ـ قبل الانفصال ـ وغيره من بعض الأنظمة الحديثة .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **وَأَعْظَمُ ما افْتَرَضَ ـ سُبْحانَهُ ـ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوالي عَلَى الرَّعِيَّةِ ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَىٰ الْوالي ، فَريضَةٌ فَرَضَها اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لِكُلٍّ عَلَىٰ كُلٍّ ، فَجَعَلَها نِظاماً لِأُلْفَتِهِمْ ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلاحِ الْوُلاةِ ، وَلا تَصْلُحُ الْوُلاةُ إِلَّا بِاسْتِقامَةِ الرَّعِيَّةِ ، فَإِذا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَىٰ الْوالي حَقَّهُ ، وَأَدَّىٰ الْوالي إِلَيْها حَقَّها عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقامَتْ مَناهِجُ الدِّينِ ، وَاعْتَدَلَتْ مَعالِمُ الْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَىٰ أَذْلالِها السُّنَنُ ، فَصَلَحَ بِذٰلِكَ الزَّمانُ ، وَطُمِعَ في بَقاءِ الدَّوْلَةِ ، وَيَئِسَتْ مَطامِعُ الْأَعْداءِ** »[١] .

٢ ـ تمييز رؤساء الدول الأجنبيّة

نصّت القوانين الوضعيّة على إعفاء رؤساء الدول الأجنبيّة ، ملوكاً أو رؤساء جمهوريّات من محاكمتهم جرّاء ما يقترفونه من الجرائم المخلّة بالشرف وغيره في أيّ بلد آخر ، سواء دخلوا البلد بصفة رسميّة أم غيرها ، ولا يخصّ هذا الاعفاء نفس الرئيس وإنّما يشمل حاشيته لأنّ محاكمتهم تتنافى مع تكريم الضيف وتوقيره ، وهذا التكريم لا وجه له ؛ لأنّ الذي يقترف الأعمال المنافية للشرف قد أهان كرامته وخرج عن قواعد الضيافة والاحترام .

٣ ـ تمييز السلك الدبلوماسي

عفت القوانين الوضعيّة الموظّفين في السلك الدبلوماسي الذين يمثّلون الدول الأجنبيّة من محاسبتهم على ما يصدر منهم من أعمال تخريبيّة أو تجسّسيّة ،

---

(١) نهج البلاغة : ٢ : ١٩٩ ، الخطبة ٢١٦.

وغير ذلك ، فإنّه يعفى عنهم ، ويطرد من سفارة حكومته ، وحجّة الواضعين لذلك أنّ الممثّلين السياسيّين يمثّلون دولهم ، وليس لدولة أُخرى حقّ العقاب على من لا يكون من رعاياهم ، وأنّ الإعفاء عنهم ضروري وذلك لتمكينهم من أداء أعمالهم .

وهذه الحجّة واهية ، فإنّ الممثّلين السياسيّين في إحترام ما داموا يحترمون القانون فإذا شذّوا عن ذلك فإنّهم عرّضوا أنفسهم للمسؤوليّة .

٤ ـ تمييز أعضاء الهيئة التشريعيّة

عفت القوانين الوضعيّة ممثّلي الشعب في مجلس النيابة من العقاب على ما يقترفونه من أعمال منافية للقانون ، وقد أخذ الدستور العربي بهذا الاتّجاه ، فمنع مؤاخذة أعضاء البرلمان على ما يصدر منهم من الأعمال المجافية للقانون[١] ، وهذا الإعفاء اعتداء على مبدأ حقّ الشعب ومجافٍ لروح العدالة .

٥ ـ تمييز الأغنياء

ميّزت بعض القوانين الأغنياء عن الفقراء ، ومن أمثلة ذلك أنّ قانون تحقيق الجنايات في مصر يلزم الغاصب بالحبس لمقترفي بعض الجرائم ، لكن إذا دفع كفالة ماليّة أُجّل تنفيذ الحكم عليه حتّى يجري عليه حكم الاستئناف ، وكثير من أمثال هذه الاجراءات التي تميّز الأغنياء على الفقراء ، وذلك بدفع الضمانات الماليّة .

٦ ـ تمييز الشخصيّات البارزة

ميّزت بعض القوانين الوضعيّة رفع الدعوى عن المتّهم إذا كان من ذوي النفوذ ، كما إذا كان عضواً في البرلمان أو حاكماً ، فإنّ الدعوى لا تقبل عليه إلّا بعد استئذان الجهات العليا ، فإذا لم تجز فإنّه يكون بمأمن من العقاب .

---

(١) النظام السياسي في الإسلام : ٢١٣ ـ ٢١٥ .

ومن أمثلة هذا التمييز أنّ القانون المصري أجاز لمن وقع عليه ضرر أن يطالب بتعويض ما أصابه من ضرر، والمحاكم تقدّر هذا التعويض، فتراعي مركز الشخص المتضرّر، ومدى أهمّيّته، فإذا أُصيب مدير الشركة وعامل بضرر من المعمل وطالبا بتعويض فمدير الشركة تقدّر له تعويضاً ضخماً، بينما تقدّر للعامل تعويضاً تافهاً، وقد أدلى بذلك المرحوم عبدالقادر عودة، وعلّق عليه بقوله:

«هذه هي نظريّة المساواة كما تطلع علينا بها القوانين الوضعيّة الحديثة، وهي لا تزال مهيضة الجناح مقصوصة الأطراف لم تسوّ بين الرؤساء والمرؤوسين، والحاكمين والمحكومين، ولم تسوّ بين الفرد والفرد، ولا بين الجماعة والجماعة، ولا بين الغنيّ والفقير»[١].

إنّ القوانين الوضعيّة قد ميّزت بين الناس وهدّمت أُسس المساواة والعدالة.

إنّ المساواة العادلة بجميع صورها لا ظلّ لها إلّا في الشريعة الإسلاميّة التي ساوت في الأحكام والحقوق والواجبات بين جميع الناس، فلا فضل لأحد على أحد، ولا ميزة لقوم على آخرين، فليس في الإسلام رجال لا يخضعون للقانون وليس فيه ملوك وأُمراء أو شخصيّات لا تطبّق عليهم أحكام الدين وحدوده إذا شذّوا عن الطريق القويم.

إنّ القانون الإسلامي يُنفّذ على الجميع بلا استثناء، وليس هناك أحد غير مسؤول عن جريمته وخطئه.

لقد أعلن النبيّ ﷺ أروع صور المساواة، فقد روى المؤرّخون أنّ أعرابيّاً دخل عليه فأخذته هيبة النبيّ، فارتعدت فرائصه، فقال له النبيّ ﷺ: «**هَوِّنْ عَلَيْك، فَإِنّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إنَّما أَنا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيْدَ**»[٢].

---

(١) التشريع الجنائي الإسلامي: ١: ٣١١ ـ ٣١٥.

(٢) تاريخ بغداد: ٦: ٢٧٥.

هذه هي المساواة العادلة، وهذا هو الخلق الرفيع الذي حقّق العدل الاجتماعي، وحقّق أروع صور الحضارة، ونشر الأمن والسلام في الأرض، ولو أنّ المسلمين أخذوا به لكانوا سادة الأُمم والشعوب وقادة العالم إلى الأمن والإخاء والسلام.

ثالثاً: بناء الشخصيّة على المُثل الإسلاميّة

تبنّى الإسلام في دعوته الخلّاقة جميع الصفات الكريمة والمُثُل العليا التي يسمو بها الإنسان وترفعه إلى أرقى مدارج الكمال، فقد عنت بتهذيب الضمير، وإصلاح النفس، ونكران الذات، وإشاعة الفضيلة، وإسداء الخدمة والنفع للنّاس، فخير النّاس من نفع النّاس، كما في الحديث.

إنّ الطاقات النديّة الخلّاقة التي فجّرها الرسول ﷺ ورفع شعارها قد خلقت أُمّة كريمة رفعت رسالة الله تعالى، وأبلت في سبيله بلاءً حسناً، ونوّرت العقول، وأنارت الطريق، وهدت الأُمم والشعوب، وبنت لها حضارة قائمة على العدل الخالص والحقّ المحض، وكان شعارها أحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره لغيرك ما تكره لنفسك، كما كان شعارها الأمن والرخاء لجميع النّاس.

وعلى أي حال، فإنّا نعرض نماذجاً من المُثل الإسلاميّة التي أحبّ الإسلام أن يتحلّى بها المسلمون، وتكون من عناصرهم ومقوّماتهم، وهي:

نكران الذات

والشيء البارز في المثل الإسلاميّة نكران الذات، وتبنّي المصلحة العامّة، وكان ذلك من صفات النبيّ ﷺ وجزءً من حياته. فقد روى المؤرّخون أنّ شخصاً جاء النبيّ ﷺ فأخذته الرعدة من هيبته ﷺ، فتأثّر وقال له: «**وَيْلَكَ، إِنَّما أَنا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيْدَ**»[1].

---

(١) تاريخ بغداد: ٦: ٢٢. القديد: اللحم اليابس.

وعن النبيّ ﷺ : «**لَا تُطْرُوْني كَمَا أَطْرَتِ النَّصارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّما أَنا عَـبْدُ اللهِ ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[١].

أرأيتم هذا التواضع وعدم الاعتناء بمظاهر الحياة ، وكان من أخلاق أئمّة الهدى عليهم السلام ذلك ، وقد أكّدوا على ضرورته في كثير من أحاديثهم ، منها : «**أَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَه لِغَيْرِكَ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ**» .

على هذا الخطّ الرسالي المشرق أراد الإسلام أن يكون منهجاً للمسلمين في حياتهم .

الوعي الاجتماعي

من مظاهر التربية الإسلاميّة نشر الوعي الاجتماعي والديني بين المسلمين ، ففي الحديث المشهور والمتواتر : «**كُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» .

إنّه ليس من الإسلام في شيء أن لا يهتمّ المسلم بالشؤون العامّة في أُمّته ووطنه ، وإنّما عليه أن ينظر بعمق إلى مجريات الأحداث والشؤون السياسيّة الوافدة وغيرها التي تتّفق مع مصلحة المسلمين فيتبنّاها ، والمجافية لهم فيشجبها بكلّ قواه .

ومن صور الوعي الاجتماعي التبصّر بالأُمور والأحداث التي تنقلها وكالات الأنباء والصور الفضائيّة التي لا تتحرّى الواقع فيما تنشره وتبثّه من أنباء وأحداث ، وإنّما الغرض منها خدمة المصالح الاستعماريّة وغيرها ، وقد أمرنا القرآن الكريم بالتثبّت وعدم الاسراع في تصديق الأنباء . قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾[٢].

إنّ التبصّر في الأُمور من معالم التربية الإسلاميّة الرشيدة التي ينبغي للمسلم أن

---

(١) صحيح البخاري : ٤ : ١٤٢.

(٢) الحجرات ٤٩ : ٦.

يتربّى عليها، وتكون له منهجاً في سلوكه.

إنّ الإسلام حرّم التعويل على الظنّ والأخذ به. قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً** ﴾[1]، وندّد بالذين يعملون بالظنّ. قال تعالى: ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ** ﴾[2].

إنّ الظنّ الذي لا يستند إلى الدليل يؤدّي ـ على الأكثر ـ بصاحبه إلى الوهم الباطل، وقد اعتمد عليه الدهريّون الذين أنكروا الله تعالى، وأنكروا البعث والنشور، فقالوا: ﴿ **مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا الَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذٰلِكَ مِن عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴾[3].

ولم ينجرف الدهريّون إلى هذه العقائد السخيفة إلّا لتعويلهم على الظنّ الذي لا يغني من الحقّ شيئاً.

التربية النفسيّة

من مناهج التربية الإسلاميّة تربية النفس، والسيطرة على نزعاتها الشريرة التي تؤدّي إلى شقاء الإنسان وهلاكه. قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾[5].

---

(١) يونس ١٠: ٣٦.

(٢) النجم ٥٣: ٢٣.

(٣) الجاثية ٤٥: ٢٤.

(٤) النازعات ٧٩: ٤٠ و ٤١.

(٥) الشمس ٩١: ٧ ـ ١٠.

إنّ الإنسان فيه نفحة من روح الله تعالى تبعثه إلى الخير وضبط النفس عمّا نهى الله تعالى عنه ، وفيه نزعات قويّة وحادّة من نزعات الشيطان لا ضبط لها ولا حصر تدفعه إلى عالم من الشهوات التي تصدّه عن الطريق القويم ، وتلقيه في متاهات سحيقة من مآثم الحياة .

ومن الجدير بالذكر أنّ بعض الفلاسفة في ايران خطب في جماعة من أهل العلم ، فقال : ليس بيني وبين الله تعالى إلّا مسافة قدمين : قدم أضعها على النفس وقدم أضعها على الشيطان ، فانبرى إليه فيلسوف فقال له : طوّلت المسافة ، ليس بيننا وبين الله تعالى إلّا مسافة قدم واحد نضعها على النفس ، فإذا سيطرنا على النفس فقد هرب الشيطان .

إنّ الإسلام لاحظ بدقّة نشاطات الغرائز الشريرة ، فحدّد فعاليّاتها ، ودفع القوى الخيّرة للسيطرة على النفس ، وذلك بما أعدّه الله تعالى من النعيم الدائم للمتّقين ، قال تعالى : **﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾**(١) .

وقال تعالى : **﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾**(٢) .

أرأيتم هذا الوصف الرائع لنعيم الجنّة الذي يدفع الإنسان دفعاً إلى الاستقامة وعدم الاستجابة إلى دوافع الهوى والغرور .

ووصف تعالى ذلك النعيم الخالد بقوله : **﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ***

---

(١) المطفّفين ٨٣: ٢٢ ـ ٢٤.

(٢) الغاشية ٨٨: ٨ ـ ١٦.

لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾(٢).

إنّ هذا الجزاء العظيم يحرّر النفس من أفانين الشذوذ والانحراف، ويمدّها بطاقات كبيرة من النور.

ووصف تعالى العذاب المفزع الذي ينصبّ على من يتّبع قيادة هواه ويعرض عن ذكر الله تعالى، بقوله: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِن حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِن غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾(٣).

أرأيتم هذا الجزاء المفزع للذين صدّوا عن ذكر الله واتّبعوا أهواءهم وظلموا النّاس.

وقال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ

---

(١) الواقعة ٥٦: ١٥ ـ ٢٤.

(٢) الكهف ١٨: ١٠٧ و ١٠٨.

(٣) الحجّ ٢٢: ١٩ ـ ٢٢.

(٤) الحاقّة ٦٩: ٣٠ ـ ٣٧.

لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾[١].

إنّ هذا الجزاء الذي أعدّه الله تعالى للظالمين يرعب النفس ويملأها ذعراً وخوفاً، ومن الطبيعي أنّ ذلك يقيم الحواجز عن معاصي الله تعالى ويصدّ النفس عن ارتكاب الآثام.

إنّه ليس هناك شيء أملك لقيادة النفس ولا أكثر سيطرة عليها من عالم الخوف الذي يملك زمام النفس، ويكبح من نزواتها[٢].

تنمية الإرادة

وشيء بالغ الأهمّية في التربية الإسلاميّة، وهو أنّها تسعى لتنمية الإرادة وقوّتها في نفس الإنسان المسلم. ومن المؤكّد أنّ قوّة الإرادة لها الأثر الفعّال في بناء الشخصيّة القويّة التي لا تنحرف مع التيّارات المضلّلة، ولا تتصدّع أمام زوابع الفتن والأحداث.

إنّ الإسلام يمنح الإنسان المسلم طاقات من العزم والإرادة، ويجعله بمنجاة من عوامل الضعف والفزع والخوف.

لقد كان الرسول الأعظم ﷺ المثل الأعلى لقوّة العزم والتصميم، فقد وقف وحده صامداً أمام التيّارات الجاهليّة بقيادة الجاهلي أبي سفيان والد معاوية وجدّ يزيد، فلم يحفل بها، ومضى مجاهداً ومعه عمّه حامي الإسلام ومؤمن قريش بطل الدعوة الإسلاميّة أبو طالب، وابنه القائد الأعلى في الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ضاقت الأمور بأبي طالب، فقد أحاطت به زعماء قريش يهدّدونه ويتوعّدونه إن لم ينته ابن أخيه عن دعوته، فعرض ذلك عليه، فأجابه

---

(١) الصافّات ٣٧: ٦٢ ـ ٦٨.

(٢) النظام التربوي في الإسلام: ٢٢٠.

بهذه الكلمات التي سارت مع الفلك وارتسمت فيه لتكون نبراساً للمصلحين قائلاً: **«يا عَمّ، وَاللهِ لَوْ وَضعوا الشَّمْسَ بِيَميني وَالْقَمَرَ بِيَساري عَلىٰ أَنْ أَتْرُكَ هٰذَا الْأَمْرَ ما تَرَكْتُهُ حَتّىٰ أَمُوتَ دُونَهُ، أَوْ يُظْهِرَهُ اللهُ تَعالىٰ»**.

بهذه الإرادة الصلبة والعزم الجبّار تغلّب على جميع الأحداث، فطوى معالم الجاهليّة، وحطّم أصنامها، ورفع كلمة الله تعالى في الأرض، وبنى حياة جديدة للإنسان قائمة على الوعي والصلابة في الحقّ.

وطعّم النبيّ ﷺ أصحابه بهذه الإرادة، فكانوا على قلّتهم كالجبال، فهزموا قوى الشرك، وأقاموا الدولةالإسلاميّة العظمى التي تبنّت حقوق المظلومين والمضطهدين في الأرض، وتمثّلت هذه الإرادة النبويّة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي حصد رؤوس المشركين بسيفه، وأذلّ القوى المعادية للإسلام، وقهر اليهود وأذلّهم، وهو القائل: **«لَوْ تَظافَرَتْ الْعَرَبُ علىٰ قِتالي لَما فَرِرْتُ مِنْها»**.

إنّ هذه الإرادة الجبّارة التي هي نفحة من روح الله تعالى قد تمثّلت بأروع صورها عند سبط الرسول ﷺ أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، فقد وقف صامداً على صعيد كربلاء وهو يسجّل البطولات الرائعة، بطولات جدّه وأبيه، فخاطب عصابات الشرك والضلال قائلاً: **«فَإِنّي لا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعادَةً، وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمِينَ إِلَّا بَرَماً...»**.

وترجّل إلى ساحات الشرف ومعه النخبة الممجّدة من أهل بيته وأصحابه، وقابلوا تلك الجيوش ببسالة لم يعرف العالم لها نظيراً في جميع عمليات الحروب، حتّى استشهدوا جميعاً.

وقد تسلّحت بالصبر وقوّة الإرادة عقيلة بني هاشم زينب الكبرى حفيدة الرسول ﷺ، فلم يرَ في الدنيا نظيراً لها في بطولتها وقوّة عزمها، فقد خاطبت يزيد وهو في بهو أروقة حكمه قائلةً له: **«إِنّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَأَسْتَعْظِمُ تَوْبيخَكَ، وَأَسْتَكْثِرُ تَقْريعَكَ»**.

أرأيتم هذه الاستهانة والتحقير لهذا الطاغية المتجبّر الذي استهان بجميع القيم الإنسانيّة، إنّها حفيدة الرسول ﷺ التي غيّرت مجرى التأريخ بخطبها البليغة في أروقة الحكم الأموي، وعلى الجماهير الحاشدة في الكوفة، وقد ألبست الأمويّين ثياب العار والخزي، وأخرجتهم من حظيرة الإسلام.

وعلى أي حال، فإنّ قيمة الإنسان إنّما هي بقوّة إرادته وصلابة عزيمته، فإذا تجرّد عنها فليس بشيء.

يقول ديكارت: «ليس في الإنسان ما هو لاصق بشخصيّته أكثر من الإرادة.. إنّ قوّة الإرادة لها الأثر التامّ في تكوين الشخص وفي خلوده، وإنّ الشخص الضعيف الإرادة يستحيل أن يحقّق لنفسه ومجتمعه أي هدف من أهدافه».

التسلّح بالصبر

من مناهج التربية الإسلاميّة التسلّح بالصبر، وهو يدعو إلى تماسك الشخصيّة وتوازنها، وعدم انهيارها أمام محن الأيّام وخطوبها، وقد حثّ الإسلام على التحلّي به، وورد التأكيد عليه في الكتاب والسُّنّة.

في رحاب القرآن الكريم

ووردت آيات في كتاب الله العظيم تحثّ على الصبر منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[١].

وحكت الآية أنّ الأجر الجزيل يمنحه الله تعالى للصابرين بغير حساب.

٢ ـ قال تعالى: ﴿**وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾[٢].

---

(١) الزُّمر ٣٩: ١٠.

(٢) آل عمران ٣: ١٤٦.

وأي مكسب يظفر به الإنسان أعظم وأسمى من حبّ الله تعالى له ، فإنّ من يحبّه يدخله الجنّة ويغفر ما اقترفه من ذنوب .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُو يَعْمَلُونَ ﴾[١] .

إنّ الله تعالى يمنح الصابرين أجراً ومثوبة بأحسن ماكانوا يعملون من الحسنات .

٤ ـ قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[٢] .

إنّ الصبر نفحة من نفحات الله تعالى يعتصم به المؤمن فيتّقي به المكاره والمصاعب ، ولولاه لانهارت قواه وأصبح عاجزاً عن السير في معترك الحياة .

ولأهمّيته البالغة فقد ذكره القرآن الكريم في سبعين آية ، ولم يذكر فضيلة أُخرى بهذا العدد .

في ظلال السُّنّة

وحثّ الأئمّة عليهم السلام على التمسّك بالصبر ، وقد أُثرت عنهم أحاديث كثيرة فيه ، منها :

١ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ»[٣] .

٢ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام : «الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكارِهِ وَالصَّبْرِ ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكارِهِ في الدُّنْيا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَجَهَنَّمُ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذاتِ وَالشَّهَواتِ ، فَمَنْ أَعْطىٰ نَفْسَهُ لَذَّتَها وَشَهْوَتَها دَخَلَ النّارَ»[٤] .

---

(١) النحل ١٦ : ٩٦.

(٢) السجدة ٣٢ : ٢٤.

(٣) شرح نهج البلاغة : ١٨ : ٤١٥.

(٤) الكافي : ٢ : ٨٩.

٣ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام : «**الصَّبْرُ مِنَ الْإيمانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، فَإذا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ ، كَذلِكَ إِذا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الْإيمانُ**»[١].

٤ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : «**لَمّا حَضَرَتْ أَبي الْوَفاةُ ضَمَّني إِلىٰ صَدْرِهِ وَقالَ: يا بُنَيَّ ، اصْبِرْ عَلَى الْحَقِّ وَإِنْ كانَ مُرّاً تُوَفَّ أَجْرَكَ بِغَيْرِ حِسابٍ**»[٢].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث عن أهل بيت النبوّة ، وهي تحثّ المسلمين على التمسّك بالصبر ، فإنّه تسلية لنفوس الذين يعانون من محن الأيّام وخطوبها ، فالصبر بلسم لها .

أنواع الصبر

الصبر على أنواع ذكرها علماء الأخلاق ، وهي :

الصبر على نوائب الزمن وحوادث الأيّام ، وقد حرّضت الآية الكريمة على الاعتصام به .

قال تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾[٣].

الصبر على طاعة الله تعالى ، وهو من أفضل أنواع الصبر .

قال الإمام الصادق عليه السلام : «**اصْبِروا عَلىٰ طاعَةِ اللهِ وَتَصَبَّروا عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، فَإِنَّما الدُّنْيا ساعَةٌ ، فَما مَضىٰ فَلَسْتَ تَجِدُ لَهُ سُروراً وَلا حَزْناً ، وَما لَمْ يَأْتِ فَلَسْتَ تَعْرِفه ، فاصْبِرْ عَلىٰ تِلْكَ السّاعَةِ**»[٤].

---

(١) الكافي : ٢ : ٨٧.

(٢) الوافي : ٣ : ٦٥. وسائل الشيعة : ١٥ : ٢٣٨.

(٣) البقرة ٢ : ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٤) الكافي : ٢ : ٤٥٩.

وقال الإمام الصادق عليه‌السلام : «**إذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ يَقُومُ عُنُقٌ مِنَ النّاسِ فَيأْتُونَ بابَ الْجَنَّةِ فَيَضْرِبُونَهُ ، فَيُقالُ لَهُمْ: مَنْ أَنْتَمْ ؟**

فَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ الصَّبْرِ.

فَيُقالُ لَهُمْ: عَلىٰ ما صَبَرْتُمْ ؟

فَيَقولونَ: كُنّا نَصْبِرُ عَلىٰ طاعَةِ اللهِ تَعالىٰ ، وَنَصْبِرُ عَنْ مَعاصي اللهِ تَعالىٰ.

فَيَقولُ اللهُ تَعالىٰ: صَدَقوا أَدْخِلوهُمُ الْجَنَّةَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١]»[٢].

الصبر في مواطن الخوف ، وهو في ميدان الحرب ، والصبر على وقاية النفس والعِرض والمال .

هذه بعض أنواع الصبر ، وذكرت كتب الأخلاق صوراً أُخر له .

إنّ الصبر بمفهومه الواسع الذي تبنّاه الإسلام من أبرز الفضائل النفسيّة ، وأكثرها عائدة على الإنسان بالنفع ، وقد قيل : إنّ أعزّ الشعوب ، وأرفعها شأناً ، وأعزّها سلطاناً هو الشعب الذي عرف بالصبر والثبات في مواطن الأخطار ، والصمود أمام الزوابع .

وليس من الصبر في شيء الاستسلام للمكروه والتقاعد عن دفعه بالوسائل المشروعة .

كما أنّه ليس من الصبر الخلود إلى الراحة ، وانتظار أسباب الرزق ، فإنّه منافٍ لما أمر به الإسلام من السعي في الأرض لطلب الرزق . قال تعالى : ﴿ **فَامْشُوا فِي**

---

(١) الزمر ٣٩: ١٠.

(٢) الكافي : ٢: ٧٥.

مَنَاكِبِها وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ﴾[(١)]، فإنّ الواجب السعي لتحصيل العيش، ولا تجوز البطالة بحال من الأحوال، فإنّها من ضروب الجهل وخمول الفكر، ومن أبواب الموبقات والرذائل[(٢)].

الشجاعة

من العناصر المهمّة في تكوين شخصيّة الإنسان هي الشجاعة، فهي تحمل صاحبها على ضبط النفس حينما تتلبّد الأجواء بالأحداث الجسام، وعدم انهيارها عند مداهمة الخطوب والكوارث.

إنّ الإسلام أوْلى اهتمامه البالغ بغرس هذه الظاهرة الفذّة في نفوس المسلمين، وأكّد على رعايتها في جميع مجالاتها التربويّة والنفسيّة، وقد برز إلى ساحات البطولات وميادين التضحية كوكبة من أعلام الإسلام، فتسابقوا إلى اعتناق السيوف والرماح حتّى استطاعوا على قلّتهم أن يهزموا قوى الشرك والإلحاد، ويقيموا دولة الإسلام، وفي طليعة هؤلاء الأفذاذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهو من أشجع النّاس قلباً، وأثبتهم جناناً، وأربطهم جأشاً، وهو صاحب المواقف المشهودة والمقامات المشهورة كيوم بدر والأحزاب وأُحد وخيبر وغيرها، ولم يحجم في تلك المواقف، وإنّما مضى قدماً ومجاهداً في سبيل الله تعالى، وهو القائل:

«لَا تَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً وَلَوْ أَسْلَمَنِي النّاسُ جَمِيعاً لَمْ أَكُنْ مُتَضَرِّعاً».

وقد استوعبت مواقفه البطوليّة جميع لغات الأرض، فكان فيما أجمع عليه المؤرّخون من ألمع صور الشجاعة والبطولات في العالم بأسره.

---

(١) الملك ٦٧: ١٥.

(٢) النظام التربوي في الإسلام: ٢٣٧.

وارتقى من بعده في هذا الميدان المشرق ولده الإمام الحسين أبو الأحرار، وقائد الحركات التحرّريّة في الإسلام، فكان نسخة لا ثاني لها في البطولات في العالم بعد أبيه، فقد استقبل السيوف والرماح في صعيد كربلاء بثغر باسم غير حافل بشهادة الكوكبة من أصحابه وأهل بيته.. لقد وقف أبي الضيم كالطود الشامخ وهو يلقي على الدنيا أروع الدروس من الكرامة والإباء ونكران الذات، وقد خاطب العصابات المجرمة من جيوش بني أُميّة قائلاً:

«وَاللهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدي إِعْطاءَ الذَّلِيلِ، وَلَا أَقِرُّ لَكُمْ إِقْرارَ الْعَبِيدِ، ...

أَلَا وَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَالْحَياةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَماً...».

وقد تحامت جيوش الشرك من الاجهاز عليه خوفاً منه، وهو صريع على الأرض. يقول السيّد حيدر:

فَما أَجْلَتِ الحَرْبُ عَنْ مِثْلِهِ   صَرِيعاً يُجَبِّنُ شُجْعانَها

وبقي صامداً لم يجزع أمام تلك الكوارث المذهلة التي تزعزع من هولها الجبال، وقد سجّل بمواقفه العظيمة أعظم الانتصارات للإسلام، وبقي صورة مشرقة في سماء العالم تنير الطريق لجميع الشعوب المكافحة عن حرّيّتها واستقلالها.

الشجاعة الأدبيّة

ونعني بها الجهر بالحقّ بشجاعة وبسالة ونكران للذات، وهذا ما يريده الإسلام للمسلم أن يكون قائلاً بالحقّ غير هيّاب ولا خائف ولا وجل، وقد جاء في الحديث: «**قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ كانَ مُرّاً**».

وفي حديث آخر: «**لَا تَخَفْ في الْحَدِيثِ لَوْمَةَ لَائِمٍ**».

وقال النبيّ ﷺ: «**إذا رَأَيْتَ أُمَّتي تَهابُ الظّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ: إِنَّكَ ظالِمٌ، فَقَدْ تَوَدَّعَ**

مِنْها».

وفي حديث للإمام أمير المؤمنين مع ولده الإمام الحسن عليهما السلام: «**وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُما كَانَ**».

ومن وصيّته لأمراء جيشه: «**وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ**».

ومن أبرز الصحابة الذين كانوا يملكون الشجاعة الأدبيّة الصحابي العظيم أبوذرّ الغفاري، فقد اندفع بوحي من عقيدته الإسلاميّة أن يجهر بالحقّ في أحلك الظروف السياسيّة وأشدّها عنفاً، فقد قاوم السلطة الأمويّة بزعامة عثمان بن عفّان الذي حوّل البلاد الإسلاميّة إلى مزرعة للأمويّين وعملاء سلطته، فصاح أبو ذرّ في وجهه وطالبه بالاعتدال في سياسته، فلم يعن عثمان بذلك.

إنّ صيحة أبي ذرّ كانت صيحة رجل يقظ وعى الإسلام، ووقف على أهدافه وواقعه، فأنكر على عثمان سياسته التي تدعو إلى التلاعب بمقدّرات الدولة ونهب ثروات الأمّة، ومنحها للوجوه والأعيان في حين أنّ المجاعة قد عمّت جميع أنحاء البلاد.

يقول السيّد قطب:

«إنّ صيحة أبي ذرّ كانت دفعة من دفعات الروح الإسلامي أنكرها الذين فسدت قلوبهم، ولا يزال ينكرها أمثالهم من مطايا الاستغلال في هذه الأيّام. لقد كانت هذه الصيحة يقظة ضمير لم تخدّره الأطماع، أمام تضخّم فاحش في الثروات يفرّق الجماعة الإسلاميّة طبقات، ويحطّم الأسس التي جاء هذا الدين ليقيمها»[1].

---

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام: ٢١١.

لقد انطلق أبو ذرّ بكلّ بسالة وشجاعة إلى شجب سياسة شيخ الأمويّين وعميدهم ، ويبدي سخطه البالغ على تصرّفاته التي شذّت عن كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ، فنفاه عثمان إلى الربذة ليس فيها أي مورد للعيش ، فمات جوعاً وفي يد عثمان ذهب الأرض يصرفه بسخاء على بني أُميّة وآل أبي معيط ، ويحرمه على هذا الصحابي العظيم الذي وهب حياته لله تعالى ، وهو كما قال النبيّ ﷺ فيه : «**إِنَّهُ شَبيهُ الْمَسيحِ عيسى بْنِ مَرْيَم في هَدْيِهِ وَسَمْتِهِ**».

وعلى أي حال ، فإنّ الجرأة الأدبيّه وشجب السياسة القاتمة التي لا تعنى بالحقّ كانت السمت البارز لقادة الشيعة ، فقد اندفعوا بحماس بالغ إلى شجب السياسة الأمويّة ، فهذا حجر بن عديّ الزعيم الشيعي قد ثار في وجه الأمويّين وعملائهم ، وأعلن كلمة الحقّ ، وقد اعتقله الطاغية معاوية ابن هند ، ثمّ أعدمه في مرج عذراء ، وهذا عبدالله بن عفيف الأزدي صاحب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثار في وجه الطاغية المجرم عبيدالله بن زياد حينما خطب في جامع الكوفة بعد قتله لسيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام ، فقد فتح خطابه بقوله :

« الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَظْهَرَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ وَنَصَرَ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ وَأَشْياعَهُ ، وَقَتَلَ الْكَذّابَ ـ يعني الإمام الحسين عليه السلام ـ ابْنَ الْكَذّابِ ! ».

ولم يزد على هذه الكلمات حتّى ردّ عليه بهذه الكلمات التي كانت كالصاعقة على رأس الطاغية قائلاً بأعلى صوته :

« إِنَّ الْكَذّابَ ابْنَ الْكَذّابِ أَنْتَ وَأَبُوكَ ، وَمَنِ إِسْتَعْمَلَكَ وَأَبُوهُ ـ وهو يزيد ـ ، يا عَبْدَ بَني عِلاج ، يا عَدُوَّ اللهِ ، أَتَقْتُلُونَ أَبْناءَ النَّبِيِّينَ وَتَتَكَلَّمُونَ بِهٰذَا الْكَلامِ وَتَصْعَدُونَ عَلىٰ مَنابِرِ الْمُسْلِمينَ . . .

واغَوْثاهُ ، أَيْنَ أَبْناءُ الْمُهاجِرينَ وَالْأَنْصارِ لِيَنْتَقِمُوا مِنْكَ وَمِنْ طاغِيتِكَ اللَّعِينِ ابْنِ اللَّعِينِ ـ مشيراً إلى يزيد وأبيه معاوية ـ عَلىٰ لِسانِ النَّبي الْأَمِين ؟ ».

وهذه عقيلة بن هاشم حفيدة الرسول ﷺ قد خاطبت الإرهابي الرجس الأثيم ابن مرجانة حين أظهر شماتته بقتل الإمام الحسين عليه السلام فقالت له:

«هٰؤُلاءَ قَوْمٌ ـ وأشارت إلى الإمام الحسين عليه السلام والكواكب من أهل بيته وأصحابه ـ **قَدْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقَتَلَ، فَبَرَزُوا إِلىٰ مَضاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتَحاجُّ وَتُخاصَمُ، فَانظُرْ لِمَنِ الْفَلَجُ يَوْمَئِذٍ، ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَابْنَ مَرْجانَةَ**».

فكانت هذه الكلمات كالصاعقة على رأس هذا المجرم الحقير، وحينما وقفت في قصر الطاغية وهو يعلن زهوه وشماتته لإبادته عترة رسول الله ﷺ انبرت وهي أسيرة بكلّ شجاعة قائلة في خطابها التأريخي الخالد:

«**إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَأَسْتَعْظِمُ تَوْبِيخَكَ، وَأَسْتَكْثِرُ تَقْرِيعَكَ**».

وأضافت قائلةً:

«**فَكِدْ كَيْدَكَ، وَاسْعَ سَعْيَكَ، وَناصِبْ جَهْدَكَ، فَوَاللهِ لَا تَمْحُو ذِكْرَنا، وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنا، وَلَا تُدْرِكُ أَمَدَنا، وَلَا تَرْحَضُ عَنْكَ عارَها.**

وَهَلْ رَأْيُكَ إِلَّا فَنَد، وَأَيّامُكَ إِلَّا عَدَد، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَد، يَوْمَ يُنادِي الْمُنادِي: أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ».

وقد أنزلت حفيدة الرسول وبطلة الجهاد الطاغية من عرشه إلى قبره، ولم يطق أن يتكلّم بحرف واحد.. وقد ورثت هذه الشجاعة من جدّها وأبيها الذين هم من معدن البطولات في الأرض.

وظهر على مسرح البطولات الكميت الشاعر الملهم العظيم، فقد قابل الأمويّين بالهجاء المقذع، وأشاد بفضل السادة العلويّين، فقال:

سـاسَةٌ لاكَـمَنْ يَـرىٰ رَعِـيَّةَ ... النّاسِ سَواءً ورَعِيَّةَ الأغـنامِ
لاكَـعَبدِ المَـليكِ أو كَـوَليدٍ ... أَوْ سُـلَيمانَ بَـعدُ أَوْ كَـهُشامِ

وهجا الطاغية هشام بقوله :

مُصيبٌ عَلَى الأعْوادِ يومَ رُكوبِها ... بِما قالَ فيها مُخْطِئٌ حينَ يَنْزِلُ
كَلامُ النَّبِيِّينَ الهُداةِ كَلامُنا ... وَأَفْعالُ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ نَفْعَلُ

وخاطب الأمويّين بهذا الشعر الجريء :

فَقُل لبَني أُمَيَّةَ حيثُ كانوا ... وَإِنْ خِفْتَ المُهَنَّدَ وَالقَطيعا
أَجاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعتُموهُ ... وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَورِكُمْ أُجيعا

وبالغ الأمويّين في اضطهاده وإرهاقه ، ولكنّه ازداد تصلّباً لعقيدته وإيماناً بمبادئه .

وظهر على مسرح البطولات شاعر آخر ، وهو الفرزدق ، فانتقد الأمويّين ، وجاهر في ذمّهم ، وانتصر للسادة من أهل البيت دعاة الحقّ والعدل في دنيا الإسلام ، وكان من أهمّ مواقفه المشرّفة مدحه للإمام زين العابدين عليه السلام ، وانتقاصه لهشام بن عبدالملك الذي أنكر معرفة الإمام أمام أهل الشام ، فقال يخاطبه :

هذا الَّذي تَعْرِفُ الْبَطْحاءُ وَطْأَتَهُ ... وَالبَيتُ يَعرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خَيرِ عِبادِ اللهِ كُلِّهُمُ ... هذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطاهِرُ العَلَمُ
ولَيسَ قَولُكَ مَنْ هذا بِضائِرِهِ ... العُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ والعَجَمُ

وتعرّض لسخط الأمويّين ونقمتهم إلّا أنّه لم يحفل بذلك ، فانطلق يهجو هشام بجرأة بقوله :

يُقلِّبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رأسَ سَيِّدٍ ... وَعَيْناً لهُ حَولاءَ بادٍ عُيوبُها

وهذا دعبل الخزاعي شاعر المظلومين والمضطهدين قد جهر بالحقّ ، ونقم على ملوك العبّاسيّين الذين جهدوا على ظلم الرعية وإرهاقها ، فقد هجا الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم ، وإبراهيم بن المهدي ، وكان من أروع هجائه ، وأكثره صلابة

الحقّ ما قاله في المعتصم : لماغية هشام بقوله :

وقامَ إمامٌ لمْ يَكُن ذا هدايةٍ عَلَى الأعْوادِ يومَ رُكوبِها بِما قالَ فيها مُخْطِئٌ حينَ

مُلوكُ بَني العبّاسِ في الكُتْبِ سَبْعةٌ النَّبيّينَ الهُداةِ كَلامُنا وَأَفْعالُ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ نَـ

كَذلِكَ أهلُ الكَهْفِ في الكَهْفِ سَبْعةٌ

، الأمويّين بهذا الشعر الجريء :

وإنّي لأُعْلي كَلبَهُم عَنْكَ رِفْعَةً

ل لبَني أُمَيّةَ حيثُ كانوا وَإِنْ خِفْتَ المُهَنَّدَ وَالقَطيعا

لقد اندفع هذا العملاق العظيم بو ـاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعتُموهُ وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَورِكُمُ أُجيعا

ناهضة الجور، فهجا الظالمين من -

عنوا في إذلالها وقهرها، ولم يستط مويّين في اضطهاده وإرهاقه، ولكنّه ازداد تصلّباً لعقيدته وإيماناً

الح البؤساء والمحرومين سوى أعلى مسرح البطولات شاعر آخر، وهو الفرزدق، فانتقد الأمويّين

وانتصر للسادة من أهل البيت دعاة الحقّ والعدل في دنيا الإسلا

الحلم

اقفه المشرّفة مدحه للإمام زين العابدين عليه السلام، وانتقاصه لهـ

من الصفات الرفيعة التي أكّد عـالذي أنكر معرفة الإمام أمام أهل الشام، فقال يخاطبه :

عنى القرآن الكريم والسُّنّة الشريفلّذي تَعْرِفُ الْبَطْحاءُ وَطْأَتَهُ وَالبَيتُ يَعرِفُهُ والحِلُّ والحَـ

في رحاب القرآن الكري

ابنُ خَيرِ عِبادِ اللهِ كُلِّهِمُ هذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطاهِرُ العَـ

ن قَولُكَ مَنْ هذا بِضائِرِهِ العُرْبُ تَعرفُ مَنْ أَنْكَرْتَ والعَـ

أثنى القرآن الكريم على الحلم في

١ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْـ لسخط الأمويّين ونقمتهم إلّا أنّه لم يحفل بذلك، فانطلق يهـ

ك وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَـ :

يم﴾[1]. ـبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رأسَ سَيِّدٍ وَعَيْناً لَهُ حَولاءَ بادٍ عُيوبُـ

إنّ الذي يدفع بالتي هي أحسن هودعبل الخزاعي شاعر المظلومين والمضطهدين قد جهر بالحقّ، و

اسيين الذين جهدوا على ظلم الرعية وإرهاقها، فقد هجا الرشيد

فصّلت ٤١: ٣٤ و ٣٥. والمعتصم، وإبراهيم بن المهدي، وكان من أروع هجائه، وأكثـ

هذا الخلق الرفيع أنّ العدوّ اللدود المتمادي في عدائه يصبح صديقاً حميماً ، وكانت سيرة أئمّة الهدى عليهم السلام على هذه الخطّة ، فقد قابلوا من أساء إليهم بالعفو والصفح ، وأغدقوا عليهم الإحسان والمعروف حتّى أصبح العدوّ لهم صديقاً مخلصاً .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾(١) .

من أبرز صفات الحليم أنّه إذا التقى بجاهل لا وعي له قابله بالتحيّة والسلام ليتّقي شرّه .

٣ ـ قال الله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢) .

إنّ من صفات الحليم المحسن الذي يحبّه الله تعالى كظم الغيظ والعفو عن المسيئ إليه .

٤ ـ قال الله تعالى في صفة شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾(٣) .

٥ ـ قال الله تعالى لرسوله محمّد صلى الله عليه وآله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(٤) .

إنّ الحلم من أبرز الصفات النفسيّة ، وأكثرها دلالة على سعة الصدر وعلوّ الهمّة .

في ظلال السُّنّة

وتظافرت الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وعن أئمّة الهدى : في تعظيم الحلم ، وإكبار

---

(١) الفرقان ٢٥ : ٦٣ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٣٤ .

(٣) هود ١١ : ٧٥ .

(٤) الأعراف ٧ : ١٩٩ .

المتّصفين به، وهذه بعضها:

١ - قال النبيّ ﷺ: «**اللّهُمَّ أغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزَيِّنّي بِالْحِلْمِ**»(١).

٢ - قال رسول الله ﷺ: «**ما أعزَّ اللهُ بِجَهْلٍ قَطُّ، وَلا أذَلَّ اللهُ بِحِلْمٍ قَطُّ**»(٢).

٣ - قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مالُكَ وَوُلْدُكَ، وَلكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ**»(٣).

٤ - سمع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يشتم قنبراً، ورام قنبر أن يردّ عليه، فناداه، وقال له: «**يا قَنْبَر، دَعْ شاتِمَكَ مُهاناً، تُرْضِي الرَّحْمنَ، وَتُسْخِطُ الشَّيْطانَ، وَتُعاقِبُ عَدُوَّكَ، فَوالَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، ما أَرْضى الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ بِمِثْلِ الْحِلْمِ، وَلا أَسْخَطَ الشَّيْطانَ بِمِثْلِ الصَّمْتِ، وَلا عوقِبَ الْأَحْمَقُ بِمِثْلِ السُّكوتِ**»(٤).

٥ - قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَوَّلُ عِوَضُ الْحَليمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النّاسَ أَنْصارُهُ عَلَى الْجاهِلِ**»(٥).

٦ - قال الإمام الصادق عليه السلام: «**كَفىٰ بِالْحِلْمِ ناصِراً**»(٦).

٧ - قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**إِنَّهُ لَيُعْجِبُني الرَّجُلُ أَنْ يُدْرِكَهُ حِلْمُهُ عِنْدَ غَضَبِهِ**»(٧).

وكانت هذه الظاهرة الكريمة من صفات أئمّة أهل البيت:، فكان الإمام

---

(١) بحار الأنوار: ٩٧: ٣٦٨.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ١٢٠.

(٣) نهج البلاغة: ٤: ٢١، الخطبة ٩٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨: ٢٥٠.

(٤) أمالي المفيد: ١١٨.

(٥) شرح نهج البلاغة: ١٩: ٢٦.

(٦) و(٧) أُصول الكافي: ٢: ١٢٠.

الحسن عليه‌السلام سبط رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وريحانته وسيّد شباب أهل الجنّة مضرب المثل في سعة حلمه، وقد شهد له بذلك مروان بن الحكم حينما بادر إلى حمل جنازته فبهر الإمام الحسين عليه‌السلام ، وقال له: **أَتَحْمِلُ الْيَوْمَ جِنازَتَهُ، وَقَدْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ تُجَرِّعُهُ الْغَيْظَ**.

فقال مروان: إني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال[1].

وكان الإمام موسى بن جعفر عليهما‌السلام من أكثر النّاس حلماً، وأوسعهم صدراً، حتّى لقّب بالكاظم لكظمه الغيظ، وقد أوصى عليه‌السلام ولده بهذه الوصيّة القيّمة، قال لهم: «**يا بَنِيَّ، إِنّي موصيكُم بِوَصِيَّةٍ فَمَنْ حَفِظَها لَمْ يَضِعْ مَعَها، إنْ أَتاكُم آتٍ فَأَسْمَعَكُم في الْأُذُنِ الْيُمْنىٰ مَكْرُوهاً، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى الْأُذُنِ الْيُسْرىٰ فَاعْتَذَرَ وَقالَ: لَمْ أَقُلْ شَيْئاً، فَاقْبَلوا عُذْرَهُ**»[2].

وروى المؤرّخون عن حلم الإمام الكاظم عليه‌السلام أنّ رجلاً من أحفاد عمر بن الخطّاب كان يؤذي الإمام عليه‌السلام ويشتم آباءه، فقال للإمام بعض حاشيته: دعنا نقتل هذا الفاجر فنهاهم عن ذلك، وسأل عن مكانه، فأخبروه أنّه في مزرعة من نواحي المدينة، فركب عليه‌السلام بغلته ومضى إليه فوجده في المزرعة، فصاح بالإمام: لا توطئ زرعنا، فلم يجد الإمام بدّاً فسلك في المزرعة وقابله بمنتهى التكريم، وقال له: **كَمْ غَرِمْتَ عَلىٰ زَرْعِكَ؟**

فقال الرجل: مائة دينار.

قال عليه‌السلام : **كَمْ تَرْجو أَنْ تُصيبَ مِنْه؟**

فقال الرجل: لست أعلم الغيب.

فقال عليه‌السلام : «**إِنَّما قُلْتُ لَكَ: كَمْ تَرْجو أَنْ يَجيئَكَ مِنْه؟**

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤: ٥.

(٢) كشف الغمّة: ٢: ٢١٨.

فأجابه الرجل: أرجو أن يجيئني منه مائتا دينار.

وأخرج الإمام عليه السلام صرّة فيها ثلاثمائة دينار، وقال له: **هٰذا زَرْعُكَ عَلىٰ حالِهِ، وَاللهُ يَرْزُقُكَ فيهِ ما تَرْجُو**، وقام الرجل فقبّل رأس الإمام عليه السلام وسأله أن يصفح عنه، فتبسّم الإمام وانصرف، وقفل الإمام راجعاً إلى المسجد، فوجد الرجل جالساً، فقام إليه رافعاً عقيرته قائلاً: الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء.

وقابل الإمام جلساءه وأخبرهم بما صنع معه من المعروف، الذي غيّر حالته وقال لهم: **أَيُّما كانَ خَيْراً: ما أَرَدْتُم أَمْ ما أَرَدْتُ. إِنِّي أَصْلَحْتُ أَمْرَهُ بِالْمِقْدارِ الَّذي عَرَفْتُمْ، وَكَفَيْتُ شَرَّهُ**(١).

إنّ الحلم يقضي على كثير من المشاكل، ويحسم التنافر، ويوجب نشر المحبّة والمودّة بين النّاس، فلذا اهتمّ الإسلام به اهتماماً بالغاً، ودعا المسلمين إلى التحلّي به.

الإحسان

الإحسان إلى النّاس من المناهج التربويّة التي تبنّاها الإسلام، فإنّه يشيع المودّة والحبّ بين النّاس، فقد جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها، وقد دعا إليه القرآن الكريم في كوكبة من الآيات منها:

١ - قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾(٢).

٢ - قال تعالى: ﴿**مَن جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِهَا**﴾(٣).

٣ - قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبىٰ وَيَنْهىٰ**

---

(١) تاريخ بغداد: ١٣: ٢٨ و ٢٩.

(٢) النساء ٤: ١٢٥.

(٣) الأنعام ٦: ١٦٠.

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾[١].

٤ ـ قال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾[٢].

٥ ـ قال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُم مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾[٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الْإِحْسانُ قائِدٌ وَدَليلٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِ»[٤].

إنّ الإحسان إلى النّاس في شريعة الإسلام من أفضل الوسائل الهادفة إلى نشر المحبّة والمودّة بين النّاس التي هي من أهمّ الركائز في بناء المجتمع الإسلامي.

العفو

من الصفات الكريمة التي دعا إليها الإسلام العفو عن المعتدي والصفح عن المسيئ، وقد حثّ القرآن الكريم في كثير من الآيات على التحلّي بهذه الصفة الرفيعة. قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٥].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[٦].

أمّا كتب الحديث فقد حفلت بالكثير من الأخبار التي أُثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله،

---

(١) النحل ١٦: ٩٠.

(٢) لقمان ٣١: ٢٢.

(٣) النمل ٢٧: ٨٩.

(٤) الجعفريّات: ٥٥.

(٥) التغابن ٦٤: ١٤.

(٦) فصّلت ٤١: ٣٤.

وهي تحثّ المسلمين على العفو، فقد جاء عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ خَلائِقِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ؟ الْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَالْإِحْسانُ إِلىٰ مَنْ أَساءَ إِلَيْكَ، وَإِعْطاءُ مَنْ حَرَمَكَ**»[1].

وقال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالْعَفْوِ، فَإِنَّ الْعَفْوَ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا عِزّاً، فَتَعافُوا يُعِزَّكُمُ اللهُ**»[2].

وكانت هذه النزعة الشريفة من صفات النبيّ ﷺ، فقد قابل من أساء إليه بالعفو والإحسان، فقد عفا عن مشركي قريش الذين آذوه وسخروا منه، وأخرجوه من دياره، وقادوا الجيوش لمحاربته، وعذّبوا أشدّ أنواع العذاب مَن آمن برسالته، ولم يتركوا لوناً من ألوان الظلم إلّا صبّوه عليه، ولمّا فتح الله تعالى له الفتح المبين واحتلّ مكّة خاطبهم قائلاً: **ما تُرَوْنَ أَنِّي فاعِلٌ بِكُمْ؟**

فانبروا جميعاً قائلين: أخ كريم، وابن أخ كريم.

فأصدر عفواً عامّاً لهم قائلاً: **اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقاءُ**...

ومن معالي إحسانه ما رواه أنس بن مالك، قال: كنت مع النبيّ ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية، فجذبه أعرابي من ردائه جذبة شديدة حتّى أثّرت حاشية البرد في عنقه، وقال له بنبرات غيظ وغضب: يا محمّد، احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنّك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك.

فأجابه النبيّ ﷺ: **الْمالُ مالُ اللهِ، وَأَنا عَبْدُهُ**...

ثمّ خاطب الأعرابي قائلاً: **وَيُقادُ مِنْكَ يا أَعْرابِيُّ ما فَعَلْتَ؟** أشار النبيّ ﷺ إلى اعتدائه عليه.

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ١٠٧.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٠٨.

فقال الأعرابي : لا .

- **لِمَ ؟**

- لأنك لا تكافئ بالسيّئة السيّئة .

فتبسّم النبيّ صلى الله عليه وآله وأمر بأن يحمل له على بعير شعير ، وعلى الآخر تمر[١] .

وهكذا كان أوصياؤه أئمّة أهل البيت : ، فقد وری المؤرّخون أنّ الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام قابله رجل بالسبّ والشتم ، فأراد من كان مع الإمام أن ينتقموا منه ، فنهاهم عن ذلك وقال للرجل : « **يا هذا ، أنا أَكْثَرُ مِمّا تَقُولُ ، وَما لَا تَعْرِفُهُ أَكْثَرُ مِمّا عَرِفْتَهُ** » .

فخجل الرجل واستحيى من الإمام عليه السلام ، فقام الإمام وخلع عليه قميصه ، وأمر له بألف درهم ، وطفق الرجل قائلاً : « أشهد أنّ هذا الشاب من نسل رسول الله صلى الله عليه وآله »[٢] .

ومن أمثلة ذلك أنّ شخصاً من أهل الشام اجتاز على الإمام الزكيّ الحسن عليه السلام ، فأخذ يشتمه ، وبعد انتهائه قابله الإمام ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً له :

« **أَيُّها الشَّيْخُ ، أَظُنُّكَ غَرِيباً ، لَوْ سَأَلْتَنا أَعْطَيْناكَ ، وَلَوِ اسْتَرْشَدْتَنا أَرْشَدْناكَ ، وَلَوِ اسْتَحْمَلْتَنا حَمَلْناكَ ، وَإِنْ كُنْتَ جائِعاً أَطْعَمْناكَ ، وَإِنْ كُنْتَ مُحْتاجاً أَغْنَيْناكَ ، وَإِنْ كُنْتَ طَرِيداً آوَيْناكَ** » .

وما زال الإمام عليه السلام يلاطفه بهذه الكلمات الناعمة حتّى قلع روح الشرّ من نفسه ، فلم يطق أن يتكلّم بكلمة إلّا بطلب العفو عنه قائلاً : « الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء »[٣] .

---

(١) الشفا بتعريف أحوال المصطفى : ١ : ١٠٨ .

(٢) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١ : ٧٦ .

(٣) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام : ١ : ٢٩٣ .

وهكذا إذا استعرضنا سيرة أئمّة الهدى ومصابيح الإسلام لوجدناها طافحة بهذه الأخلاق الرفيعة ، فقد تجرّدوا من جميع نزعات الانتقام ممّن اعتدى عليهم ، وقد وضعوا أمامهم قوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾[١].

السخاء

وما من صفة يسمو بها الإنسان ، ويسعد بها المجتمع إلّا وهي من عناصر التربية الإسلاميّة ، ومن بين تلك الصفات الرفيعة السخاء ، فإنّه ينمّ عن شرف النفس وسلامتها من الاصابة بداء الشحّ والبخل ، وقد دعا النبيّ ﷺ أُمّته إلى التحلّي به ، وهذه لقطات من أحاديثه وأحاديث أهل بيته :

١ ـ قال رسول الله ﷺ : « **السَّخِيُّ إِنَّما يَجُودُ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ** »[٢].

٢ ـ قال الصادق عليه‌السلام : « **إِصْنَعِ المَعْرُوفَ إِلى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَإِلَىٰ مَنْ لَيْسَ أَهْلِهِ ، فَإِن لَمْ يَكُنْ هُوَ مِنْ أَهْلِهِ فَكُنْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ** »[٣].

٣ ـ قال رسول الله ﷺ : « **السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ بعيدٌ مِنَ النّارِ ، وَالبخيلُ بَعيدٌ مِنَ اللهِ بَعيدٌ مِنَ النَّاسِ بَعيدٌ مِنَ الجَنَّةِ قَريبٌ مِنَ النّارِ ، وَالجاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ الْعابِدِ الْبَخيلِ** »[٤].

٤ ـ قال الإمام موسى بن جعفر عليه‌السلام : « **السَّخِيُّ الْحَسَنُ الْخُلُقِ في كَنَفِ اللهِ تَعالىٰ لا يَسْتَخْلي اللهُ تَعالىٰ مِنْهُ حَتّىٰ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَما بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً وَلا وَصِيّاً إِلَّا سَخِيّاً ، وَما زالَ أَبِي يوصيني بِالسَّخاءِ حَتّىٰ مَضىٰ** »[٥].

---

(١) الرعد ١٣ : ٢٢.

(٢) كنز العمّال : ٦ : ٣٩٢.

(٣) فروع الكافي : ٤ : ٢٧.

(٤) إرشاد القلوب : ١ : ١٣٦.

(٥) فروع الكافي : ٤ : ٣٩.

إنّ السخاء إنّما يكون ظاهرة كريمة إذا كان لمساعدة البؤساء والفقراء ورفع شبح الفقر عنهم ، فإنّه يكون في سبيل الله تعالى ، وابتغاء رضوانه ، وهذا من أرقى أنواعه .

وكانت هذه النزعة الشريفة من الصفات البارزة في أئمّة الهدى سلام الله عليهم ، فقد كان الإمام الحسن عليه‌السلام لا يردّ سائلاً ، وقيل له في ذلك فقال : «**إنّي للهِ سائِلٌ ، وَفِيهِ راغِبٌ ، وَأَنا أَسْتَحي أَنْ أَكُونَ سائِلاً وَأَرُدَّ سائِلاً ، وَإِنَّ اللهَ عَوَّدَني عادَةً أَنْ يُفِيضَ نِعَمَهُ عَلَيَّ ، وَعَوَّدْتُهُ أَنْ أُفِيضَ نِعَمَهُ عَلَى النّاسِ ، فَأَخْشىٰ إِنْ قَطَعْتُ الْعادَةَ أَنْ يَمْنَعَني الْعادَةَ**» .

وأنشأ يقول :

«إذا ما أَتاني سائِلٌ قُلتُ مَرْحَباً ... بِمَنْ فَضْلُهُ فَرْضٌ عَلَيَّ مُعَجَّلُ
وَمَنْ فَضْلُهُ فَضْلٌ عَلىٰ كُلِّ فاضِلٍ ... وَأَفْضَلُ أَيّامِ الْفَتىٰ حِينَ يُسْأَلُ»[١]

ويقول الكميت في سخائهم :

والغُيوثُ اللُّيوثُ إِنْ أَمْحَلَ النّا ... سُ فَمأوىٰ حَواضِنِ الأَيْتامِ

وقد حفلت سيرتهم بالكثير من بوادر الكرم والسخاء على الفقراء ممّا يدرّ من ذاتياتهم وعناصرهم .

الإيثار

من الصفات الشريفة التي تبنّاها الإسلام لتكون من مناهج التربية الإسلاميّة ، وتكون من معالم الحياة الاجتماعيّة للمسلمين ، وقد أثنى القرآن الكريم على كوكبة من نبلاء المسلمين وأفذاذهم ؛ لأنّهم آثروا إخوانهم على أنفسهم .

قال تعالى : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ**

---

(١) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما‌السلام : ١: ٢٩٥.

﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وسبب نزول هذه الآية الكريمة أنّ سبعة أشخاص سقطوا جرحى في واقعة اُحد، فقد فتك بهم العطش وأضرّ بهم، فبادر شخص من المسلمين فجاءهم بماء، ولكنّه لا يكفي إلّا واحداً منهم، فناوله لشخص منهم، فأبى أن يشرب، وقال له: ناوله للآخر لعلّه أكثر ظمأً منّي، فانبرى إليه وناوله له، فلمّا أراد أن يشرب سمع أنين جريح يشكو الظمأ، فامتنع من الشرب وآثره على نفسه، وهكذا كلّ واحد من هؤلاء السبعة يؤثر صاحبه على نفسه، فقد سارع إلى السابع منهم فوجده ميّتاً، فأقبل يسقي الآخر فوجده ميّتاً، وهكذا قد ماتوا جميعاً[٢].

لقد صهرهم الإسلام بهذه الروح العظيمة وغذّاهم بهذه المُثل النبيلة، فكانوا أمثلة للإنسانيّة بجميع ما تحمل من السموّ.

ومن أروع صور الإيثار في الإسلام وأعطره ذكراً، وأبقاه أثراً إيثار أهل البيت عليهم السلام عدلاء الذكر الحكيم، وسفن نجاة هذه الاُمّة، وقد نزلت فيهم سورة مباركة وهي سورة «هل أتى»، وكان سبب نزولها فيما أجمع عليها المفسّرون أنّ السبطين: الحسن والحسين عليهما السلام مرضا، فعادهما جدّهما مع بعض الصحابة، فقالوا للإمام عليه السلام: «لو نذرت إن عافى الله تعالى ولديك»، فنذر صوم ثلاثة أيّام إن عافاهما الله تعالى، وتابعت في النذر سيّدة نساء العالمين وجاريتها فضّة.

ولمّا أبل الحسنان من المرض صاموا جميعاً، ولم يكن عند الإمام شيء من الطعام، فاستقرض ثلاثة أصواع من الشعير، فعمدت في اليوم الأوّل إلى طحن صاع وخبزته، فلمّا آن وقت الإفطار طرق الباب مسكين يستميحهم شيء من القوت، فتبرّعوا جميعاً بقوتهم، وطووا ليلتهم لم يتناولوا من الطعام شيئاً.

---

(١) الحشر ٥٩: ٩.

(٢) مجمع البيان: ٥: ٩٦٠.

وفي اليوم الثاني عمدت سيّدة النساء سلام الله عليها إلى الصاع الثاني فطحنته وخبزته ، وفي وقت الإفطار طرق الباب يتيم يشكو الجوع فتبرّعوا جميعاً بقوتهم وطووا ليلتهم لم يتناولوا شيئاً من الطعام .

وفي اليوم الثالث قامت سيّدة نساء العالمين فطحنت ما فضل من الشعير وصنعته خبزاً ، وفي وقت الإفطار طرق الباب أسير يشكو الجوع ، فقدّموا إليه قوتهم ، وهم يرتعشون من الضعف ، وزارهم رسول الله ﷺ ، فرأى الصفرة بادية على وجوههم وهم يرتعشون من الجوع ، فتألّم وقال : «**وَاغَوْثاهُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ يَمُوْتُونَ جِياعاً**» . وهبط جبرئيل على النبيّ ﷺ وهو يحمل سورة هل أتى[1] تكريماً لأهل بيت النبوّة على هذا الإيثار الذي عزّ نظيره في عالم المبرّات والإحسان ، وقد عوّضهم تعالى في الفردوس الأعلى جنّة وحريراً ،كما جعل ذكرهم في الدنيا خالداً ، وجعلهم قادة للأمّة حتّى يرث الله الأرض ومن عليها .

العفّة

من الفضائل التي دعا إليها الإسلام : العفّة ، وهي من أنبل الصفات النفسيّة ، ومن صورها صيانة البطن والفرج من التلوّث بالحرام ، فإنّ الإفراط في المطعم والجنس له مضاعفاته السيّئة التي منها إخراج الإنسان من اطار الفضيلة إلى الاندراج بالحيوان السائم الذي لا يعرف إلّا شبع بطنه وفرجه .

وقد حذّر النبيّ ﷺ من إشباع البطن والرغبات الجنسيّة ، قال : «**أَكْثَرُ ما تَلِجُ بِهِ أُمَّتِي النّارَ الأَجْوَفانِ : الْبَطْنُ وَالْفَرْجُ**»[2] .

---

(١) تفسير الفخر الرازي : ٨ : ٣٩٢ . روح البيان : ٦ : ٥٤٦ . أسباب النزول : ٣٣ . ينابيع المودّة : ١ : ٩٣ . الرياض النضرة : ٢ : ٢٢٧ .

(٢) أصول الكافي : ٢ : ٧٩ .

وقال الإمام محمّد الباقر عليه السلام : «**ما مِنْ عِبادَةٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرْجٍ**»[١].

وقال رجل للإمام الباقر عليه السلام : «إنّي ضعيف العمل ، قليل الصلاة ، قليل الصيام ، ولكنّي أرجو أن لا آكل إلّا حلالاً ، ولا أنكح إلّا حلالاً» ، فأكبره الإمام وقال له : «**أيُّ جِهادٍ أَفْضَلُ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرْجٍ**»[٢].

إنّ العفّة من أفضل الصفات النفسيّة ، فإنّها تنمّ عن شرف النفس وسموّ الذات ، والسلامة من مرديات الجشع والشره التي تهبط بالإنسان إلى مستوى سحيق من الرذائل.

القناعة

القناعة من أبرز الصفات الرفيعة التي يتحلّى بها الإنسان ، فهي تريحه وتسعده ، وتنفي عنه الهمّ ، وتنجيه من شره الطمع ، وقد قيل في سموّ مكانتها أنّها كنز لا يفنى ، فإذا اتّصف بها الشخص فهو من أغنى النّاس ، قد اكتفى بما رزقه الله تعالى ، وقد أوصى الإمام محمّد الباقر عليه السلام بعض خواصّه بها.

قال عليه السلام : «**إيّاكَ أَنْ يَطْمَحَ بَصَرُكَ إِلىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ ، فَكَفىٰ بِما قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ** صلى الله عليه وآله : ﴿**وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ**﴾[٣].

وقال : ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[٤] ، **فَإِنْ دَخَلَكَ مِنْ ذلِكَ شَيْءٌ فَاذْكُرْ عَيْشَ رَسُولِ اللهِ** صلى الله عليه وآله ، **فَإِنَّما كانَ قُوتُهُ**

---

(١) أُصول الكافي : ٢ : ٨٠.

(٢) المحاسن : ١ : ٢٩٢.

(٣) التوبة ٩ : ٨٥.

(٤) طه ٢٠ : ١٣١.

الشَّعيرَ، وَحَلْواهُ التَّمْرَ، وَوَقُدُوه السَّعَفَ إذا وَجَدَهُ»[١].

وقال الإمام الباقر عليه‌السلام: «**مَنْ قَنَعَ بِما رَزَقَهُ اللهُ فَهُوَ مِنْ أَغْنَى النّاسِ**»[٢].

وكان العالم الكبير الخليل بن أحمد الفراهيدي يقاسي الضيق في حياته الاقتصاديّة، فوجّه إليه سليمان بن عليّ العبّاسي رسولاً لتعليم ولده، وينال بذلك الثراء العريض، فأخرج الخليل قطعاً من الخبز اليابس، وقال له: «ليس عندي غيره، وما دمت أجده فلا حاجة لي إلى سليمان وغيره»، فقال له الرسول: «فماذا أقول له؟»، فقال له هذه الأبيات:

«أَبْلِغ سُلَيمانَ أَنّي عَنْهُ في سَعَةٍ ... وفي غِنىً غَيْرَ أَنّي لَسْتُ ذا مالِ
والفَقْرُ في النَّفسِ لا في المالِ فاعرفه ... ومِثْلُ ذاكَ الغِنىٰ في النَّفْس لا المالِ
فالرِّزقُ عَن قَدرٍ لا العَجْزُ يُنْقِصُهُ ... ولا يَزيدُكَ فيهِ حَولُ مُحْتالِ[٣]

ووجّه الطاغية اللئيم الدوانيقي رسالة إلى الإمام الصادق عملاق هذه الأُمّة ورائد نهضتها الحضاريّة رسالة يريد أن يستدرجه ويجعله من حاشيته، وجاء في رسالته:

«لِمَ لا تغشانا كما يغشانا سائر النّاس؟».

فأجابه سليل النبوّة: «**لَيْسَ لَنا مِنَ الدُّنْيا ما نَخافُكَ عَلَيْهِ، وَلا عِنْدَكَ مِنَ الآخِرَةِ ما نَرْجوكَ لَهُ، وَلا أَنْتَ في نِعْمَةٍ فَنُهَنِّيكَ بِها، ولا في نِقْمَةٍ فَنُعَزّيكَ بِها**»[٤].

إنّه ليس عند الإمام عليه‌السلام من متع الدنيا ما يخاف على مصادرته من المنصور، كما أنّه ليس عنده من المُثل العليا التي تقرّب الإنسان إلى الله، فقد كان خالياً

---

(١) الكافي: ٢: ١٣٧.

(٢) الوافي: ٣: ٧٨. الكافي: ٢: ١٣٩.

(٣) سفينة البحار: ١: ٤٢٦.

(٤) مستدرك الوسائل: ١٢: ٣٠٧.

من كلّ عمل صالح ، وكان قاموس حياته مليئاً بالظلم والجور ، فكيف يأتيه الإمام .

وأراد المنصور خديعة الإمام فكتب له : إنّك تصحبنا لتنصحنا .

انظروا إلى جواب الإمام عليه‌السلام وما فيه من روعة الحكم : « **مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيا لا يَنْصَحُكَ ، وَمَنْ يَطْلُبُ الآخِرَةَ لا يَصْحَبُكَ** »[١] .

حقّاً إنّ من يطلب الدنيا من منصب أو مال فإنّه لا ينصح المنصور ، وإنّما يحبّب له كلّ ما يقترفه من ظلم وإثم ، كما أنّ من يطلب مرضاة الله تعالى فإنّه لا يصحب هذا الطاغية الجلف .

وقد أرسل عثمان بن عفّان عميد الأمويّين وشيخهم كيساً فيه دراهم إلى الصحابي الجليل أبي ذرّ الغفاري الذي وعى الإسلام وآمن بقيمه وأهدافه ، وقد ظنّ عثمان أنّه يقبلها ، فيكفّ عن معارضته ، وحمل غلامه الكيس إلى أبي ذرّ فرفضها وعلم أنّها خديعة منه ، فألحّ عليه الغلام في قبوله فامتنع فقال له الغلام بخضوع : اقبلها ، فإنّ فيه عتقي .

انظروا إلى جواب أبي ذرّ ، قال : نعم ، ولكنّ فيه رقّي .

نعم إنّ فيه عبوديّته ورقّه وتخلّيه عن معارضة عثمان الذي وهب أموال المسلمين لبني اُميّة وآل أبي معيط وحملهم على رقاب المسلمين .

رابعاً : حماية الوطن

أمّا حماية الوطن والدفاع عنه ، فإنّها من الواجبات الأصيلة في الإسلام ، فيجب على كلّ مسلم أن يدافع عن الوطن الإسلامي ، ويتأكّد ذلك على الأقرب فالأقرب إلى البلاد التي تتعرّض للغزو من قِبل أعداء المسلمين ، وقد أمر الإسلام بالاستعداد

---

(١) حياة الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه‌السلام : ٧ : ١٤٤ .

العامّ للدفاع عن الوطن، وحمايته من الغزو الخارجي، قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴾[١].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لَيْسَ يُحَبُّ لِلْمُلوكِ أَنْ يُفَرِّطوا في ثَلاثٍ: في حِفْظِ الثُّغورِ، وَتَفَقُّدِ الْمَظالِمِ، وَاخْتيارِ الصّالِحينَ لأَعْمالِهِمْ**»[٢].

إنّ المجتمع السليم إنّما يتحقّق إذا سلم الوطن من الغزو والاستعمار، ورفرفت عليه راية الاستقلال، وعدم التبعيّة للأجنبي، وإلّا فالبلاد المستعمَرة لا يتحقّق فيها مجتمع سليم، فإنّ الاستعمار يعمد بصورة سافرة إلى سلب المجتمع جميع مقوّماته الفكريّة والوطنيّة، ويميت فيه جميع مقوّمات النهوض والارتقاء.

خامساً: بسط الأمن

وكان من أهمّ ما عنى به الإسلام من القيم العظيمة في برامجه السياسيّة هو إشاعة الأمن، ونشر الطمأنينة بين الناس، وإزاحة جميع أوبئة الرعب والخوف عن الحياة العامّة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لَقَدْ عَزَّتِ السَّلامَةُ حَتّىٰ خَفِيَ مَطْلَبُها، فَإِنْ تَكُنْ في شَيْءٍ فَفي الْخُمولِ، فَإِنْ طُلِبَتْ في الْخُمولِ، وَلَمْ توجَدْ فَيُوشِكُ أَنْ تَكونَ في التَّخَلّي، فَإِنْ لَمْ تُوجَدْ فَفي الصَّمْتِ، وَالسَّعيدُ مَنْ وَجَدَ في نَفْسِهِ حالَةً يَشْتَغِلُ بِها**»[٣].

---

(١) الأنفال ٨: ٦٠.

(٢) بحار الأنوار: ٧٥: ٢٣٣.

(٣) مرآة الزمان: ٥: ١٦٠.

وعنه ﷺ أيضاً: «**ثَلاثَةُ أَشْياءَ يَحْتاجُ إِلَيْها النّاسُ: الْأَمْنُ، وَالْعَدْلُ، وَالْخِصْبُ**»[١].

وكان من الاجراءات التي اتّخذها:

حرمة سفك الدماء

أمّا سفك الدماء فهو من الفساد في الأرض، ومن أخطر الجرائم والموبقات، وحرمة المسلم وغيره على حدّ سواء في شريعة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿**أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً**﴾[٢].

إنّ جريمة قتل النفس كجريمة إبادة النوع الإنساني في الإثم والمروق من الدين، وأمّا جريمة قتل المؤمن متعمّداً فقد تحدّثت عنه الآية بوضوح، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾[٣] الخلود في جهنّم أشقى عذاب وأسوء مصير، لا تنفعه شفاعة، ولا تجديه أيّ مبرّة عملها في دار الدنيا في رفع العذاب أو تخفيف مدّته، إنّه الخلود في الجحيم.

الجزاء العادل

أمّا الجزاء العادل في الدنيا الذي يترتّب عليه القتل العمدي، فهو:

أوّلاً: القصاص

وهو أن يقتصّ وليّ المقتول من الجاني بقتله، وقد حكت الآية هذا الجزاء.

---

(١) مفاهيم إنسانيّة في كلمات الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ٥.

(٢) المائدة ٥: ٣٢.

(٣) النساء ٤: ٩٣.

قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾[١].

من المؤكّد أنّ الجاني إذا عرف أنّه يعدم ويقتصّ منه بسفك دمه، فإنّه يمتنع من القتل، ففي القصاص حياة للناس، وإقصاء للجريمة، وفي المثل الجاهلي: «القتل للقتل»، والآية أبلغ وأروع من هذا المثل الذي كان يعتزّون به.

الثاني: الدية

إذا عفا وليّ المقتول عن القصاص، ورضي بالدية، وهي أحد هذه الأُمور:

١ ـ مائة بعير فحل من مسانّ الإبل.

٢ ـ مائتا بقرة.

٣ ـ ألف دينار ذهب يساوي ثلاثة أرباع المثقال الصيرفي من الذهب المسكوك.

٤ ـ ألف شاة.

٥ ـ عشرة آلاف درهم من الفضّة المسكوكة.

٦ ـ مائتا حلّة، وكلّ حلّة ثوبان[٢].

والواجب أحد هذه الأُمور، وتستوفى الدية من مال الجاني في سنة واحدة.

الثالث: الكفّارة

وتجب الكفّارة على الجاني في قتل العمد، وهي:

١ ـ عتق رقبة وإذا لم يجد الرقبة انتقل إلى الصوم.

٢ ـ صيام شهرين متتابعين.

---

(١) البقرة ٢: ١٧٩.

(٢) مباني تكملة المنهاج: ١: ٢٣٠ ـ ٢٣٥.

٣ ـ إطعام ستّين مسكيناً [١].

وإذا اشترك جماعة في القتل وجبت هذه الكفّارة على كلّ واحد منهم ، وهنا بحوث مهمّة تتعلّق بالقتل العمدي عرض لها الفقهاء بالتفصيل ، وليس هذا الكتاب ممّا يتعلّق بها .

قتل الخطأ

وهو أن يكون المقتول غير مقصود بالذات إلى القاتل ،كما إذا رمى صيداً فأصاب إنساناً فقتله ، فديته أحد الأُمور المذكورة في كفّارة القتل العمدي ، إلّا أنّها تكون على العاقلة فهي المسؤولة عن دفعها إلى أولياء المقتول .

الظلم

أمّا الظلم فهو من أفحش المحرّمات ، ومدمّر للحياة ، ويدع البلاد واحة موحشة ، وقد حاربه الإسلام لأنّه يخلّ بالأمن العامّ ، وينشر أوبئة الخوف ، ويحوّل الحياة إلى جحيم لا يُطاق ، وقد قاومه الإسلام في الكتاب والسنّة ، وهذا عرض لبعض ما جاء فيهما :

في رحاب القرآن الكريم

١ ـ قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [٢].

٢ ـ قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ**

---

(١) منهاج الصالحين : ٢ : ٢٤٩.

(٢) الشورى ٤٢ : ٤٢.

تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[١].

٣ ـ قال الله تعالى: **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾**[٢].

وقد توعّد الله تعالى الظالمين في كثير من آيات القرآن العظيم، وأعدّ لهم جهنّم وساءت مصيراً.

في ظلال السنّة

فقد أُثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة العظام من أهل بيته التحذير من الظلم، وعقابه البالغ في الدار الآخرة، وهذه شذرات ممّا ورد عنهم.

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ تعالىٰ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمينَ فَلَمْ يَعْدِلْ فيهِمْ**»[٣].

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**جَوْرُ ساعَةٍ في حُكْمٍ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ مِنْ مَعاصي سِتّينَ سَنَةً**»[٤].

٣ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اِتَّقُوا الظُّلْمَ فَإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ**»[٥].

٤ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَنْ خافَ الْقِصاصَ كَفَّ عَنْ ظُلْمِ النّاسِ**»[٦].

٥ ـ وأوصى الإمام زين العابدين ولده الإمام أبا جعفر عليه السلام حين حضرته الوفاة

---

(١) إبراهيم ١٤: ٤٢.

(٢) الشعراء ٢٦: ٢٢٧.

(٣) بحار الأنوار: ٧٢: ٣٥٢، الحديث ٦١.

(٤) مشكاة الأنوار: ٥٤٤. بحار الأنوار: ٧٢: ٣٥٢، الحديث ٦١.

(٥) وسائل الشيعة: ١٦: ٤٦، الحديث ٢٠٩٩٤١. أُصول الكافي: ٢: ٣٣٢. مسند أحمد بن حنبل: ٢: ٩٢. السنن الكبرى: ١٠: ١٣٤.

(٦) أُصول الكافي: ٢: ٣٣١، الحديث ٦. تحف العقول: ٢١٦.

بقوله: «إِيّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ ناصِراً إِلَّا اللهَ»[١].

٦ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ما مِنْ أَحَدٍ يَظْلِمُ بِمَظْلَمَةٍ إِلّا أَخَذَ اللهُ تعالىٰ بِها في نَفْسِهِ وَمالِهِ»[٢].

٧ ـ سأل أحد عمّال السلطة الأمويّة الإمام أبا جعفر قائلاً: إن كنت من الولاة، فهل لي من توبة؟

فقال عليه السلام: لَا حَتّىٰ تُؤَدّي إِلىٰ كُلِّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ»[٣].

٨ ـ قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «الظُّلْمُ ثَلاثَةٌ: ظُلْمٌ لا يَغْفِرُهُ اللهُ تَعالىٰ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ لا يَدَعُهُ اللهُ تَعالىٰ. فَأَمّا الظُّلْمُ الَّذي لا يَغْفِرُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالشِّرْكُ.

وَأَمّا الظُّلْمُ الَّذي يَغْفِرُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَظُلْمُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَمّا الظُّلْمُ الَّذي لا يَدَعُهُ فَالْمُدايَنَةُ بَيْنَ الْعِبادِ»[٤].

٩ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما مِنْ مَظْلِمَةٍ أَشَدُّ مِنْ مَظْلِمَةٍ لا يَجِدُ صاحِبُها عَلَيْها عَوْناً إِلّا اللهَ تَعالىٰ»[٥].

١٠ ـ قال عليه السلام: «أَما إِنَّ الْمَظْلومَ يَأْخُذُ مِنْ دينِ الظّالِمِ أَكْثَرَ مِمّا يَأْخُذُ الظّالِمُ مِنْ مالِ الْمَظْلومِ».

وأضاف الإمام قائلاً: «مَنْ يَفْعَلُ الشَّرَّ بِالنّاسِ، فَلا يُنْكِرُ الشَّرَّ إِذا فُعِلَ بِهِ، أَما إِنَّهُ

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ٣٣١، الحديث ٥. الخصال: ١٦، الحديث ٥٩. روضة الواعظين: ٤٦٥، وفيه: «يا بُنَيَّ، إِيّاكَ».
(٢) أُصول الكافي: ٢: ٣٣٢، الحديث ١٢. بحار الأنوار: ٧٢: ٣١٣، الحديث ٢٢.
(٣) أُصول الكافي: ٢: ٣٣١، الحديث ٣. بحار الأنوار: ٧٢: ٣٢٩، الحديث ٥٩.
(٤) جامع السعادات: ٢: ٢٢٦.
(٥) أُصول الكافي: ٢: ٣٣١، الحديث ٤.

يَحْصُدُ ابْنُ آدَمَ ما يَزْرَعُ ، وَلَيْسَ يَحْصدُ أَحَدٌ مِنَ الْمُرِّ حُلْواً ، وَلَا مِنَ الْحُلْوِ مُرّاً »(١) .

وكثير من أمثال هذه الأخبار شجبت الظلم ، وحذّرت من عواقبه ومصيره ، لأنّ الظلم مفتاح كلّ شرّ ، ومصدر لكلّ إثم ، ومصدر إخلال بالأمن العامّ .

شركاء الظالم

وحذّر أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام من مناصرة الظالم أو الرضا بظلمه ، أو الساعي به ، فإنّهم شركاء في الإثم والجريمة والعقوبة .

قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : **لُعِنَ الْمُثَلَّثُ** .

فقيل له : ما المثلّث ؟

قال : **الَّذي يَسْعىٰ بِصاحِبِهِ إِلىٰ سُلْطانِهِ ، فَيُهْلِكُ نَفْسَهُ وَصاحِبَهُ وَسُلْطانَهُ »**(٢) .

وقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : « **إِذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ نادىٰ مُنادٍ : أَيْنَ الظَّلَمَةُ ، وَأَعْوانُ الظَّلَمَةِ ، وَأَشْباهُ الظَّلَمَةِ ، حَتّىٰ مَنْ بَرىٰ لَهُمْ قَلَماً أَوْ لاقَ لَهُمْ دَواةً ، فَيَجْتَمِعُونَ في تابوتِ حَديدٍ ثُمَّ يُلْقىٰ بِهِمْ في جَهَنَّمَ** »(٣) .

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله : « **مَنْ مَشىٰ مَعَ ظالِمٍ فَقَدْ أَجْرَمَ** »(٤) .

وقال الإمام الصادق عليه‌السلام : « **الْعامِلُ بِالظُّلْمِ ، وَالْمُعينُ لَهُ ، وَالرّاضي بِهِ شُرَكاءُ ثَلاثَتُهُمْ** »(٥) .

---

(١) أُصول الكافي : ٢ : ٣٣٤ ، الحديث ٢٢ . بحار الأنوار : ٧٢ : ٣٢٨ ، الحديث ٥٨ .

(٢) سراج الملوك : ٢٦٧ . ربيع الأبرار : ٣ : ٦٤٤ .

(٣) ربيع الأبرار : ٢ : ٨٣٤ .

(٤) أُصول الكافي : ٢ : ٣٣٣ ، الحديث ١٦ . وسائل الشيعة : ١٦ : ٥٥ و ٥٦ ، الحديث ٢٠٩٦٥ .

(٥) أُصول الكافي : ٢ : ٣٣٣ ، الحديث ١٦ .

وأضعاف هذه الأحاديث أُثرت عن أئمّة الهدى عليهم السلام تحذّر المسلمين من إعانة الظالمين ، والدخول معهم بأي عمل من الأعمال أو الرضا بما يصدر منهم من ظلم ، فإنّهم يكونون شركاء لهم في الإثم .

أمّا قصّة صفوان الجمّال ، فهي تحكي مدى مقاومة أهل البيت عليهم السلام للظلم والجور ، فقد كان صفوان صاحب إبل يؤجّرها لحجّاج بيت الله الحرام ، وكان يكتري قسماً منها هارون الرشيد لنقل الحجّاج إلى البيت الحرام ، وتشرّف صفوان بمقابلة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ، فقال له الإمام : **يا صَفْوانُ ، كُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ حَسَنٌ جَميلٌ ، ما خَلا شَيْئاً واحِداً.**

فانبرى قائلاً: جعلت فداك ، أي شيء ؟!

قال عليه السلام : **كِراؤُكَ جِمالَكَ مِنْ هٰذا الطّاغِيَةِ** ـ يعني هارون ـ.

فقال صفوان : والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ، ولا للصيد ولا للهو ، ولكن أكريته لهذا الطريق ـ يعني طريق مكّة ـ ولا أتولّاه بنفسي ، ولكن أبعث معه غلماني .

فقال له الإمام : **يا صَفْوانُ ، أَيَقَعُ كِراكَ عَلَيْهِمْ ؟**

- نعم ، جعلت فداك .
- **أَتُحِبُّ بَقاءَهُمْ حَتّىٰ يَخْرُجَ كِراكَ ؟**
- نعم .

فقال عليه السلام : **مَنْ أَحَبَّ بَقاءَهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ كانَ مِنْهُمْ كانَ وارِداً لِلنّارِ**(١) .

وكانت سيرة أئمّة الهدى عليهم السلام كلّها على سمت واحد ، وهو محاربة الظلم والجور اللذين هما أساس الارهاب وسلب الأمن وإشاعة الخوف بين الناس .

---

(١) رجال الكشّي : ٢: ٧٤٠: ٨٢٨. وسائل الشيعة : ١٦: ٢٥٩.

حرمة الارهاب والخوف

وحرّم الإسلام ارهاب الناس وتخويفهم، وقد تظافرت الأخبار عن النبيّ ﷺ وعن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في حرمته، وهذه بعضها:

١ - قال النبيّ ﷺ: «**مَنْ نَظَرَ إِلىٰ مُؤْمِنٍ نَظْرَةً لِيُخيفَهُ بها أَخافَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»[١].

إنّ نظرة الغضب والخوف إلى الإنسان محرّمة لأنّها تخلّ بأمنه واستقراره.

٢ - قال الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ رَوَّعَ مُؤْمِناً بِسُلْطانٍ لِيُصيبَهُ مِنْهُ مَكْرُوهٌ فَلَمْ يُصِبْهُ فَهُوَ في النّارِ، وَمَنْ رَوَّعَ مُؤْمِناً بِسُلْطانٍ لِيُصيبَهُ مِنْهُ مَكْرُوهٌ فَأَصابَهُ فَهُوَ مَعَ فِرْعَوْنَ وَآلِ فِرْعَوْنَ في النّارِ**»[٢].

والأخبار الواردة في هذا المعنى متظافرة وهي تحرّم الارهاب وتحذّر منه لأنّه يخلّ بالأمن الذي ينشده الإسلام، ومن الأمثلة الرائعة لتحريم الرعب والتحذير منه ما أُثر عن الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد روى المؤرّخون أنّه كان في شهر رمضان يذبح في كلّ يوم منه شاة ويطبخها وينفقها على الضعفاء والفقراء، وحمل غلامه إناء، وكان شديد الحرارة، فعثر على طفل للإمام وسقط ما في الإناء على الطفل ممّا سبّب وفاته، واستولى الخوف على الغلام، فسارع إليه الإمام وجعل يوسعه تقبيلاً ويقول له: **ظَنَنْتَ يا بُنَيَّ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ يَثْأَرُ لِوَلَدِهِ، أَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ تَعالىٰ، وَهٰذِهِ أَرْبَعَةُ آلافِ دِينارٍ هَدِيَّةٌ لَكَ، وَاجْعَلْنا في حِلٍّ مِنَ الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ الَّذي داخَلَكَ مِنْ أَجْلي**.

أي نفس ملائكيّة هذه النفس التي لم يخلق الله فيما مضى، وما هو آت،

---

(١) الكافي: ٢: ٣٦٨، الحديث ١. بحار الأنوار: ٧٢: ١٥١، الحديث ١٩.

(٢) الكافي: ٢: ٣٦٨، الحديث ١. بحار الأنوار: ٧٢: ١٥١ و ١٥٢، الحديث ٢٠.

مثلها سوى آبائه أئمّة الإسلام وعدلاء القرآن .

وموقف آخر في هذا المعنى للإمام زين العابدين عليه السلام يبهر العقول في الصفح عمّا عاناه من الرعب ، وهو أنّ خالد القسري كان والياً على يثرب ، وكان في كلّ يوم يأتي إلى بيت الإمام زين العابدين عليه السلام فيوسعه شتماً له ولأبيه وجدّه ، متقرّباً بذلك إلى الأمويّين ، وعزل هذا الوالي عن منصبه ، وأمر حاكم دمشق بإيقافه بباب المسجد النبوي ليستوفي الناس منه حقوقهم ، وقال القسري : إنّي لا أخاف إلّا من الإمام زين العابدين لكثرة سبّي وشتمي له ولأسرته ، ولمّا فهم الإمام بذلك سارع إليه وهو يقول له : **يا أخي ، لَيَسُوءُني ما أَنْتَ فيهِ ، وَأَنا مُسْتَعِدٌ لِلتَّوَسُّطِ في شَأْنِكَ وَمُساعَدَتِكَ .**

وبهر القسري ، وودّ أنّ الأرض قد وارته ، وطفق يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء[١] .

وهذا خلق الأنبياء وأوصيائهم ، وجميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، كانوا على هذا السمت من الخلق الرفيع ، الذي كان وسام شرف للمسلمين ، ومصدر فخر وعزّ لهم .

وعلى أي حال ، فإنّ الإسلام كان من أهمّ قيمه مناهضة الرعب الذي هو من ألوان الظلم .

حرمة الإيذاء

الإيذاء لون من ألوان الظلم ، وهو ممّا يخلّ بالأمن لأنّ الإسلام يريد للمسلمين حياة آمنة مطمئنّة لا يشوبها قلق ولا اضطراب .

أمّا الايذاء فقد حرّمه القرآن الكريم وحرّمته السنّة ، وهذا عرض لبعض ما أُثر عنهما :

---

(١) الطبقات الكبرى : ٥ : ٢٢٠ .

أمّا في كتاب الله فقد حرّم القرآن إيذاء الإنسان المسلم، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** ﴾[١].

إنّ الإيذاء إثم وبهتان واعتداء على الغير بغير حقّ، ولا بوجه مشروع، ومن المؤكّد إنّه يؤدّي إلى إشاعة العداء والبغضاء بين الناس.

وأمّا في السنّة فقد أُثرت كوكبة من الأحاديث النبويّة وعن أئمّة الهدى عليهم السلام في تحريمه والتحذير منه، وهذه بعضها:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَنْ آذىٰ مُؤْمِناً فَقَدْ آذاني، وَمَنْ آذاني فَقَدْ آذَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ آذَى اللهَ تَعالىٰ فَهُوَ مَلْعونٌ في التَّوْراةِ وَالْإِنْجيلِ وَالزُّبورِ وَالْفُرْقانِ**»[٢].

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُشيرَ إِلىٰ أَخيهِ بِنَظْرَةٍ تُؤْذيهِ**»[٣].

٣ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونُ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ**»[٤].

٤ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: **أَلا أُنَبِئُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنِ ائْتَمَنَهُ الْمُؤْمِنونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ. أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِالْمُسْلِمِ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ حَرامٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَظْلِمَهُ أَوْ يَخْذُلَهُ أَوْ يَغْتابَهُ أَوْ يَدْفَعَهُ**»[٥].

٥ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ: مَنْ أَهانَ لي وَلِيّاً فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُحارَبَتي**»[٦].

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٥٨.

(٢) جامع الأخبار: ٤١٥، الحديث ١١٥٠. بحار الأنوار: ٦٤: ٧٢، الحديث ٤٠.

(٣) سنن النسائي: ٢: ٢٦٧.

(٤) المجازات النبويّة: ٣٥٩.

(٥) أُصول الكافي: ٢: ٢٣٥، الحديث ١٩.

(٦) أُصول الكافي: ٢: ٣٥١، الحديث ٣.

وتظافرت الأخبار عن الإمام الصادق عليه‌السلام في حرمة إيذاء المسلم واحتقاره، كان منها:

٦ ـ قال عليه‌السلام: «**مَنِ اسْتَذَلَّ مُؤْمِناً وَاحْتَقَرَهُ لِقِلَّةِ ذاتِ يَدِهِ وَلَفَقْرِهِ شَهَّرَهُ اللهُ تَعالىٰ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلىٰ رُؤُوسِ الْخَلائِقِ**»(١).

٧ ـ قال عليه‌السلام: «**مَنْ حَقَّرَ مُؤْمِناً، مِسْكيناً أَوْ غَيْرَ مِسْكينٍ، لَمْ يَزَلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حاقِراً لَهُ ماقِتاً حَتّىٰ يَرْجِعَ عَنْ مَحْقَرَتِهِ إِيّاهُ**»(٢).

وهناك حشد من الأخبار ذكرت في موسوعات الحديث أُثرت عن أئمّة الهدى عليهم‌السلام، وهي تحذّر المسلم من إيذاء أخيه المسلم، لأنّه يؤدّي إلى إشاعة البغضاء وانعدام الأمن بين المسلمين.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من مقوّمات الأمن العامّ، وسدّ الثغرات التي تخلّ به هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ المسلمين إذا تضامنوا على ذلك، فأمروا بالمعروف وقاوموا المنكر، فلا يعقل أن يحدث فساد أو ما يخلّ بالأمن.

يقول الإمام كاشف الغطاء: «لو أنّنا نقول للكاذب: أنت كاذب، وللظالم أنت ظالم، لما وصلنا إلى هذا الحال التعيس الذي يلعنه حتّى إبليس».

نعم، هذا السكوت وهذا النفاق، وهذه المخاتلة التي نسمّيها مجاملة، والمخادعة التي نقول إنّها مصانعة، هذه التلبيسات الشيطانيّة الناشئة من خور الطبيعة، وضعف الدين، وهزال اليقين، هو الذي جرّأهم إلى ارتكاب هذه العظائم والجرائم غير مبالين ولا مكترثين.

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ٣٥٣، الحديث ٩.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ٣٥١، الحديث ٤.

إنّا سَكَتنا عَنِ الكَذّابِ فَانفتَحَتْ أمـامَهُ لِفُنونِ الكِذْبِ أبْوابُ
يُلْقي عَلَينا أقاويل مُزَخْرَفَةً وَلَا نَقولُ لَهُ اسْكُتْ أَنْتَ كَذّابُ[١]

إنّ السكوت عن المجرمين من الحاكمين والمحكومين هو الذي شجّعهم على الإخلال بالأمن واقتراف الموبقات والجرائم متظاهرين غير وجلين.

وعلى أي حال، فإنّ الشارع العظيم قد اهتمّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعله فرضاً من فرائض الإسلام، ولنستمع إلى ما ورد فيه في الكتاب والسنّة.

في رحاب القرآن الكريم

وحثّ القرآن الكريم على إقامة المعروف ومناهضة المنكر في كوكبة من الآيات منها:

١ - قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[٢].

٢ - قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٣].

٣ - قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[٤].

(١) المثل العليا في الإسلام: ٩٥.
(٢) آل عمران ٣: ١١٠.
(٣) آل عمران ٣: ١٠٤.
(٤) الأعراف ٧: ١٦٥.

إنّ إقامة المعروف وتدمير المنكر من ضروريّات الحياة الإسلاميّة، وليست من ألوان الترف التي يستغنى عنها.

في ظِلال السنّة

أمّا إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد اهتمّ النبيّ ﷺ وأوصياؤه العظام به، وهذه شذرات من الأخبار:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبيّاً إلّا وَلَهُ حَوارِيُّونَ، فَيَمْكُثُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ما شاءَ اللهُ تَعالىٰ، يَعْمَلُ فيهِمْ بِكِتابِ اللهِ تَعالىٰ وَبِأَمْرِهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ، فَإِذا انْقَرَضوا كانَ مَنْ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَرْكَبونَ رُؤُوسَ الْمَنابِرِ، يَقولونَ ما يَعْرِفونَ، وَيَعْمَلونَ ما يُنْكِرونَ، فَإِذا رَأَيْتُمْ أُوْلـٰئِكَ فَحَقٌّ عَلىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ يُجاهِدُهُمْ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَلَيْسَ وَراءَ ذلِكَ إِسْلامٌ»**[١].

٢ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنَّ مَنْ رَأىٰ عُدْواناً وَمُنْكَراً يُدْعىٰ إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكونَ كَلِمَةُ اللهِ تَعالَى الْعُلْيا، وَكَلِمَةُ الظّالِمينَ السُّفْلىٰ، فَذلِكَ الَّذي أَصابَ سَبيلَ الْهدى، وَقامَ عَلَى الطَّريقِ، وَنَوَّرَ قَلْبَهُ الْيَقينُ»**[٢].

٣ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: **«إنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْروفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ سَبيلُ الْأَنْبِياءِ، وَمِنْهاجُ الصُّلَحاءِ، فَريضَةٌ عَظيمَةٌ، بِها تُقامُ الْفَرائِضُ، وَتَأْمَنُ الْمَذاهِبُ، وَتَحِلُّ الْمَكاسِبُ، وَتُرَدُّ الْمَظالِمُ، وَتَعْمَرُ الْأَرْضُ، وَيُنْتَصَفُ مِنَ الْأَعْداءِ، وَيَسْتَقيمُ**

---

(١) كنز العمّال: ٦: ٧٣ و٧٤، الحديث١٤٨٩٦. تاريخ مدينة دمشق: ٩: ٣٠. إحياء العلوم: ٢: ٢٧٢.

(٢) نهج البلاغة ـ خطب الإمام عليّ عليه السلام: ٤: ٨٨ و ٨٩، ٣٧٣.

الْأَمْرُ ، فَأَنْكِروا بِقلوبِكُمْ ، وَالْفِظوا بِأَلْسِنَتِكُمْ ، وَصُكّوا بِها جِباهَهُمْ ، فَلاسَبيلَ عَلَيْهِمْ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(١)] ، هُنالِكَ فَجاهِدوهُمْ بِأَبْدانِكُمْ ، وَأَبْغِضوهُمْ بِقُلوبِكُمْ ، غَيْرَ طالِبينَ سُلْطاناً ، وَلَا باغِينَ مالاً ، حَتّىٰ يَفيئُوا إِلىٰ أَمْرِ اللهِ تَعالىٰ ، وَيَمْضوا عَلىٰ طاعَتِهِ...»[(٢)].

إنّ إقامة المعروف والنهي عن المنكر هما السبيل لنشر الأمن بين الناس ، وقد ضحّى أئمّة أهل البيت عليهم السلام بأرواحهم في سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل ، فهذا أبو الأحرار وسيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ثار في وجه الطاغية ابن الطاغية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي استباح جميع ما حرّم الله من إثم شأنه شأن أبيه ، وقد أدلى الإمام العظيم عن أسباب نهضته الخالدة بقوله : «**إِنّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً ، وَلَا بَطِراً ، وَلَا ظَالِماً ، وَلَا مُفسِداً ، وَإِنّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي ، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ...**»[(٣)].

من أجل هذه الأهداف النبيلة انبرى إلى ميادين الإصلاح الاجتماعي لإعادة الأمن والاستقرار للمسلمين.

شرائطه

إنّما يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا توفّرت الشرائط ، وهي :

١ ـ أن يكون الآمر بالمعروف عالماً به ، أمّا إذا كان مشتبهاً به فلا يجب.

٢ ـ تجويز التأثير ، فلو علم أنّه لا يؤثّر فلا يجب.

---

(١) الشورى ٤٢: ٤٢.

(٢) فروع الكافي : ٥: ٥٥ و ٥٦ ، الحديث ١. وسائل الشيعة : ١٦: ١١٩ ، الحديث ٢١١٣٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٤: ٨٩. بحار الأنوار : ٤٤: ٣٢٩. الفتوح : ٥: ٢١. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي : ١: ١٨٨ ـ ١٨٩.

٣ ـ القدرة والتمكّن من أداء ذلك.

٤ ـ أن يكون المأمور والمنهي مصرّاً على الاستمرار في الغيّ والإثم، فلو ظهر منه الاقلاع والندم فلا يجب ذلك.

ما ينبغي للآمرين والناهين

ينبغي للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يكونوا من ذوي الدين، ومتّصفين بما يأمرون به، وينهون عنه، وإلّا فيصدق عليهم قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**﴾[1].

وقال الشاعر العربي:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتي مِثْلَهُ   عارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظيمُ

وهنا بحوث مهمّة عرضنا لها في كتابنا (النظام السياسي في الإسلام).

العقاب الصارم

حكم الإسلام بإنزال العقاب الصارم على الذين يخلّون بالأمن العامّ فيقطعون الطريق ويقتلون وينهبون الأموال، ويشيعون الخوف والارهاب بين الناس، فقد حدّد القرآن الكريم جزاءهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِن خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[2].

---

(١) البقرة ٢: ٤٤.

(٢) المائدة ٥: ٣٣ و ٣٤.

حكت هذه الآية الخيار في تنفيذ إحدى العقوبات في حقّ المفسدين وقطّاع الطرق، وقد ذكر المفسّرون للقرآن الكيفيّة في هذه العقوبات، وهي:

١ـ القتل لقاطع الطريق إذا كان قاتلاً.

٢ ـ الصلب والقتل للقاتلين والسالبين لأموال الناس.

٣ ـ قطع اليد والرجل من خلاف أي اليد اليمنى والرجل اليسرى، لمن أخذ مالاً يعادل نصاب السرقة، ولم يرتكب قتلاً.

٤ ـ النفي لمن كان ارهابيّاً ولم يقتل ولم يسلب وفسّر بعضهم النفي بالحبس[(١)].

وإذا تاب قاطع الطريق قبل إلقاء القبض عليه، فإنّ العقوبة تسقط عنه، ولكن إذا كان قاتلاً فيجري عليه حكم القتل العمدي من القصاص أو الدية حسب ما يرتأي ولي المقتول.

لقد كان العقاب صارماً بحقّ المفسدين الذين يخلّون بالأمن العامّ ويفسدون على الناس حياتهم.

التعزير

وهو معاقبة المجرم المعتدي على الناس بعقاب مفوّض إلى رأي الحاكم الشرعي أو نائبه كمّاً وكيفيّة وهو في حقّ من يلي:

١ ـ ضرب الغير.

٢ ـ الشتم.

٣ ـ الارهاب.

٤ ـ التزوير.

---

(١) أحكام القرآن للجصّاص: ٢: ٥١٥.

٥ ـ شهادة الزور.

٦ ـ الجهر بالمعاصي.

٧ ـ الاستهزاء بالدين أو الأخلاق والآداب.

يقول عفيف عبدالفتّاح: «التعزير مجال واسع أمام الحاكم يؤدّب من شاء ما دام رائده إصلاح المسيء، ومنع استفحال خطره، وفي هذا من دقّة التشريع الإسلامي ما يدلّ على أنّه وحي من الله تعالى، فإنّه ممّا لا ريب فيه أنّ أحوال الناس تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، فالعقوبة التي تناسب جماعة لها حالة خاصّة لا تناسب جماعة أُخرى تخالفها في عاداتها وأطوارها، فلا يمكن وضع عقوبة محدودة يمكن تطبيقها على جميع الناس، فإنّ العليم بأحوال عباده ناط تقدير العقوبة بأُولي الأمر والقيام بتأديب المجرمين بالعقوبات المناسبة كي يعيش الناس في أمن وراحة واطمئنان»[١].

إنّ التعزير من وسائل الأمن في البلاد، ولو طبّقه المسلمون على واقع حياتهم لانتشر الأمن، فلا فساد ولا اعتداء من بعض الناس على بعض.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الأمن العامّ الذي هو من مقوّمات الحياة الإسلاميّة.

سادساً: نشر الحرّيات

من مقوّمات الحياة الفرديّة والاجتماعيّة في الإسلام هي الحريّة للناس على اختلاف قوميّاتهم وأديانهم ولغاتهم، فإنّها حقّ طبيعي لكلّ إنسان، كالرئة التي لا تستقيم حياة الإنسان من دونها، ويجب أن ينعم بها الجميع، وعلى السلطة أن توفّرها للجميع.

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للحديث عمّا قيل في مدلولها ومعناها، وعن بنودها

---

(١) روح الدين الإسلامي: ٣٩٣ و ٣٩٤.

وصورها، وما يرتبط بها من بحوث وشؤون.

عرّفت الحريّة في اللغة وفي الإسلام، وفي وثيقة حقوق الإنسان بتعاريف متقاربة، وهي:

١ ـ الحريّة في اللغة

تطلق الحريّة في اللغة على معان متعدّدة، وضعت لكلّ واحد منها موضع مستقلّ، وهو ما يسمّى في عرف الأُصوليّين بالاشتراك اللفظي، وهي: الخلوص من العبوديّة، يقال: فلان حرّ، أي غير مسترقّ. والخلوص من القيد والأسر.

٢ ـ الحريّة في الإسلام

استعملت الحريّة في الإسلام في معانٍ متعدّدة، منها: الرضا والاختيار، يقال: فلان حرّ في تصرّفاته أي غير مكره.

٣ ـ في وثيقة حقوق الإنسان

وحدّدت الحريّة في وثيقة حقوق الإنسان الصادرة في فرنسا في المادّة الرابعة: «الحريّة تنحصر في مكان عمل كلّ ما لا يضرّ بالغير، فلكلّ امرئ أن يتمتّع بحقوقه الطبيعيّة في الدائرة التي لا تؤذي تمتّع الناس بتلك الحقوق وتحديد هذه الدائرة موكول إلى القانون».

إنّه ليس من الحريّة في شيء أن يعمل الإنسان عملاً يؤذي الغير، فإنّ الحريّة التي منحت له لا بدّ أن تتّفق مع القانون، ولا تشذّ عن نواميس الحياة حسب هذا التحديد.

صورها

للحريّة صور في الإسلام تتّفق مع نواميس الحياة، ولا تشذّ عن سنن الكون،

وهي :

١ - تحرير الفكر

من أروع صور الحريّة في الإسلام دعوته لتحرير الأفكار وانطلاقها في ميادين التأمّل والتطوّر، ورفض الذين يتّبعون آباءهم ويقلّدون مجتمعهم في عاداتهم التي خيّم عليها الجهل. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾[١].

وندّد بالذين يحجبون عقولهم، ولا ينظرون في آفاق الكون فاعتبرهم كالحيوانات السائمة، بل أضلّ سبيلاً.

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾[٢].

إنّ الإسلام دعا لحريّة الفكر وتحريره من الخرافات والأوهام التي كانت تعجّ بها البلاد العربيّة، خصوصاً مكّة التي كانت معقلاً للأوثان والأصنام، وقد نعى الإسلام واحتقر العاكفين على أصنامهم.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[٣].

وأمر الله تعالى عبده ورسوله محمّد ﷺ أن يخاطب قومه بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي**

---

(١) البقرة ٢: ١٧٠.

(٢) الأعراف ٧: ١٧٩.

(٣) الأعراف ٧: ١٤٩.

بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(١).

إنّ جميع ما في الكون من الكائنات الحيّة وغيرها مخلوقات الله عزّ اسمه وأنّه وحده المحيي والمميت، وأنّ جميع شؤونها بيده تعالى وليس للإنسان فيها من سبيل.

حريّة العقيدة

إنّ الحريّة الدينيّة قد تبنّاها الإسلام، وقد عرض النبيّ ﷺ قيمه الحضاريّة على قومه، ولم يلزمهم بالإيمان بها. قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٢).

وخاطب تعالى رسوله الكريم بقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(٤).

وخاطب الله تعالى عبده ورسوله الكريم بقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٥).

إنّ الإسلام نور وهدى وتسامح وليس من شريعته إجبار الناس على اعتناقه. يقول جولد تسهير:

---

(١) الزمر ٣٩: ٣٨.

(٢) الكهف ١٨: ٢٩.

(٣) الغاشية ٨٨: ٢١ و ٢٢.

(٤) ق ٥٠: ٤٥.

(٥) يونس ١٠: ٩٩.

« ساد الإسلام لكي يصير قوّة عالميّة على سياسة بارعة ، ففي العصور الأُولى لم يكن اعتناقه أمراً محتوماً ، فإنّ المؤمنين بمذاهب التوحيد أو الذيـن يستمدّون شرائعهم من كتب منزلة كاليهود والنصارى والزرداشتيّة كان في وسعهم حتّى من دفعوا ضريبة الرأس (الجزية) أن يتمتّعوا بحريّة الشعائر وحماية الدولة الإسلاميّة ولم يكن واجب الإسلام أن ينفذ إلى أعماق أرواحهم إنّما كان يقصد إلى سياستهم الخارجيّة ، بل قد ذهب الإسلام في هذه السياسة إلى حدود معيّنة ، ففي الهند مثلاً كانت الشعائر تقام في الهياكل والمعابد في ظلّ الحكم الإسلامي »[١].

وتحدّث « دوزي » عن شفّافيّة الإسلام وتسامحه في الأندلس بقوله :

« ولم يكن حال النصارى في ظلّ الحكم الإسلامي ممّا يدعو إلى كثير من الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل ، أضف إلى ذلك أنّ العرب كانوا يتحلّون بكثير من التسامح فلم يرهقوا أحداً في شؤون الدين .. ولم يغبط النصارى هذا الفضل ، بل حمدوا للعرب هذا التسامح والعدل وآثروا حكمهم على حكم الجرمان والفرنج ... »[٢].

إنّ الإسلام ألزم المسلمين باحترام حقّ الغير في عقيدته وتكريمه فيما يذهب إليه ويعتنقه من دين سماوي ، فإنّ التاريخ لم ينقل أنّ الرسول ﷺ قتل كتابيّاً لأنّه لم يسلم أو منعه من التعبّد بدينه ، وأنّ ملوك المسلمين لم يلزموا غير المسلمين بتطبيق أحكام الشريعة الإسلاميّة على واقع حياتهم ، لا سيّما في الأحوال الشخصيّة ، فإنّهم يرجعون إلى أحكام دينهم .

---

(١) مواقف حاسمة : ٣٠.

(٢) مواقف حاسمة : ٢٠ و ٢١.

ومن آداب الإسلام إذا أراد أن يحاجج كتابيّاً فعليه أن يحاججه بالبرهان القاطع ، ويتكلّم معه بالتي هي أحسن ، فإن ثاب إلى الرشاد فذاك ، وليس له أن يستعمل معه العنف والقوّة .

حريّة التعبير عن الرأي

للإنسان الحريّة في التعبير عن رأيه نطقاً وكتابة بشرط أن لا تكون منطلقاً إلى بثّ المبادئ الهدّامة والأفكار المناهضة للإسلام ، أو التي فيها إثارة للفتن أو القذف والسباب وغير ذلك من الأُمور المنافية للأخلاق والآداب ، فإنّ الإسلام لا يسمح بها لأنّها تؤدّي إلى الفساد وانهيار الأخلاق .

إنّ الإسلام أباح حريّة إبداء الرأي ، وجعله حقّاً طبيعيّاً لكلّ إنسان ، فله حريّة المحاججة ، وحريّة النقد لسياسة الحكم إذا شذّ عن طريق الحقّ ، ولكنّه لا يسمح بالعدوان على الغير بدون الحقّ .

يقول عبدالقادر عودة :

« وحريّة القول في الحدود التي وضعتها الشريعة تعود دون شكّ على الأفراد بالنفع والتقدّم ، وتؤدّي إلى نموّ الإخاء والحبّ والاحترام بين الأفراد والهيئات ، وتجمع كلمة الأُمّة على الحقّ دون غيره ، وتجعلهم في حالة تعاون دائم وتقضي على النعرات الشخصيّة الطائفيّة » .

إنّ الإسلام أضفى على الحريّة القداسة والكمال ، حيث قيّدها بعدم الإساءة والاعتداء على الغير حفظاً لتوازن المجتمع ووحدة صفوفه .

٢ ـ الحريّة السياسيّة

وهي جزء من الحريّة العامّة للإنسان ، وعرّفها « جون برجس » بقوله :

« الحريّة السياسيّة أن يكون المرء عضواً فعّالاً في الهيئة ذات السيادة

في الدولة، وفي الهيئة الداخليّة بحيث تكون الفرصة متاحة له لأن تكون إرادته مسموعة، وأن يكون له أثر في سنّ القوانين، ورسم سياسة للحكومة، وذلك باستعمال حقوقه في حريّة الكلام».

إنّ الإسلام منح الحريّة السياسيّة للفرد، ولكنّه لم يسمح له في سنّ القوانين المجافية للإسلام.

إنّ الحكومة التي تسير على ضوء الإسلام لا تسمح بسنّ القوانين الوضعيّة التي لا تتّفق مع الإسلام، فقد أغناها بالقوانين التي توفّر التكامل والتوازن لجميع المواطنين، ويتفرّع على الحريّة السياسيّة ما يلي:

٣ـ الحرّيّة الاجتماعيّة

إنّ حريّة الاجتماع أمر سائغ في الشريعة الإسلاميّة، ولكن يشترط أن لا تكون منافية للمصالح العامّة في البلاد، فإنّه لا يسمح بها.

تأليف الجمعيّات

أمّا عقد الجمعيّات وتأسيسها، سواء أكانت أدبيّة أم تعاونيّة، فإنّه سائغ، ومن الأهداف الأصيلة التي ينشدها الإسلام، أمّا المؤسّسات الإلحاديّة كالشيوعيّة التي تبنّت الأفكار المعادية للإسلام، فإنّها غير مسموح بها لأنّها تؤدّي إلى فساد المجتمع وانهيار وحدته ومقدّساته.

٤ـ الحريّة المدنيّة

وهي إعطاء الفرد الحريّة في مجال العمل والسكنى التي تتّفق مع رغباته وميوله، فإنّها سائغة، ويتفرّع عليها:

١ ـ حريّة العمل

ونعني بها الحريّة في اختيار العمل الذي يميل إليه ، فللفرد أن يمارس الزراعة والتجارة وأي صناعة شاء .

٢ ـ حريّة الزواج

وللرجل الحريّة في اختيار الزوجة ، كما أنّ لها الحريّة في اختيار الزوج ، وإذا كانت باكراً فيشترط أن يكون الزواج بإذن أبيها لأنّه أدرى وأعرف بمصالحها ، أمّا إذا كانت ثيّباً فليس لأي أحد عليها سلطان .

٣ ـ اختيار العلم

وللإنسان الحقّ في اختيار العلم الذي يتّفق مع رغباته من الطبّ والكيمياء والأدب والتاريخ والفقه والفلسفة وغيرها ، وليس لأي أحد أن يفرض عليه علماً خاصّاً .

٤ ـ حريّة المسكن

للإنسان الحريّة التامّة في اختيار البلد الذي يقيم فيه ، والمسكن الذي يسكن فيه ، وليس لأحد أن يجبره على الإقامة في بلد خاصّ ، أو بيت خاصّ .

٥ ـ الحريّة الاقتصاديّة

ونعني بها إباحة تصرّف الفرد في ملكه ، حيث شاء كما له أن يمارس الزراعة والصناعة والتجارة ، وغير ذلك ممّا يتّفق مع رغباته وميوله ، والتي تزيد في سعة ثرائه ، والدولة مسؤولة عن حمايته إلّا أنّ الإسلام منع من بيع المخدّرات والخمور وغير ذلك ، كما تقدّم في البحوث السابقة .

الملكيّة الفرديّة

ونعني بها حريّة الشخص في التصرّف بملكه بيعاً وشراءً، وإجادة وهبة، وغير ذلك، إلّا أنّ الإسلام لم يبح ملكيّة المغصوب شراء وإجارة وغير ذلك.

هذه بعض ألوان الحرّيّة التي منحها الإسلام للإنسان، وقد سبق اوروبا في تأسيسها لبعض الأنظمة الوضعيّة للحريّة.

يقول عبدالقادر عودة:

«لقد سبقت الشريعة الإسلاميّة القوانين الوضعيّة في تقرير نظريّة الحريّة بأحد عشر قرناً لأنّ القوانين الوضعيّة لم تبدأ بتقرير هذه النظريّة إلّا في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن التاسع عشر، أمّا قبل ذلك فلم تكن هذه القوانين تعترف بالحريّة، بل كانت أقسى العقوبات تخصّص للمنكرين ودعاة الإصلاح، ولمن يعتقد عقيدة تخالف العقيدة التي يعتنقها أولوا الأمر، هذا هو الواقع، وهذه حقائق التاريخ، فمن شاء بعد ذلك أن يعرف كيف نشأت الأُكذوبة الكبرى التي تقول: إنّ الأُوربيّين هم أوّل من دعا للحريّة فليعلم أنّها نشأت من الجهل بالشريعة الإسلاميّة، وقد يعذر الإسلاميّون عن هذا الجهل، أمّا نحن فلن نجد لأنفسنا عذراً»[١].

لقد منح الإسلام الحريّة التامّة للإنسان التي لا تستقيم الحياة من دونها ونشير إلى الحريّة في أنظمة المذاهب الاجتماعيّة استتماماً للفائدة.

---

(١) التشريع الجنائي في الإسلام: ١: ٣٦ و ٣٧.

الحريّة في النظام الرأسمالي

ونعني بها حريّة الفرد في استحصال الثروة وتنميتها بكافّة الوسائل ، وقد ذهب إليها كلّ من آدم سميث ومالتوس ريكاردو ، وسمّي هذا المذهب بالمذهب الفردي لأنّهم يعتبرون الفرد محور الحركة الاقتصاديّة الذي تدور عليه جميع شؤونها الاقتصاديّة التي تشرّع لها .

إنّ الحريّة الاقتصاديّة في النظام الرأسمالي هي السبب في تنمية الانتاج ، واتّساع الثروة العامّة في البلاد ، والدولة مسؤولة عن حمايتها وإزالة جميع الموانع التي تقف أمامها ؛ لأنّها من أهمّ وسائل الحياة العامّة في البلاد .

إنّ هذه الحريّة العامّة التي ضمّنها النظام الرأسمالي للاقتصاد العامّ قد عادت بالأضرار البالغة على المجتمع ، فقد تكدّست ثروات المجتمع عند فئة قليلة من الرأسماليّين أخذت تتحكّم في مصير العالم ، وتزجّه في الحروب المدمّرة من أجل بيع ما تملكه من أدوات الحروب وغيرها لزيادة الأرباح وتصريف البضائع التي تملكها .

ويقول المعنيّون في البحوث السياسيّة إنّ للرأسماليّين ضلعاً كبيراً في إثارة الحرب العالميّة الأُولى والثانية ؛ لأنّ بضائعهم قد تكدّست ولم يجدوا مجالاً لتصريفها إلّا بإشعال نار الحرب في العالم .

وأدّت الحريّة الاقتصاديّة في النظام الرأسمالي إلى اضطهاد العمّال وإرهاقهم ، فقد احتكرت الشركات الرأسماليّة جهودهم ، ونهبت إمكانيّاتهم ، وعانت الأغلبيّة الساحقة من العمّال البؤس والشقاء والحرمان ، وسدّت في وجوهها نوافذ الحياة الكريمة ، فلم تظفر بالدعة والعيش الناعم ، وقد شاعت الاضطرابات العامّة في صفوف العمّال مطالبين بزيادة أُجورهم ، وتحسين حياتهم الاقتصاديّة ، وقد ذكرنا ما مني به العمّال من الفقر والحرمان في كتابنا (العمل وحقوق العامل في الإسلام) .

انعدام الحريّة في النظام الشيوعي

وصودرت جميع ألوان الحريّات في النظام الشيوعي، فلم يعد للفرد ولا للمجتمع ظلّ لهم فيه، فقد أقام هذا النظام نفوذه وحكمه بقوّة الحديد والنار، فالموت والسجن لكلّ من لم يخضع له وقد صودرت جميع صور الحريّة، وعادت خرافة في عرف الحاكمين.

يقول لينين:

«نحن لا نستطيع أن نأخذ بآراء المخبولين الذين يطالبون بالحريّة، فنحن في ظلّ ديكتاتوريّة البروليتاريا لا نستطيع أن نمنح المواطنين حريّتهم السياسيّة»[١].

إنّ إقصاء الحريّات العامّة في النظام الشيوعي من صميم ما يذهب إليه الشيوعيّون لأنّ الشعب إذا منح حريّاته، فلا يعقل أن يخضع لنظام متسلّط إرهابي لا يعرف لغة القانون والتفاهم، وقد أدلى لينين بتصريح آخر جاء فيه: «يقع كثير من الناس في خطأ فاحش هو الاعتقاد بأنّ القوانين يجب أن تحمي الحريّات، ونحن نرد على هؤلاء البلهاء بأنّ القوانين لا توضع لحماية الحريّات، وإنّما توضع لحماية الدولة...».

وتحدّث «مسيمو» عن انعدام الحريّات في النظام الشيوعي بقوله:

«لا وجود عندهم ـ أي الشيوعيّين ـ لحريّة القول، أو لحريّة الاجتماع ولا لأي إجراءات تمكّن المواطنين من ممارسة أيّة رقابة على السلطان العادة والخطب التي تمثّل رأي جانب واحد تأخذ عندهم مكان المناقشات العامّة، فحكومة الأقلّيّة الصغيرة التي تتألّف من الهيئة

---

(١) العمل وحقوق العامل في الإسلام: ١٩٦.

التنفيذيّة للحزب الشيوعي لا تدير شؤون الدولة ، فحسب بل تمتدّ سلطتها إلى إدارة دقّة الاقتصاد والتعليم ، فهم يتحكّمون في النشاط الديني والثقافي وفي أوقات الفراغ ، وهم يدّعون أنّهم يقومون بهذا العمل نيابة عن الشعب مع أنّه لا وجود عندهم لانتخابات حرّة تمكّن الشعب من التعبير عن رغباته الحقّة ، ويقولون أيضاً إنّهم يعملون لإسعاد رعاياهم »[١].

إنّ الاستعباد والقهر يسيران مع الشيوعيّة ، فلا ظلّ للحريّة ولا وجود لكرامة الإنسان وتطلّعاته.

استعباد العمّال

ولم يعد وجود أي ظلّ للحرّيّة والكرامة للعمّال ، فقد أحاط بهم الارهاب ، وفرضت عليهم القوانين القاسية ، فليس لهم الحريّة في الانتقال من مكان لآخر ، كما ليس لهم اختيار العمل الذي يتّفق مع رغباتهم وميولهم ، وإنّما أمر ذلك بيد الحزب ، فقد صدر مرسوم في ١١ اكتوبر سنة ١٩٣٠ على العامل يجب أن يقبل أي عمل يعهد به إليه في أي بلد وفي أي مكان.

كما صدرت بعض المراسيم التي تقضي أنّه ليس للعامل أن يتخلّى عن عمله من تلقاء نفسه ، فإن صدر ذلك منه فيحكم عليه بأن يقضي عشرة أعوام في معسكرات العمل الإجباري. وقد تحدّثنا بصورة شاملة عن اضطهاد العمّال في كتابنا (النظام السياسي في الإسلام).

إقصاء الأديان

تنكّر الشيوعيّون لعموم الأديان ، واعتقدوا بأنّها خرافة ، وكان من إجراءاتهم ضدّ

---

(١) مذهب الأحرار : ٥٩.

الأديان ما يلي :

١ ـ حظر الاجتماعات الدينيّة .

٢ ـ عدم السماح للهيئات الدينيّة بالاحتفاظ بأي نوع من أنواع الكتب الدينيّة .

٣ ـ حظر الأمكنة لممارسة الشعائر الدينيّة .

وصرّح لينين عن خطّة الحزب الشيوعي مع الأديان بقوله :

« إنّ من أهداف حزب العمّال الديمقراطي الاشتراكي في روسيا هو المحاربة بلا هوادة لكلّ نزعة دينيّة في نفوس العمّال ... إنّ منهاجنا يتضمّن بالتالي الدعوة للإلحاد على أوسع نطاق ممكن »[١] .

وقال ستالين :

« نحن نؤمن بأنّ فكرة الله خرافة ، ونحن نؤمن بأنّ الإيمان بالدين يعرقل تقدّمنا ... ونحن لا نريد أن نجعل الدين مسيطراً علينا لأنّا لا نريد أن نكون سكارى »[٢] .

لقد بذلت روسيا في عهد الحكم الشيوعي طاقاتها على إقصاء الدين والتنكيل برجاله ، واستخدمت جميع أجهزة الدعاية لمحاربته والسخرية منه ، وأصدرت مئات الصحف والمجلّات والنشرات التي تبشّر بالإلحاد ، وكانت فتوى الإمام الحكيم متّفقة مع واقع الشيوعيّين « الشيوعيّة كفر وإلحاد » وقد باءت الشيوعيّة في وطنها الأمّ الاتّحاد السوفيتي بالفشل ، وأصبحت من مهازل العقل البشري لأنّها لم تتّفق مع سنن الكون ، وشذّت عن الطبيعة الإنسانيّة .

---

(١) العمل وحقوق العامل في الإسلام : ١١٣ .

(٢) النظام الشيوعي : ٥٣ .

الرقابة على الصحف

وفرضت السلطات الشيوعيّة الرقابة الشديدة على الصحافة، وسائر النشرات، خوفاً من أن يكون فيها ما يتنافى مع التعاليم الشيوعيّة.

يقول ستالين:

« ويجب أن يكون مفهوماً أنّا لن نصرّح في أي وقت من الأوقات بأنّنا نؤمن بمنح حرّيّة الصحافة، إلّا للطبقة التي نحكم باسمها ».

وصرّح لينين سنة ١٩٢٠م بقوله:

« يجب أن يكون مفهوماً أنّ حرّيّة الصحافة لا تعني في نظرنا إلّا حرّيّة اختيار الوسيلة التي يلجأ إليها الصحفيّون في التبشير بمبادئنا الشيوعيّة، ولا تعني هذه الحرّيّة بأيّة حال من الأحوال الحقّ في الترويج للآراء التي لا تتّفق مع الآراء الماركسيّة ... »(١).

وقالت جريدة برافدا الناطقة بلسان الحزب الشيوعي في عددها الصادر في ١٨ اكتوبر سنة ١٩٤٦م:

« تعلّمنا من ستالين أنّ الصحافة هي الجهاز الذي يدرّب الناس على الأخذ بتعاليم ماركس ولينين .. ويجب على الصحافة أن تكون صحافة شيوعيّة حتّى تكون الآراء التي تنشرها متمشّية تماماً مع العقليّة التي تملي عليها ما تكتب ... ».

إلى غير ذلك من التصريحات التي أدلى بها أعضاء القيادة العليا في الحزب الشيوعي، وهي تدلّ بوضوح على استهانة الفكرة الماركسيّة بحقوق الإنسان وكرامته، وتجاهلها لأبسط القضايا العادلة للإنسان.

---

(١) اقتبسنا هذه التصريحات من النظام الشيوعي: ٣٥ ـ ٣٧.

سابعاً: الصحّة العامّة

من مقوّمات المجتمع السليم نشر الصحّة العامّة، ووقاية الإنسان من الإصابة بالأمراض التي تفتك بقواه وتفكيره فيكون عالة على غيره وعضواً مشلولاً في المجتمع، وقد اهتمّ الإسلام بالصحّة اهتماماً بالغاً، وجعلها من مقوّمات مجتمعه، ففي الحديث: «**الْعَقْلُ السَّليمُ في الْجِسْمِ السَّليمِ**».

وقبل أن نعرض إلى المناهج التي شرّعها الإسلام لحفظ الصحّة العامّة نعرض إلى بعض الجهات التي ترتبط بالصحّة لما فيها من الفائدة فيما نحسب.

الصحّة قبل الإسلام

عانى الإنسان قبل الإسلام صنوفاً مرهقة من سوء الصحّه العامّة ومن الأمراض التي مني بها، ومن الاجراءات التي اتّخذوها أنّهم يحملون المريض إلى إحدى الطرق العامّة، فإذا اجتاز عليهم شخص سألوه هل ابتلي أحد عندكم بمرض مثل هذا المرض، فإذا قال نعم، سألوه عن كيفيّة علاجه، فيصفه لهم، فيعالجونه به، وكانوا يعالجون مرضاهم بما يلي:

أوّلاً: الكيّ، وهو علاج مرهق، إلّا أنّه قد يشفى منه بعض المرضى.

ثانياً: التميمة، وهي خرزة كانوا يصفونها لمرضاهم فيضعونها على صدورهم كالقلادة معتقدين أنّ المريض يشفى من مرضه، ولكنّه دواء غير نافع، وفي ذلك يقول الشاعر:

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها   أَلفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لَا تَنْفَعُ

أسباب المرض

أمّا أسباب المرض عندهم فتعزى إلى ما يلي:

أوّلاً: سقاية المريض ببعض الخرز السامّة من قِبل أعدائه وخصومه أدّت إلى مرضه، ولا تزال هذه الخرافة موجودة عند سكنة بعض الأرياف.

ثانياً: خروج المريض في غلس الليل وقد داس جنّيّاً وهو لا يدري فأصابه المرض من الجنّ انتقاماً منه، ولا يزال هذا الوهم قائماً عند بعض السذّج.. إلى غير ذلك من الخرافات والأوهام السائدة في تلك العصور.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**إنَّ الْجَسَدَ إذا لَمْ يَمْرَضْ يَأْشَرْ**[١]، **وَلَا خَيْرَ في جَسَدٍ يَأْشَرُ**»[٢].

الطبّ في الإسلام

وقضى الإسلام على الخرافات السائدة في العصر الجاهلي حول الأمراض وعلاجها، ودعا إلى طلب العلم بنطاق واسع وبصورة شاملة لجميع أنواعه، ففي الحديث: «**طَلَبُ العِلْمِ فَريضَةٌ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ**»[٣].

ومن العلوم التي حثّ الإسلام على طلبها علم الطبّ فقد أكّد الرسول صلى الله عليه وآله على دراسته والتمرّس فيه. يقول الرواة: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله اجتاز على جماعة في مسجده وقد احتفّوا بشخص يحدّثهم وهم صاغون له، فسألهم عنه، فقالوا: يا رسول الله، إنّه علّامة.

- **بِأَيِّ شَيْءٍ؟**
- إنّه عالم بأنساب العرب.

---

(١) **يأشر**: أي يبطر.

(٢) حلية الأولياء: ٣: ١٣٤. تذكرة الحفّاظ: ١: ٧١.

(٣) مستدرك الوسائل: ١٧: ٢٤٨، الحديث ٢١٢٥٠. عوالي اللئالي: ٤: ٧٠. بحار الأنوار: ١: ١٧٧.

فأنكر عليهم النبيّ ﷺ ذلك وقال: **إنَّ هٰذا عِلْمٌ لَا يَضُرُّ مَنْ جَهِلَهُ، وَلَا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ، إِنَّما الْعِلْمُ عِلْمانِ: عِلْمُ الْأَدْيانِ، وَعِلْمُ الْأَبْدانِ.**

إنّ معرفة الأنساب لا تعود بأيّة فائد على الإنسان، فإنّها بضاعة العاطلين.

قال رسول الله ﷺ: «**الْعُلومُ أَرْبَعَةٌ: الْفِقْهُ لِلْأَدْيانِ، وَالطِّبُّ لِلْأَبْدانِ، وَالنَّحْوُ لِلِّسانِ، وَالنُّجومُ لِمَعْرِفَةِ الْأَزْمانِ**»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**لَا يَسْتَغْني أَهْلُ بَلَدٍ عَنْ ثَلاثَةٍ - يَفْزَعُ إِلَيْهِمْ في أَمْرِ دُنْياهُمْ وَآخِرَتِهِمْ، فَإِنْ عَدِموا ذٰلِكَ كانوا هَمَجاً**[٢] **-: فَقيهٍ عالِمٍ وَرِعٍ، وَأَميرٍ خَيِّرٍ مُطاعٍ، وَطَبيبٍ بَصيرٍ ثِقَةٍ**»[٣].

إنّ الإسلام يدعو إلى تطوّر الفكر وتقدّم الحياة، وكلّ علم لا يحمل هذا الطابع فإنّه غير مرغوب به، وقد حرّم الإسلام علم السحر والشعوذة لأنّهما يدعوان إلى التخلّف وانحطاط الفكر.

مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في الطبّ

من المؤكّد جدّاً أنّ الإمام الصادق عليه السلام أقام مدرسة في الطبّ، وهي أوّل مدرسة تؤسّس في الإسلام في شبه جزيرة العرب، ولم تكن للعرب يوم ذاك عناية بالعلاج أو الوقاية[٤].

وكان الإمام يلقي محاضراته في هذا العلم، وقد تخرّج من مدرسته العالم الكبير

---

(١) معدن الجواهر: ٤٠. كنز الفوائد: ٢: ١٠٩. أعلام الدين: ٨٣. طبّ الأئمّة لابن بسطام: ٣. بحار الأنوار: ١: ٣١٨، الحديث ٤٢.

(٢) **الهَمَجُ**: رُذالةُ الناس. النهاية: ٥: ٢٧٣.

(٣) تحف العقول: ٣٢١. بحار الأنوار: ٧٨: ٢٣٥، الحديث ٩.

(٤) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ١١٧.

مفخرة الشرق جابر بن حيّان ، وألّف مجموعة من الكتب في هذا الفنّ منها :

كتاب السموم

وهو من أشهر مؤلّفاته ، وقد عرضنا بصورة شاملة إلى ما في هذا الكتاب من أنواع السموم ، وما يستعمل منها في درء الأمراض الخطيرة ، وقد ذكرناه في موسوعة الإمام الصادق عليه السلام[١] .

وممّن تخرّج من مدرسته الطبيب الهندي ابن بهلة الذي كان ينافس جبريل بن بختيشوع من كبار أطباء العصر العبّاسي ، وقد ظهرت أمارة الموت على إبراهيم بن صالح العبّاسي عند حدوث سكتة قلبيّة ناقصة مفاجئة ، فطلب هارون من جبريل بن بختيشوع إجراء الفحص عليه ، ومضى إليه وفحصه ، فأيس منه ، وأخبر هارون بأنّه لا أمل له في حياته ، وسارع إليه ابن بهلة وفحصه ، فقال له هارون : كيف حاله ؟

فأجابه أنّه سيبرأ .

فردّ عليه هارون : أتكذّب جبريل بن بختيشوع وهو طبيب أب عن جدّ ، وقد يئس منه وأنت تبشّر بسلامته .

ثمّ إنّ ابن بهلة دعا بمبضع حادّ فقطع عرقاً بين أصابع يد المريض اليسرى ، فنزف دمه ، وأخذ يتحرّك ببطء ، ثمّ انتبه تدريجيّاً ، وكانت هذه العمليّة مستقاة من الإمام العظيم جعفر الصادق عليه السلام[٢] .

لقد تطوّر الطبّ في أيّام الإمام الصادق عليه السلام وفي أيّام حفيده الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ، فقد أُثر عنهما الكثير من الاكتشافات المهمّة التي لم يعرفها الأطباء من قبل ، وذلك كاكتشاف الدورة الدمويّة ، وكعلم التشريح ، وغير ذلك ممّا سنعرض له .

---

(١) موسوعة الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : ٦ : ١٢٢ ، الطبعة الجديدة .

(٢) الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب : ١١٣ ـ ١١٥ .

أهميّة الصحّة

اهتمّ الإسلام بصحّة جسم الإنسان، وألزمه بمراعاته، وعدم الاجهاد عليه. يقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «**إنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً**».

إنّ للبدن حقّاً لازماً يجب مراعاته ولا يجوز إهماله، وقد أمر الإمام الصادق عليه السلام بالإنفاق على البدن فيما يحتاجه من الدواء، قال عليه السلام: «**لَيْسَ فيما أَصْلَحَ الْبَدَنَ إِسْرافٌ، إِنَّما الإِسْرافُ فيما أَتْلَفَ الْمالَ، وَأَضَرَّ الْبَدَنَ**»(١).

وقال عليه السلام أيضاً: «**لَوِ اقْتَصَدَ النّاسُ في الْمَطْعَمِ لَاسْتَقامَتْ أَبْدانُهُمْ**»(٢).

ليس من الإسراف في شيء فيما يصلح البدن، ويردّ له حيويّته ونشاطه، إنّما الإسراف في غير ذلك كما أمر الإسلام بمراجعة الأطباء وامتثال ما ينصحون به في المأكل والمشرب وغير ذلك.

ففي الحديث: «**امْشِ بِدائِكَ ما مَشىٰ بِكَ**».

وقال الإمام الجواد عليه السلام: «**أَرْبَعُ خِصالٍ تُعينُ الْمَرْءَ عَلَى الْعَمَلِ: الصِّحَّةُ، وَالْغِنىٰ، وَالْعِلْمُ وَالتَّوْفيقُ**»(٣).

وليس للإنسان أن يهمل ذلك ويتغافل عنه، فإنّ إهمال ذلك ممّا يؤدّي إلى إزمان المرض وصعوبة معالجته.

المقوّمات الصحيّة

أمّا المقوّمات الصحّيّة لبدن الإنسان فقد اهتمّ بها الإسلام، ولو طبّقها المسلمون

---

(١) الفصول المهمّة: ٣: ٢٨٥، الحديث ٢٩٥٢. تهذيب الأحكام: ١: ٣٧٦، الحديث ١١٦٠.

(٢) طبّ الأئمّة: ٤.

(٣) بحار الأنوار: ٧٥: ٧٩. كشف الغمّة: ٢: ٣٤٦.

على حياتهم لكان الطبّ عندهم وقائيّاً، وما احتاج ذوو الثراء إلى السفر للدول الأوربيّة لمعالجة أبدانهم، وهذا عرض لما ندب إليه الإسلام في الشؤون الصحّيّة:

أوّلاً: التوازن في الطعام والشراب

أمر الإسلام بالتوازن وعدم الإسراف في الطعام والشراب.

قال الله تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾[١].

وضعت الآية الشريفة منهجاً عامّاً للطعام والشراب على امتداد التاريخ، وفي كلّ زمان، وهو عدم الاسراف في تناول الطعام، فإنّ الإسراف يجرّ الويل والعطب للإنسان ويلقيه في شرّ عظيم، ومن بين ما يمنى به الانسان من الأمراض:

١ ـ الإصابة بارتفاع ضغط الدم.

٢ ـ الإصابة بداء السكّر.

٣ ـ تصلّب شرايين القلب.

٤ ـ الخمول والكسل.

٥ ـ إصابة الجهاز الهضمي بالأمراض.

إلى غير ذلك من الأمراض الفتّاكة التي يصاب بها المسرفون في تناول طعامهم، كما أنّ الآية بشمولها قد نهت عن الإسراف في الحياة الجنسيّة وفي الأُمور النفسيّة، كالإفراط في الفرح والحزن، فقد أعلن بعض الأطباء إنّ الإسراف فيهما يعرّض الإنسان للإصابة بداء السكّر.

كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام الأحاديث التالية في الحثّ على عدم الإسراف في الأكل:

---

(١) الأعراف ٧: ٣١.

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أمُّ جَميعِ الأَدْوِيَةِ قِلَّةُ الأَكْلِ»[١].

٢ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام : «قِلَّةُ الغِذاءِ أَكْرَمُ لِلنَّفْسِ، وَأَدْوَمُ لِلصِّحَّةِ»[٢].

٣ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام : «لَوِ اقْتَصَدَ النّاسُ في الْمَطْعَمِ لاسْتَقامَتْ أَبْدانُهُمْ»[٣].

٤ ـ وعنه عليه السلام : «أَقْرَبُ ما يَكونُ الْعَبْدُ مِنَ اللهِ تَعالىٰ إِذا خَفَّ بَطْنُهُ»[٤].

٥ ـ وعنه عليه السلام : «إِيّاكَ أَنْ تَأْكُلَ ما لا تَشْتَهيهِ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الْحَماقَةَ وَالْبَلَهَ، وَلا تَأْكُلْ إِلّا عِنْدَ الْجُوعِ، وَإِذا أَكَلْتَ فَكُلْ حَلالاً، وَسَمِّ بِاللهِ، وَاذْكُرْ حَديثَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله : ما مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعاءً شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ، فَإِذا كانَ وَلا بُدَّ فَثُلُثٌ لِطَعامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ»[٥].

٦ ـ قال عليه السلام : «كُلُّ داءٍ مِنَ التُّخْمَةِ إِلّا الْحُمّىٰ فَإِنَّها تَرِدُ وُروداً»[٦].

٧ ـ وعن الإمام الرضا عليه السلام : «لَوْ أَنَّ النّاسَ قَصَروا في الطَّعامِ لَاسْتَقامَتْ أَبْدانُهُمْ»[٧].

ثانياً: النظافة

حثّ الإسلام على النظافة في الكتاب والسنّة، فمن الآيات :

١ ـ قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٨].

---

(١) الاثنى عشريّة في المواعظ العدديّة : ٢١٣.

(٢) غرر الحكم : الحكمة ٦٨١٩. عيون الحكم والمواعظ : ٣٧٠، الحكمة ٦٢٤٠.

(٣) طبّ الأئمّة : ٤.

(٤) الغايات : ٧٩.

(٥) بحار الأنوار : ١ : ١٦٩.

(٦) المحاسن : ٢ : ٤٤٧، الحديث ٣٤١. فروع الكافي : ٦ : ٢٦٩، الحديث ٨.

(٧) مكارم الأخلاق : ٢ : ١٨٠، الحديث ٢٤٦٦. بحار الأنوار : ٦٢ : ١٤٢. الحديث ٩.

(٨) البقرة ٢ : ٢٢٢.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[١].

وأمّا السنّة، فكوكبة من الأخبار، وهي:

١ ـ «النَّظافَةُ تَدْعو إِلَى الْإِيْمانِ»[٢].

٢ ـ «بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظافَةِ»[٣].

٣ ـ «الطُّهُورُ نِصْفُ الْإِيْمانِ»[٤].

٤ ـ قال الإمام الرضا عليه‌السلام: «مِنْ أَخْلاقِ الْأَنْبياءِ التَّنَظُّفُ»[٥].

والنظافة التي دعا إليها الإسلام عامّة، وتشمل ما يلي:

١ ـ نظافة الجسد

من أظهر صور النظافة غسل جميع البدن، وإزالة ما عليه من الأوساخ، وهو يجب في موارد منها:

- غسل الجنابة للرجل والمرأة.
- غسل المرأة عند نقائها من الحيض والنفاس، وبعض صور الاستحاضة.

وهناك أغسال مندوبة، كغسل يوم الجمعة، والغسل لزيارة أئمّة الهدى عليهم‌السلام، ومن المؤكّد أنّ هذه الأغسال لا تبقي قذارة على جسم الإنسان.

كما فرض الإسلام الوضوء للصلاة اليوميّة، وصلاة الطواف الواجب، وللوضوء سننه من الاستنشاق وغسل داخل الفم بالمضمضة، كلّ ذلك بالماء النقيّ الطاهر.

ومن السنن تقليم الأظافر، وتنظيف الأسنان بالمسواك، وعدم البصق في

(١) التوبة ٩: ١٠٨.

(٢) فيض القدير: ٣: ٣٥٦.

(٣) مواهب الجليل للحطّاب الرعيني: ١: ٢٦٣. تذكرة الموضوعات: ٣١.

(٤) مستدرك الوسائل: ١: ٣٥٧.

محلّات العبادة، وغير ذلك من مطهّرات البدن.

٢ ـ نظافة اللباس

أمّا طهارة اللباس، فإنّها واجبة وجوباً غيريّاً لأجل الصلاة اليوميّة، ولا يجوز لبس الألبسة الملوّثة بالنجس، خصوصاً ملابس المرضى والموتى من دون طهارة وتعقيم لها. وقد حثّت السنّة النبويّة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام على ذلك:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَنِ اتَّخَذَ ثَوْباً فَلْيُنَظِّفْهُ**»[١].

٢ ـ قال الإمام عليّ عليه السلام: «**مَنْ نَظَّفَ ثَوْبَهُ قَلَّ هَمُّهُ**»[٢].

٣ ـ قال الإمام الهادي عليه السلام: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْجَمالَ وَالتَّجَمُّلَ، وَيَكْرَهُ الْبُؤْسَ وَالتَّباؤسَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذا أَنْعَمَ عَلىٰ عَبْدِهِ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرىٰ عَلَيْهِ أَثَرَها.**

فقيل له: وكيف ذلك؟

قال: **يُنَظِّفُ ثَوْبَهُ، وَيُطَيِّبُ رِيحَهُ، وَيُحَسِّنُ دارَهُ، وَيَكْنِسُ أَفْنِيَتَهُ، حَتّىٰ أَنَّ السِّراجَ قَبْلَ مَغيبِ الشَّمْسِ يَنْفِي الْفَقْرَ، وَيَزيدُ في الرِّزْقِ**»[٣].

كما أنّه من المستحسن أن تكون الألبسة خفيفة وغير ضيّقة، وذلك لما لها من أثر على الدورة الدمويّة حسب ما يقول الأطباء.

٣ ـ نظافة السكن

ندب الإسلام إلى نظافة البيت الذي يسكن فيه الإنسان، وإزالة ما فيه من القمامة

---

(١) الكافي: ٦: ٤٤١، الحديث ٣. قرب الإسناد: ٧٠، الحديث ٢٢٣. مكارم الأخلاق: ١: ٢٣٠، الحديث ٦٧٧. بحار الأنوار: ٧٩: ٢٩٧، الحديث ١.

(٢) كنز الفوائد: ٢: ١٨٢. بحار الأنوار: ٧٨: ٩٣، الحديث ١٠٤.

(٣) أمالي الطوسي: ٢٧٥، الحديث ٥٢٦. بحار الأنوار: ٧٣: ١٤١، الحديث ٥.

والأوساخ ، فإنّ لها الأثر التامّ في الإصابة بالأمراض المعدية . إنّ السكن الصحّي من أهمّ العوامل في التخلّص من كثير من الأمراض .

٤ ـ نظافة الشوارع

وهذا من مسؤوليّات الدولة ، فهي المسؤولة عن إزالة الأوساخ من الشوارع ، فإنّ بقاء الأوساخ ممّا يوجب نشر الأوبئة والأمراض .

٥ ـ غرس الأشجار

حثّ الإسلام على غرس الأشجار ، سواء في البيوت أم في الشوارع ، فقد لعن الرسول ﷺ قاطع بعض الأشجار كالسدرة ، وذلك لما في الشجر من أثر مهمّ في تنقية الهواء ، وسلامة الإنسان من الإصابة ببعض الأمراض ، أمّا مسؤوليّات نشر الحدائق العامّة ، وتزويدها بالأشجار والورود ، فإنّه يقع على الدولة .

إنّ الطبّ أصبح في بعض مناطق العالم وقائيّاً ، وسببه تطبيق المناهج الصحّيّة على واقع الحياة العامّة ، وتعاون جميع الطبقات بصورة إيجابيّة على تجنّب الأمراض وإزالة شبحها البغيض .

٦ ـ نظافة الأواني

من مقوّمات الصحّة نظافة الأواني ، فقد حثّت الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام على هذه السنّة ، منها :

١ ـ قال رسول الله ﷺ : «**غَلِّقوا أَبوابَكُمْ ، وَأَوْكِئوا أَسْقِيَتَكُمْ ، وَخَمِّروا آنِيَتَكُمْ**»[1] .

---

(١) صحيح ابن حبّان : ٤ : ٩١ . صحيح ابن خزيمة : ١ : ٦٨ . المصنّف لابن أبي شيبة : ٥ : ٥٢٧ ، الحديث ٢ . كنز العمّال : ١٥ : ٣٣١ ، الحديث ٤١٢٦٤ . **الوكاء** : رباط القِربة وغيرها الذي يُشدّ به رأسها . تاج العروس : ٢٠ : ٣٠٩ . **التَّخْمير** : التغطية . الصحاح : ٢ : ٦٥٠ .

٢ ـ عن الباقر عليه‌السلام : «كانَ رَسولُ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله يُعجِبُهُ الْإِناءُ الْمُطْبَقُ»[١].

٣ ـ وعن الصادق عليه‌السلام : «غَسْلُ الْإِناءِ، وَكَسْحُ الْفِناءِ مَجْلَبَةٌ لِلرِّزْقِ»[٢].

٧ ـ توفير الماء النقيّ

من مسؤوليّات الدولة توفير المياه الصالحة النقيّة للمواطنين، وحمايتها من التلوّث بالجراثيم، فإنّ المياه الغير الصالحة هي التي تنقل الأوبئة للناس وتفتك بحياتهم.

إنّ كثيراً من سكّان العالم يرزحون في أعباء الأمراض السارية والأمراض المتوطّنة والمزمنة، كلّ ذلك ناشئ من عدم الاهتمام بالصحّة العامّة.

أغذية محرّمة

ندب الإسلام إلى تناول الأطعمة الطيّبة التي لا تضرّ بالصحّة العامّة، كما حرّم بعض الأغذية التي تضرّ بصحّة الناس، وقد أعلن القرآن الكريم ذلك، قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ... ﴾**[٣].

حرّمت الآية الكريمة الميتة والدم ولحم الخنزير، ونعرض إلى بعض الأضرار التي تترتّب على تناول هذه المحرّمات:

---

(١) المصنّف لابن أبي شيبة: ٥: ٥٢٧، الحديث ٤. سبل الهدى والرشاد: ٨: ٣٣، وفيه: «النظيف» بدل «المطبق». كنز العمّال: ٧: ١١٠، الحديث ١٨٢٢، وفيه: «المنطبق» بدل «المطبق».

(٢) الإثني عشريّة في المواعظ العدديّة: ٢٩.

(٣) البقرة ٢: ١٢٧ و ١٢٨.

١ ـ الميتة

حرّم الإسلام تناول الميتة من الحيوانات المباحة الأكل ،كالأنعام الثلاثة ، والميتة هي التي تفارقها الروح من دون ذبح ، فقد ذكر الأطباء الأضرار البالغة التي تترتّب على تناولها ، فقالوا : الحيوان الميّت ميتة طبيعيّة لا يموت إلّا لسبب ، فإن كان لمرض فلاشكّ أنّ في جسمه مواداً ضارّة حتّى بعد أن يعقم من الجراثيم بطريق الطهارة ، فإنّ الجسم الميّت يشبه الغذاء المتخمّر الذي مهما طهر من الجراثيم بالحرارة فإنّه يضرّ. وربّما أدّى الأكل منه إلى الوفاة[١].

وقال بعض الأطباء :

« إنّ الميتة تنعدم فيها جميع خواصّها الطبيعيّة للبدن ،وتزول كلّ موارده الحيويّة ، فإذا أكلها الإنسان عقب الموت مباشرة أحدثت له مغصاً في المعدة ، ونزلات معويّة حادّة ، أمّا إذا مضت مدّة حتّى تعفن صار سمّاً زعافاً ، وأضرّ في البدن بما قد يؤدّي إلى الإصابة بالفالج ، أو موت الفجأة ، وبالمداومة قد يحدث العقم في النسل »[٢].

أمّا الميتة التي تستند إلى الشيخوخة ، فإنّ ضررها كضرر الميتة من غيرها ، لأنّ الشيخوخة توجب انحلال الأنسجة ، وهو ممّا يؤدّي تغييراً في لحوم الحيوان ، ويسبب بعض الأمراض المعدية .

أمّا الميتة التي تستند إلى بعض الحوادث ، فقد حرّمها الإسلام لأنّها تحدث تعفّناً في اللحم ممّا يسبّب بعض الأمراض .

---

(١) القرآن والطبّ الحديث : ١٧ .

(٢) القرآن والطب الحديث : ٧٦.

٢ ـ الدم

حرّم الإسلام تناول الدم لأنّه موطن للجراثيم ، فمنه تتولّد ، ومنه تنتشر ، كما أنّه يحمل إفرازات وسمومات ، وتناوله يحدث تهيّجاً في الأغشيّة المعديّة ، ويُحدث بعض الأمراض[١].

قال الإمام الرضا عليه‌السلام : « **وَحَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الدَّمَ كَتَحْرِيمِ الْمَيْتَةِ ، لِما فيهِ مِنْ فَسادِ الْأَبْدانِ ، وَلأَنَّهُ يُورِثُ الْماءَ الْأَصْفَرَ ، وَيَبْخَرُ الْفَمَ ، وَيُنْتِنُ الرِّيحَ ، وَيُسِيءُ الْخُلُقَ ، وَيُورِثُ الْقَسْوَةَ لِلْقَلْبِ ، وَقِلَّةِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، حَتّىٰ لَا يُؤْمِنُ أَنْ يَقْتُلَ والِدَهُ وَصاحِبَهُ** »[٢].

٣ ـ لحم الخنزير

حرّمت الآية تناول لحم الخنزير وذلك لما فيه من الأضرار ، فإنّه يحدث الداء المسمّى « تريشينوز » ، وهو داء صعب العلاج يصحبه إسهال شديد ، واحياناً يحدث اسهالاً دمويّاً مع مغص وحمّى شديدة وأوجاع في المفاصل ، وجفاف في الحنجرة ، وأعضاء في التنفس ، وانتفاخ ظاهر في الوجه ، والضعف العامّ في الجسم .

وقد اكتشف الطبيب الإنجليزي « باجت » في سنة ١٨٣٥م هذا الداء عند تشريح جثّة إنسان كان يكثر من أكل لحم الخنزير ، وبعد التجارب المتعاقبة ظهر أنّ هذا الداء ينشأ من دودة تسمّى « تريشبنلا » تعيش في أمعاء بعض الحيوانات ذوات الثدي كالفئران والجرذان والكلاب والخنازير ، غير أنّها فيها أربى ، وأكثر تولّداً ، لأنّها تأكل الجيف ... فإذا أكل الإنسان لحم الخنزير المصاب ، فبعد مدّة وجيزة تذوب تلك

---

(١) القرآن والطبّ الحديث : ٢٧٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام : ١ : ١٠١. وسائل الشيعة : ٢٤ : ١٠٢.

الأغشية في أمعاء الإنسان وتتولّد الديدان، وتنتشر في جميع أنحاء البدن، وتسبّب الأمراض المتقدّمة»[١].

وهذه الإصابة الخطيرة تكثر في بلاد الغرب التي أباحت أكله. يقول «بيني وديكسون»:

«إنّ الإصابة بها ـ أي بتلك الأمراض ـ تكاد تكون عامّة في فرنسا وألمانيا وبريطانيا، ولكنّها نادرة الوجودة في البلاد الشرقيّة لتحريم دين أهلها أكل لحم الخنزير»[٢].

وأدلى بعض الأطباء بالأمراض الناجمة عن أكل لحم الخنزير، قال:

١ ـ إنّه ليس من الممكن لطبيب أخصّائي أن يقرّر أنّ خنزيراً غير مصاب بهذه الديدان، إلّا إذا فحص كلّ جزء من عضلاته تحت المجهر، وهذا غير ممكن.

٢ ـ إنّ الأُنثى الواحدة من هذه الديدان تضع نحو نحو ١٥٠٠ بيضة في الغشاء المخاطي المبطّن لأمعاء المصاب، فتولّد الملايين، وتنتشر بطريق الدورة الدمويّة في جميع أجزاء الجسم، وتسبّب آلاماً شديدة، والتهابات عضليّة تؤدّي إلى انتفاخ النسيج العضلي، إلى غير ذلك من الأمراض.

٣ ـ إنّه لا يوجد علاج لهذا المرض، ولا يجدي معه دواء، وبالإضافة لذلك فإنّ تناول لحم الخنزير يحدث تسمّماً حادّاً مصحوباً بالتهابات شديدة في الجهاز الهضمي قد تسبّب الوفاة في بضع ساعات[٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ لَمْ يُحَرِّمْ ذٰلِكَ عَلىٰ عِبادِهِ، وَأَحَلَّ لَهُمْ ما سِواهُ مِنْ رَغْبَةٍ فيما حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَلَا رَهْبَةٍ فيما أَحَلَّ لَهُمْ، وَلٰكِنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ**

---

(١) القرآن والطبّ الحديث: ٧٦.

(٢) النظام السياسي في الإسلام: ٣٠٢.

(٣) روح الدين الإسلامي: ٤٠٥.

وَعَلِمَ ما تَقومُ بِهِ أَبْدانُهُمْ ، وَما يُصْلِحُهُمْ فَأَحَلَّهُ لَهُمْ ، وَأَباحَهُ لَهُمْ تَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ لِمَصْلَحَتِهِمْ ، وَعَلِمَ ما يَضُرُّهُمْ فَنَهاهُمْ عَنْهُ ، وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَباحَهُ لِلْمُضْطَرِّ ، وَأَحَلَّهُ لَهُ في الْوَقْتِ الَّذي لَا يَقومُ بَدَنُهُ إِلَّا بِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يَنالَ مِنْهُ بِقَدَرِ الْبُلْغَةِ لَا غَيْرُ.

أَمّا الْمِيتَةُ: فَإِنَّهُ لَا يَدْنو مِنْها أَحَدٌ ، وَلَا يَأْكُلُ ، إِلَّا ضَعُفَ بَدَنُهُ ، وَنَحُلَ جِسْمُهُ ، وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وَانْقَطَعَ نَسْلُهُ ، وَلَا يَموتُ إِلَّا فَجْأَةً.

وَأَمّا الدَّمُ: فَإِنَّهُ يُورِثُ الْماءَ الْأَصْفَرَ ، وَيُبْخِرُ الْفَمَ ، وَيُنْتِنُ الرِّيحَ ، وَيُسيءُ الْخُلُقَ ، وَيُورِثُ الْكَلَبَ ، وَالْقَسْوَةَ لِلْقَلْبِ ، وَقِلَّةِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، حَتّىٰ لَا يُؤْمَنَ أَنْ يَقْتُلَ وَلَدَهُ وَوالِدَيهِ ، وَلَا يُؤْمَنَ عَلىٰ حَميمِهِ ، وَعَلىٰ مَنْ صَحِبَهُ.

وَأَمّا لَحْمُ الْخِنْزيرِ ، فَإِنَّ اللهَ مَسَخَ قَوْماً في صُورةِ شَيْءٍ شِبْهِ الْخِنْزيرِ لِكَي لَا يُنْتَفَعَ بِها ، وَلَا يُسْتَخَفَّ بِعُقوبَتِهِ.

وَأَمّا الْخَمْرُ فَإِنَّهُ حَرَّمَها لِفِعْلِها وَفَسادِها وَقالَ: إِنَّ مُدْمِنَ الْخَمْرِ كَعابِدِ الْوَثَنِ ، وَيُورِثُهُ الارْتِعاشَ ، وَيُذْهِبُ بِقُوَّتِهِ ، وَيَهْدِمُ مُروءَتَهُ ، وَيَحْمِلُهُ عَلىٰ أَنْ يَجْسُرَ عَلَى الْمَحارِمِ مِنْ سَفْكِ الدِّماءِ وَرُكوبِ الزِّنا ، وَلَا يُؤْمَنُ إِذا سَكَرَ أَنْ يَثِبَ عَلىٰ حُرَمِهِ»[١].

وقال الإمام الرضا عليه‌السلام : «وَحُرِّمَ الْخِنْزيرُ لأَنَّهُ مُشَوَّهٌ ، جَعَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِظَةً لِلْخَلْقِ ، وَعِبْرَةً وَتَخْويفاً وَدَليلاً عَلىٰ ما مُسِخَ عَلىٰ خِلْقَتِهِ ، وَلأَنَّ غِذاءَهُ أَقْذَرُ الْأَقْذارِ ، مَعَ عِلَلٍ كَثيرَةٍ»[٢].

إنّ هذه الأضرار الهائلة التي تترتّب على تناول لحم الخنزير تكشف عن مدى العمق والأصالة في تحريم الإسلام لها ، ولعلّ المختبرات العلميّة في المستقبل تكشف المزيد من الأمراض والآفات التي تنجم عن تناولها.

---

(١) الاختصاص: ١٠٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام : ١: ١٠١. وسائل الشيعة: ٢٤: ١٠٢.

ذبائح محرّمة

وحرّم الإسلام بعض الذبائح التي لم تذبح على الطريقة الشرعيّة، وقد جاء ذلك صريحاً في الآية المباركة.

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[١].

حرّم الإسلام هذه الأصناف لأنّها تشارك الميتة في أضرارها وإفسادها لجسم الإنسان، ونشير إلى بعض الأضرار.

١ ـ المنخنقة

وهي الحيوان الذي يموت بالخنق، وقد ذكر الأطباء أنّ الاختناق يجعل لحم الحيوان سريع التعفّن، وأنّ شكله يميل إلى السواد، ويكون ذا رائحة كريهة.

٢ ـ الموقوذة

وهي التي تضرب حتّى الموت، وهي تشارك المنخنقة في تعفّن لحمها، وعدم صلاحيّته للأكل.

٣ ـ النطيحة

وهي التي تموت من عراكها مع مثيلاتها من الحيوانات وغيرها، ولا تصلح للأكل

(١) المائدة ٥: ٣.

لتعفّن لحمها واسوداده ، وقد قرر علم فحص اللحوم ترتّب هذه الأضرار عليها وعلى ما سبقها .

٤ ـ المتردّية

وهي التي تسقط من مكان مرتفع فتموت ، وهي لا تصلح للأكل لتعفّن لحمها واسوداده .

٥ ـ ما أكل السبع

حرّم الإسلام ما يفترسه السبع من الحيوانات ، وقد ذكروا أنّ الحكمة في ذلك هو أنّ الحيوانات المفترسة تأكل الجيف عادة وهي تحمل الأمراض الفتّاكة وربّما تنتقل تلك الجراثيم من فم السبع إليها ، وتسبّب أمراضاً خطيرة للإنسان . .

قال الإمام الرضا عليه‌السلام : « **وَحُرِّمَ سِباعُ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ كُلُّها لأَكْلِها الْجِيَفَ ، وَلُحومَ النّاسِ ، وَالْعَذْرَةَ ، وَما أَشْبَهَ ذلِكَ ، فَجَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دَلائِلَ ما يَحِلُّ مِنَ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَما حُرِّمَ ، كَما قالَ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه‌السلام : كُلُّ ذي نابٍ مِنَ السِّباعِ ، وَذي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ ، حَرامٌ ، وَكُلُّ ما كانَتْ لَهُ قانِصَةٌ مِنَ الطَّيْرِ فَحَلالٌ** »[١] .

هذه بعض الذبائح التي حرّمها الإسلام .

مشروبات محرّمة

حرّم الإسلام بعض المشروبات لأنّها توجب انهيار الصحّة العامّة ، ومن بينها :

الخمر

حرّم الإسلام الخمر وجعله من كبائر الذنوب ، وسمّاه رجساً ، قال تعالى :

---

(١) علل الشرائع : ٢ : ٤٨٢ . وسائل الشيعة : ٢٤ : ١١٦ .

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام :

١ ـ «الشَّرابُ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعابِدِ وَثَنٍ ، وَإِنَّ الْخَمْرَ رَأْسُ كُلِّ إِثْمٍ ، وَشارِبُها مُكَذِّبٌ بِكِتابِ اللهِ لَوْ صَدَّقَ كِتابَ اللهِ حَرَّمَ حَرامَهُ»[٢].

٢ ـ «شُرْبُ الْخَمْرِ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ»[٣].

٣ ـ قال المفضّل بن عمر: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام : لِمَ حرّم الله الخمر ؟

قال : حَرَّمَ اللهُ الْخَمْرَ لِفِعْلِها وَفَسادِها؛ لأَنَّ مُدْمِنَ الْخَمْرِ تُورِثُهُ الارْتِعاشَ ، وَتُذْهِبُ بِنُورِهِ ، وَتُهَدِّمُ مُرُوَّتَهُ ، وَتَحْمِلُهُ عَلىٰ أَنْ يَجْسُرَ عَلَى ارْتِكابِ الْمَحارِمِ ، وَسَفْكِ الدِّماءِ ، وَرُكوبِ الزِّنا ، وَلَا يُؤْمِنَ إِذا سَكَرَ أَنْ يَثِبَ عَلىٰ حُرَمِهِ وَهوَ لَا يَعْقِلُ ذلِكَ ، وَلَا يَزيدُ شارِبها إِلَّا كُلَّ شَرٍّ»[٤].

٤ ـ «مُدْمِنُ الْخَمْرِ يَلْقَى اللهَ يَوْمَ يَلقاهُ كَعابِدِ وَثَنٍ»[٥].

٥ ـ «ثَلاثَةٌ لَا يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ: السَّفّاكُ لِلدَّمِ ، وَشارِبُ الْخَمْرِ ، وَمَشّاءٌ بِالنَّميمَةِ»[٦].

إنّ الخمر منبع لكلّ رذيلة وآفة مدمّرة للصحّة ، وقد أحصت مصادر الطبّ أربعاً وعشرين ضرراً مترتّباً على شربه ، منها :

---

(١) المائدة ٥: ٩٠.

(٢) فروع الكافي: ٦: ٤٠٣.

(٣) فروع الكافي: ٦: ٤٠٢.

(٤) علل الشرائع: ٢: ١٦١.

(٥) وسائل الشيعة: ١٧: ٢٥٤.

(٦) الخصال: ١: ٥٥.

ضرره على النسل

ثبت في الطبّ الحديث أنّ المسكر له تأثير على النسل ، ذكر الدكتور « بوجونوس » أنّ الخمر من مسبّبات العقم ، قال : كتب «رمانيوس دنكان» عن العقم في محاضرته قصّة فتاة مدمنة ظلّت أعواماً بلا حمل ، مع أنّه لم يكن في جسمها ما يدعو إلى هذه العاهة ، ولمّا عولجت بالامتناع عن الخمر مدّة عام حملت ، كما أنّ الرجل كذلك ، ويعود السبب في ذلك إلى ضعف مركز الصلب وتنبه مركز المخ ، والشخص المتسمّم به تنتقل سمومه وعلله إلى ذرّيته وعائلته .

وذكر أنّ من يولد من أبوين مدمنَين فإنّه يحمل آثار الضعف البني ، ويكون عرضة للإصابة باضطرابات خطيرة قد تنتهي إلى الشلل أو العقم ، وأنّ تأثيرها قاتل للجنين وللطفل بعد الولادة ، حتّى أنّه قد تلاشت عوائل بأجمعها في عقبين أو ثلاثة أعقاب .

ومضافاً لذلك ، فإنّ ذرّيّة المدمنين قد تصاب بتشوّهات كالانحراف في النموّ العقلي ، وضعف الذاكرة ، أو البله ، ويرى هذا الدكتور وغيره حرمة تزويج المدمن نظراً لهذه الأخطار الهائلة .

تأثيره على الدم

ذهب المحلّلون للخمر إلى أنّ العنصر الفعّال فيه هو الكحول ، وهي تتسرّب إلى الدم بكلّ سهولة من غير أن تنحلّ ، وقد يدخل ما انحلّ منه إلى المعدة فيتحوّل إلى « الدهيد » ثمّ يتوزّع بواسطته إلى جميع الأنسجة والأعضاء ، وقليل منه يكون حامضاً كربونيّاً و حامضاً خليّاً ، واستدلّوا على ذلك أنّك لو أخذت من دم سكران وأدنتيه من النار لالتهب كما يلتهب الخمر والسبيرتو .

تأثيره على القلب

أمّا تأثيره على القلب ، فإنّ نبضه يشتدّ ويسرع ، لأنّه يسبّب ضغطاً على نشاط

العضلات القلبيّة ، كما أنّه يسبّب ضغطاً على جدران الأوعية الدمويّة ، وينتج ذلك نضح الجلد عرقاً .

وذكر بعض الأطباء أنّ الادمان على الخمر يسبّب تصلّب الشرايين كما يسبّب انفجاراً في شرايين الدماغ ممّا يحدث فالجاً أو شللاً لا برء له .

خطره على الكبد والكليتين

أفاد الأطباء أنّ الجسم بعدما يمتصّ من الكحول فإنّه يمرّ في الكبد من طريق الدورة الدمويّة وهو يخرّب الخلايا الكبديّة ، ويحدث تضخّماً في الكبد ، ذكر ذلك كلّ من « هيل هوات » و« ودوث هوات » في « الأقربذين » وهو من مصادر الطبّ ، وقد ترجمت لي من اللغة الانكليزيّة إلى اللغة العربيّة .

وأمّا تأثيره على الكليتين فإنّه يسبّب إدراراً في البول ، وذلك يسبّب تمدّد الأوعية الدمويّة ، كما يخرج جانب من الكحول عن طريق الكليتين ممّا يسبّب التهابهما .

تأثيره على المعدة

وأفاد المحلّلون للخمر إلى أنّه متى امتزج بالمعدة ، فإنّه ينحلّ بعضه إلى ألدهيد والحامض الخلّي ويرسب الببسين ومخلّفات البرثون والبرتاييد ، ومن المعلوم أنّ من أهمّ العناصر الموجبة لهضم الطعام هو الببسين ، فإنّه متى رسب تعذّر الهضم ، كما يوجب تهيّج غشاء المعدة المخاطي ، الأمر الذي يوجب تمدّداً في الأوعية الدمويّة وتدفّق العاصرة المعديّة والأدران بتلف العصارة المعدية ، ويحدث إفرازه في المخاط وهو ممّا يوجب الابتلاء بسوء الهضم ، فإنّ المدمنين يشكون دوماً الآلام الموجعة من معدهم .

هذه بعض أضرار الخمر حسبما ذكرته مصادر الطبّ ، وقد ذكروا لها أضراراً أُخرى ، وهي :

١ ـ تضخّم الكبد بسبب الاستسقاء.

٢ ـ التهاب الكليتين يؤدّي إلى تسمّم عامّ.

٣ ـ الصرع.

٤ ـ الفالج.

٥ ـ اضطراب عصبي عامّ.

٦ ـ ضعف الرئتين.

٧ ـ عدم استطاعة المدمن على مقاومة الأمراض الفتّاكة، كالتيفوئيد والتهاب السحايا، فإنّ المدمن إذا أُصيب بإحدى هذه الأمراض فإنّها تقضي عليه، ولا تجديه المضادّات الحياتيّة كالبنسلين وغيره.

ومضافاً لهذه الآفات والأضرار الاقتصاديّة الانغماس في الموبقات والرذائل والتعرّض لأعراض الناس، ومن المؤسف أنّ الحكومات الإسلاميّة معظمها لم تعن بما حرّمه الإسلام لهذه الآفة المدمّرة، فأجازت بيعه واستيراده، ولم تراقب مصلحة شعوبها.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «**حَرَّمَ اللهُ الْخَمْرَ لِما فيها مِنَ الْفَسادِ، وَمِنْ تَغْييرِها عُقولَ شارِبيها، وَحَمْلِها إِيّاهُمْ عَلىٰ إِنْكارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ وَعَلىٰ رُسُلِهِ، وَسائِرِ ما يَكونُ مِنْهُمْ مِنَ الْفَسادِ وَالْقَتْلِ وَالْقَذْفِ وَالزِّنا، وَقِلَّةِ الإِحْتِجازِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْحَرامِ، فَبِذلِكَ قَضَيْنا عَلىٰ كُلِّ مُسْكِرٍ مِنَ الأَشْرِبَةِ أَنَّهُ حَرامٌ مُحَرَّمٌ؛ لأَنَّهُ يَأْتي مِنْ عاقِبَتِها ما يَأْتي مِنْ عاقِبَةِ الْخَمْرِ، فَلْيَجْتَنِبْهُ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَوَلّانا، وَيَنْتَحِلُ مَوَدَّتَنا، فَإِنَّهُ لا عِصْمَةَ بَيْنَنا وَبَيْنَ شارِبيها**»[١].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٠٥.

المحافظة على الصحّة

ومن الأُمور التي تضرّ بالصحّة المخدّرات ، فإنّها محرّمة في الإسلام ، فلا يجوز صنعها واستيرادها وذلك لما لها من الأضرار البالغة على حياة الناس .

الدخان

ويحرم شرب الدخان إذا كان مضرّاً بالبدن ، فإنّ في استعماله إلقاء بالتهلكة ، وقد أثبتت البحوث الطبيّة الحديثة الأضرار الهائلة التي تترتّب على استعماله ، والتي منها :

١ ـ تصلّب الشرايين .

٢ ـ السرطان ، وكثيراً ما تصاب به الرئة والحنجرة .

٣ ـ التهاب المعدة .

٤ ـ تسمّم البدن .

٥ ـ انهيار الأعصاب .

إلى غير ذلك من الأمراض الخطيرة ، ونظراً لشيوع الأضرار فيه ، وكثرة الدعايات المضادّة له فقد ندر استعماله في الندوات والمجالس العامّة وغيرها .

كثرة الهمّ

من الأُمور التي تخلّ بالصحّة ، وتمزّق الأعصاب ، وتدمّر الحياة ، كثرة الهمّ ، يقول الإمام الأعظم موسى بن جعفر عليه السلام : «**كَثْرَةُ الْهَمِّ تُورِثُ الْهَرَمَ**»[١] .

وقال الإمام الجواد عليه السلام : «**مَنْ كَثُرَ هَمَّهُ سَقِمَ جَسَدُهُ**»[٢] .

---

(١) تحف العقول : ٤٠٣ . بحار الأنوار : ٧٥ : ٣٢٦ ، الحديث ٤ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٥ : ٧٩ . كشف الغمّة : ٢ : ٣٤٧ .

وكثيراً ما يبتلى بهذا الداء الخطير التجّار الذين يجهدون أنفسهم للظفر بمزيد من الأرباح معتقدين أنّ سعادتهم بكثرة الأموال ، فإذا مني أحدهم بخسارة في بضاعته انطوت نفسه على حزن عميق ، وأسى مرير ، ولم يعلم أنّ مجريات الأحداث كلّها بيد الله تعالى ، فهو يرزق من يشاء ، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير.

ويقول أحد شعراء العربيّة :

وَإِذا ما أَصابَ رَأْسَكَ هَمٌّ قَصِّرِ البَحْثَ فيهِ كَيْلا يَطولا

الراحة

كما أنّ الجسم محتاج إلى العمل والحركة كذلك يحتاج إلى الراحة ، وأن لا يجهد الإنسان نفسه بالعمل أكثر من طاقاته ، فإنّه يحطّم صحّته التي هي أغلى وأثمن ما في الحياة ، والراحة قد تكون في نهاية الاسبوع أو في آخر الشهر ولتكن الراحة مع أهله وأصدقائه الصالحين ، وأن لا تكون أوقات الراحة التي يقضيها في الأعمال المحرّمة والسهرات الفاسدة التي تبعده عن الله تعالى ، وتلقيه في شرّ عظيم ، وذلك كالرواح إلى دور اللهو والفساد ، وغيرها من مجالس الشرّ والموبقات.

وقاية الجسد من الأمراض

عن الإمام الصادق عليه‌السلام :

١ ـ **«مَنْ ظَهَرَتْ صِحَّتُهُ عَلىٰ سُقْمِهِ فَيُعالَجُ بِشَيْءٍ ، فَماتَ ، فَأَنا إِلَى اللهِ مِنْهُ بَرِيءٌ»**[١].

٢ ـ **«اجْتَنِبِ الدَّواءَ ما احْتَمَلَ بِدَنُكَ الدّاءَ»**[٢].

---

(١) وسائل الشيعة : ٢ : ٦٢٩. الخصال : ٢ : ٩٢.

(٢) الفصول المهمّة : ٣ : ٢٥ ، الحديث ٢٤٩٩.

٣ ـ «لَيْسَ فيما أَصْلَحَ الْبَدَنَ إِسْرافٌ ، إِنَّما الإِسْرافُ فيما أَتْلَفَ الْمالَ ، وَأَضَرَّ الْبَدَنَ»[١].

٤ ـ «لَا تَدْخُلِ الْحَمّامَ إِلَّا وَفي جَوْفِكَ شَيْءٌ يُطْفِئُ عَنْكَ وَهَجَ الْمَعِدَةِ ، وَهُوَ أَقْوىٰ لِلْبَدَنِ ، وَلَا تَدْخُلْ وَأَنْتَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الطَّعامِ»[٢].

٥ ـ «النَّوْمُ راحَةُ الْجَسَدِ ، وَالنُّطْقُ راحَةُ الرُّوحِ ، وَالسُّكوتُ راحَةُ الْعَقْلِ»[٣].

٦ ـ «يَنْبَغي لِلشَّيْخِ الْكَبيرِ أَلَّا يَنامَ وَجَوْفُهُ مُمْتَلِئٌ مِنَ الطَّعامِ ، فَإِنَّهُ أَهْدَأُ لِنَوْمِهِ ، وَأَطْيَبُ لِنَكْهَتِهِ»[٤].

٧ ـ «اغْسِلوا أَيْديَكُمْ قَبْلَ الطَّعامِ وَبَعْدَهُ»[٥].

٨ ـ «أَقْلِلْ مِنْ شُرْبِ الْماءِ فَإِنَّهُ يَمُدُّ كُلَّ داءٍ»[٦].

وتحدّث الإمام الأعظم الرضا عليه السلام في رسالته الذهبيّة عن صلاح الجسد ووقايته من الأمراض ، قال مخاطباً المأمون :

«وَاعْلَمْ يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ، أَنَّ الْجَسَدَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ مَتىٰ تُعوهِدَتْ بِالْعِمارَةِ وَالسَّقْيِ مِنْ حَيْثُ لا يُزْدادُ في الْماءِ فَتَغْرَقَ ، وَلا يُنْقَصُ مِنْهُ فَتَعْطَشَ دامَتْ عِمارَتُها ، وَكَثُرَ رَيْعُها ، وَزَكِيَ زَرْعُها ، وَإِنْ تُغوفِلَ عَنْها فَسَدَتْ ، وَلَمْ يَنْبُتْ فيها الْعِشْبُ ، فَالْجَسَدُ بِهذِهِ الْمَنْزِلَةِ ، وَبِالتَّدْبيرِ في الْأَغْذِيَةِ وَالْأَشْرِبَةِ يَصْلُحُ ، وَيَصِحُّ وَتَزْكُو الْعافِيَةُ فيه.

---

(١) الفصول المهمّة : ٣ : ٢٨٥ ، الحديث ٢٩٥٢ . تهذيب الأحكام : ١ : ٣٧٦ ، الحديث ١١٦٠ .

(٢) فروع الكافي : ٦ : ٤٩٧ ، الحديث ٥ .

(٣) أمالي الصدوق : ٣٥٨ ، الحديث ١ .

(٤) الإمام جعفر الصادق عليه السلام : ١٨٨ .

(٥) بحار الأنوار : ٦٣ ، ٣٥٦ ، الحديث ٢٠ .

(٦) المحاسن : ٢ : ٥٧١ ، الحديث ١١ . فروع الكافي : ٦ : ٣٨٢ ، الحديث ٢ .

فَانْظُرْ يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ما يُوافِقُكَ ، وَيُوافِقُ مِعْدَتَك ، وَيَقْوىٰ عَلَيْهِ بَدَنُك وَيَسْتَمْريه مِنَ الطَّعامِ وَالشَّرابِ فَقَدِّرْهُ لِنَفْسِك ، وَاجْعَلْهُ غذاءَكَ.

وَاعْلَمْ يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ أَنَّ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْ هذِهِ الطَّبايِعِ تُحِبُّ ما يُشاكِلُها ، فَاغْتَذِ ما يُشاكِلُ جَسَدَكَ ، وَمَنْ أَخَذَ مِنَ الطَّعامِ زِيادَةً لَمْ يُفِدْهُ ، وَمَنْ أَخَذَ بِقَدَرٍ لا زِيادَةَ عَلَيْهِ وَلا نَقْصَ ؛ غَذّاهُ وَنَفَعَهُ ، وَكَذلِكَ الْماءُ فَسَبيلُهُ أَنْ تَأْخُذَ مِنَ الطَّعامِ كِفايَتَكَ في أَيّامِهِ ، وَآرْفَعْ يَدَيْكَ مِنْهُ ، وَبِكَ إِلَيْهِ بَعْضُ القَرَمِ[1]. وَعِنْدَكَ إِلَيْهِ مَيْلٌ ، فَإِنَّهُ أَصْلَحُ لِمِعْدَتِكَ وَلِبَدَنِكَ ، وَأَذْكىٰ لِعَقْلِكَ ، وَأَخَفُّ لِجِسْمِكَ »[2].

وضع الإمام الحكيم منهجاً عامّاً للصحّة ، وهو التوازن ، وعدم الإسراف في تناول الطعام والشراب ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾[3] ، فإنّ الإسراف في الأكل ينجم عنه الأمراض التي منها السمنة التي هي من أعظم الآفات المدمّرة للصحّة .

إنّ العناية بالأغذية له الأثر الكبير في وقاية الإنسان من الإصابة بكثير من الأمراض التي هي من نتائج الإسراف في الطعام والشراب .

لقد شبّه الإمام الحكيم بدن الإنسان بالأرض ، وهو تشبيه بديع ، فإنّ الإنسان إذا اعتنى بأرضه ، وسهر على رعايتها ، فإنّها تثمر وتعطيه أطيب الثمرات ، أمّا إذا أعرض عنها وأهملها فإنّها تتلف وتفسد ، وكذلك بدن الإنسان إذا صلح ولم يفسد بكثرة الأكل والمشروبات ، فإنّه يصلح ويتمتّع الإنسان بصحّة كاملة هي أغلى ما يظفر به الإنسان من المكاسب .

---

(١) القرم: الشاهية للطعام والميل اليه.

(٢) شرح الرسالة الذهبيّة: ٤٧ و ٤٨.

(٣) الأعراف ٧: ٣١.

أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام بالصحّة

أوْلى الإمام الأعظم سيّد الساجدين، وإمام المتّقين، زين العابدين عليه السلام الصحّة المزيد من اهتمامه، لأنّها من مقوّمات الحياة، وهذه بعض أدعيته:

١ ـ كان الإمام يدعو لنفسه الشريفة بهذا الدعاء.

قال عليه السلام: «**اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَلْبِسْني عافِيَتَك، وَجَلِّلْني**[١] **عافِيَتَك، وَحَصِّنّي بِعافِيَتِك، وَأَكْرِمْني بِعافِيَتِك، وَأَغْنِني بِعافِيَتِك، وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ بِعافِيَتِك، وَهَبْ لي عافِيَتَك، وَأَفْرِشْني عافِيَتَك، وَأَصْلِحْ لي عافِيَتَك، وَلا تُفَرِّقْ بَيْني وَبَيْنَ عافِيَتِك في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ**[٢].

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعافِني عافِيَةً كافِيَةً[٣] **شافِيَةً عالِيَةً**[٤] **نامِيَةً، عافِيَةً تُوَلِّدُ في بَدَني الْعافِيَةَ، عافِيَةَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالصِّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلامَةِ في ديني وَبَدَني، وَالْبَصيرَةِ في قَلْبي، وَالنَّفاذِ في أُمُوري، وَالْخَشْيَةِ لَك، وَالْخَوْفِ مِنْك، وَالْقُوَّةِ عَلىٰ ما أَمَرْتَني بِهِ مِنْ طاعَتِك، وَالْإِجْتِنابِ لِما نَهَيْتَني عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِك**»[٥].

أرأيتم هذا الدعاء الحافل بجميع مصاديق الصحّة والعافية في الدنيا والآخرة مع سلامة العرض وروعة البيان، وبلاغة القصد.

٢ ـ وهذه فقرات من دعائه عليه السلام لولده:

قال عليه السلام: «**وَأَصِحَّ لي أَبْدانَهُمْ وَأَدْيانَهُمْ، وَأَخْلاقَهُمْ، وَعافِهِمْ في أَنْفُسِهِمْ**

---

(١) **جلّلني**: أي غطّني.

(٢) **عافية الآخرة**: هي الخلاص من العقاب.

(٣) **كافية**: أي تكفيني ما أهمّني.

(٤) **عالية**: أي أعلى درجات العافية.

(٥) الصحيفة السجّاديّة: الدعاء الثالث والعشرون.

وَفي جَوارِحِهِمْ»[١].

ما أعظم هذه التربية التي ربّى بها الإمام عليه‌السلام ولده، فقد غذّاهم بالخير والتقوى، والصلاح والصحّة والسلامة في دينهم ودنياهم.

٣ - وكان سليل النبوّة يدعو بهذا الدعاء إذا ألمّ به مرض، وهذه فقرات منه:

«اللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلىٰ ما لَمْ أَزَلْ أَتَصَرَّفُ فيهِ مِنْ سَلامَةِ بَدَني، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلىٰ ما أَحْدَثْتَ بي مِنْ عِلَّةٍ في جَسَدي، فَما أَدْري يا إِلـٰهي أَيُّ الْحالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَك، وَأَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلىٰ بِالْحَمْدِ لَكَ.

أَوَقْتُ الصِّحَّةِ الَّتي هَنَّأْتَني فيها طَيِّباتِ رِزْقِكَ، وَنَشَّطْتَني بِها لِابْتِغاءِ مَرْضاتِكَ وَفَضْلِكَ، وَقَوَّيْتَني مَعَها عَلىٰ ما وَفَّقْتَني لَهُ مِنْ طاعَتِكَ، أَمْ وَقْتُ الْعِلَّةِ الَّتي مَحَّصْتَني بِها، وَالنِّعَمِ الَّتي أَتْحَفْتَني بِها تَخْفيفاً لِما ثَقُلَ بِهِ عَلىٰ ظَهْري مِنَ الْخَطيئاتِ، وَتَطْهيراً لِمَا انْغَمَسْتُ فيهِ مِنَ السَّيِّئاتِ وَتَنْبيهاً لِتَناوُلِ التَّوبَةِ، وَتَذْكيراً لِمَحْوِ الْحَوْبَةِ[٢] بِقَديمِ النِّعْمَةِ، وَفي خِلالِ ذٰلِكَ ما كَتَبَ لِيَ الْكاتِبانِ مِنْ زَكِيِّ الْأَعْمالِ، ما لا قَلْبٌ فَكَّرَ فيهِ، وَلا لِسانٌ نَطَقَ بِهِ، وَلا جارِحَةٌ تَكَلَّفَتْهُ، بَلْ إِفْضالاً مِنْكَ عَلَيَّ، وَإِحْساناً مِنْ صَنيعِكَ إِلَيَّ...»[٣].

أرأيتم هذا الإيمان الذي لا حدّ له، إنّه شكر الله تعالى على ما أولاه من الصحّة أوّلاً، ومن السقم ثانياً، حتّى لقد كان هذا الإمام العظيم نسخة لا ثاني لها في المتّقين والمنيبين والصالحين.

---

(١) الصحيفة السجّاديّة: الدعاء الخامس والعشرون.

(٢) الحوبة: الإثم.

(٣) الصحيفة السجّاديّة: الدعاء الخامس عشر.

الصحّة عند النبيّ صلى الله عليه وآله

وأوْلى النبيّ صلى الله عليه وآله المزيد من الاهتمام بالصحّة، وهذه بعض أحاديثه:

١ ـ قال صلى الله عليه وآله: «**سَلُوا اللهَ الْعَفْوَ وَالْعافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقينِ خَيْراً مِنَ الْعافِيَةِ**».

وأشار باليقين إلى سلامة القلب من الجهل والشكّ، وهو أعلى من عافية البدن.

٢ ـ قال صلى الله عليه وآله في دعاء له: «**الْعافِيَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ**».

٣ ـ كان النبيّ صلى الله عليه وآله يدعو بهذه الآية المباركة: ﴿**رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً**﴾[1]، ويريد بالحسنة الصحّة في الدنيا والسلامة في الآخرة[2].

الرياضة

وممّا عنى به الإسلام في ميادين الصحّة أنّه ندب إلى الرياضة، وكانت في العصور الماضية ذات نوعين، وهما:

١ ـ المسابقة بالخيل.

٢ ـ تعلّم الرمي.

وهما يستدعيان جهداً بدنيّاً يقوي الأعصاب، ويبعثان النشاط، ويجنّبان الإصابة بكثير من الأمراض التي منها السمنة، وارتفاع ضغط الدم، وتصلّب شرايين القلب، وفي هذا العصر تطوّرت الرياضة إلى اللعب بالكرة، والمسابقة بالسيّارات، وغير ذلك، إلّا أنّ بعضها لم يكن مشروعاً مثل الملاكمة التي تؤدّي في بعض الأحيان إلى الإصابة القاتلة.

---

(١) البقرة ٢: ٢٠١.

(٢) جامع السعادات: ٣: ٢٧٢.

ثامناً : إقصاء الفقر

أمّا الفقر فهو من الكوارث الاجتماعيّة المدمّرة ، والمجتمع السليم هو الذي لا يوجد فيه ظلّ للفقر والبؤس والحرمان ، وقد وضع الإسلام الأنظمة الخلّاقة لإذابته وإقصائه عن الناس . يقول رائد العدالة الاجتماعيّة الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام : « **لَوْ تَمَثَّلَ لي الْفَقْرُ رَجُلاً لَقَتَلْتُهُ** »[١] .

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام : « **ما ضَرَبَ اللهُ عِبادَهُ بِسَوْطٍ أَوْجَعَ مِنَ الْفَقْرِ** »[٢] .

ويقول صاحب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أبو ذرّ الغفاري الثائر على الظلم : « عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه » .

وفي بعض أدعية أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام : « **اللّهُمَّ إنّي أعوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ** »[٣] .

الفقر في لغة الإسلام مرادف للكفر والإلحاد ، فما دخل الفقر إلى بلد إلّا صحب معه المبادئ الشاذّة والهدّامة .

يقول محمّد جابر عبدالعال :

« إنّ الأزمات الاقتصاديّة إذا طال أمدها تضعف العقول ، وتجعلها فريسة للمذاهب الهدّامة التي تبرق للناس مورية بحياة سعيدة »[٤] .

إنّ مشكلة الفقر من أعقد المشاكل العالميّة ، وقد أعيى رجال الاقتصاد حلّها ، فقد ذهب القائلون بالاقتصاد الحرّ إلى ضرورة جعل الاقتصاد حرّاً غير خاضع للدولة ، ولا لأي هيئة سياسيّة ، وإنّما أمره بيد أبناء الشعب ، وقد أباحوا جميع الوسائل

---

(١) شرح إحقاق الحقّ : ٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢٠ : ٣٠١.

(٣) الكافي : ٤ : ٤٠٣.

(٤) حركات الشيعة المتطرّفين : ٢٩.

والطرق التي تؤدّي إلى زيادة ربح الفرد ، كالربا والاستغلال والاحتكار ، وغير ذلك .

وقد أشاعت هذه الفكرة البؤس والشقاء والحرمان في الأكثريّة الساحقة من شعوب العالم ، وتكدّست ثروات الشعوب بيد فئة من الرأسماليّين الذين انعدمت من نفوسهم الرقّة والرحمة ، ولا همّ لهم إلّا زيادة أموالهم وأرباحهم بكلّ وسيلة .

وذهب القائلون بالنظام الشيوعي إلى ضرورة تأميم جميع ثروات الأُمّة للدولة باعتبارها المالك الحقيقي للشعب ، ولزوم تجريد المجتمع من الملكيّة الفرديّة ، لأنّها النواة الأُولى (للبرجوازيّة) فيما يزعمون ، وقد شذّت هذه الفكرة عن سنن الكون وطبيعة الإنسان ، فقد قضت على أقوى الغرائز الأصيلة في الإنسان في حبّ التملّك ، وفي الوقت نفسه أشاعت البؤس والحرمان في البلاد .

وقد هبّت الشعوب الخاضعة للنظام الشيوعي وهي تعلن رفضها الكامل للمبادئ الشيوعيّة ، حتّى أطاحت بالحزب الحاكم ، وقوّضت جميع معالم الشيوعيّة ، وذلك في الاتّحاد السوفياتي الذي هو الوطن الأُمّ للشيوعيّة العالميّة ، وقد كنت على يقين لا يخامرني أدنى شكّ من أنّ الشيوعيّة لا بدّ أن تفشل ، وتطوى جميع معالمها ، وذلك لأنّها مبنيّة على أفكار خاطئة لا يدعمها علم ولا منطق ، وقد تحقّق ما كنت أُؤمن به ، فقد انهارت تلك الدولة العظمى التي هي من أقوى الدول العالميّة ومن أعتاها ، لأنّها قد كفرت بجميع القيم والمبادئ التي يؤمن الإنسان بها .

لقد فشلت الشيوعيّة وانهار حزبها ، وتحطّمت خلاياها ، وكذلك سوف تفشل الرأسماليّة لأنّها مبنيّة على الغبن الاجتماعي ، وعلى قهر الشعوب الضعيفة وسلب ثرواتها .

ومن المؤكّد أنّه ليس في ميادين الإصلاح الاجتماعي مبدأ يقوم على الحقّ والعدل سوى الإسلام ، الدين الذي ارتضاه الله لعباده ، ففي ظلاله تجد الإنسانيّة المعذّبة سعادتها وكرامتها وأمنها ورخاءها ، وتتخلّص من ذئاب البشريّة وكلابها .

آداب اجتماعيّة

ووضع الإسلام الآداب العالية ، وسنّ المناهج التربويّة السامية لتهذيب مجتمعه ، وتنمية سلوكه حتّى يكون مجتمعاً سليماً ، ويكون قدوة حسنة لأُمم العالم وشعوب الأرض ، ومن بين ما سنّه من الآداب الاجتماعيّة ما يلي :

القول الطيّب

أمّا القول الطيّب ، فهو من أميز الصفات التي يتحلّى بها الإنسان ، فيه يكسب الأصدقاء ، ويدفع غائلة الأعداء ، وهو من الصفات التي تنمّ عن نضوج الفكر ، وتكامل الشخصيّة ، وقد ندب إليه الإسلام . قال الله تعالى : ﴿ **وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ** ﴾[١] .

لقد أمر الله تعالى عباده في هذه الآية أن يقولوا الكلام الحسن في مخاطباتهم ومحاوراتهم ، فإن لم يفعلوا ذلك وقالوا الكلام السيّء فإنّ الشيطان يوقع بينهم الفساد والشرّ .

وقال تعالى في سورة أُخرى : ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً** ﴾[٢] ، وحثّت هذه الآية على القول الحسن الذي يكسب الإنسان حبّ الغير وتقديرهم له .

الاستئذان والتحيّة

من الآداب الاجتماعيّة التي سنّها الإسلام الاستئذان في الدخول لبيوت الناس ، والتحيّة لهم ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا**

---

(١) الإسراء ١٧ : ٥٣ .

(٢) البقرة ٢ : ٨٣ .

أَحداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(١).

لقد أمر الله تعالى عباده المسلمين ، إذا أرادوا زيارة أحد ما أن يستأنسوا ، أي يفكّروا قبل القيام بها أنّها حسنة ، وليس هناك من الأسباب ما يجعل تلك الزيارة غير مرغوب فيها .

وأمر الله تعالى بالسلام على مَن يدخلون عليه ، الذي هو مفتاح الحديث .

قال الإمام العسكري عليه السلام : «**مِنَ التَّواضُعِ السَّلامُ عَلىٰ كُلِّ مَنْ تَمُرُّ بِهِ ، وَالْجُلوسُ دونَ شَرَفِ الْمَجْلِسِ**»(٢).

إنّ هذه الآداب السامية تسمو بالإنسان إلى مستوى رفيع ، وتكسبه المحبّة بين الناس .

اللين والبشاشة

وحثّ الإسلام على اللين والبشاشة ، وعدم الغلظة مع الناس ، قال الله تعالى في وصفه لنبيّه العظيم : **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ﴾**(٣).

ومعنى الآية الكريمة أنّه بسبب الرحمة التي أضفاها الله تعال على نبيّه الكريم فقد عامل صلى الله عليه وآله قومه بالرفق وخاطبهم باللين ، ولو كان فظّاً أي شرس الأخلاق لنفروا منه ، وتفرّقوا عنه ، وهذه الآية درس للمسلمين بأن يتحلّوا بالأخلاق الكريمة التي توجب تآلف القلوب ، وربط المجتمع بعضه ببعض .

---

(١) النور ٢٤: ٢٧ و ٢٨.

(٢) تحف العقول: ٤٨٧. بحار الأنوار ٧٥: ٣٧٢، الحديث ٩. الأنوار البهيّة: ٣١٨.

(٣) آل عمران ٣: ١٥٩.

ردّ التحيّة

وأوجب الإسلام ردّ التحيّة ، وأن يكون الردّ بأحسن وأجمل منها ، قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ (١) ، أمّا عدم الردّ فإنّه يثير العداوة والبغضاء بين الناس ، لأنّه يدلّ على احتقار الغير والتكبّر عليه ، وهو ممّا يوجب إشاعة الحقد والكراهية بين أفراد المجتمع ، فلذا نهى الإسلام عنه .

خفض الصوت في الكلام

ومن محاسن الآداب الاجتماعيّة التي سنّها الإسلام خفض الصوت في الكلام ، وقد شبّه القرآن الكريم الصوت المرتفع بنهيق الحمير ، قال تعالى : ﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ (٢) .

وخاطب الله تعالى عباده المسلمين أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبيّ ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ (٤) .

آداب الجلوس

من الآداب الاجتماعيّة التي سنّها الإسلام للجلوس في المحافل والمجالس : التوسعة للقادم ، فإنّ ذلك ممّا يوجب الترابط والتآلف ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

---

(١) النساء ٤ : ٨٦.

(٢) لقمان ٣١ : ١٩.

(٣) الحجرات ٤٩ : ٢.

(٤) الحجرات ٤٩ : ٤.

آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١).

المناجاة بالبرّ والتقوى

وحثّ الإسلام المسلمين في حال اجتماعهم على المناجاة بالبرّ والتقوى، وعدم المناجاة بما يثير الأحقاد، ويفسد العلائق والروابط، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢).

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الآداب الاجتماعيّة التي سنّها الإسلام لرفع مستوى مجتمعه.

احترام الكبير

من الآداب الاجتماعيّة التي سنّها الإسلام احترام الشيخ الكبير وتوقيره، وقد أُثرت في ذلك كوكبة من الأخبار كان منها ما يلي:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ إِجْلالِ اللهِ إِجْلالُ ذي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**» (٣).

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبيرَنا، وَيَرْحَمْ صَغيرَنا**» (٤).

٣ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «**عَظِّموا كِبارَكُمْ، وَصِلوا أَرْحامَكُمْ،**

---

(١) المجادلة ٥٨: ١١.

(٢) المجادة ٥٨: ٩.

(٣) أُصول الكافي: ٢: ١٦٥.

(٤) أُصول الكافي: ٢: ١٦٥، الحديث ٢. وسائل الشيعة: ١٢: ٩٨.

وَلَيْسَ تَصِلونَهُمْ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ كَفِّ الأَذىٰ عَنْهُمْ»[١].

٤ ـ قال الإمام الرضا عليه السلام: «**الْأَخُ الْأَكْبَرُ بِمَنْزِلَةِ الْأَبِ**»[٢].

أرأيتم هذه الآداب العالية التي تسمو بالمجتمع، وتجعله في أرقى مستويات الفضل والكمال؟

صيانة المجتمع من التدهور

واتّخذ الإسلام أهمّ وسيلة لصيانة مجتمعه من الانحلال، وعدم تسرّب الفساد إليه، فأوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ما يسمّيه مالك بن نبيّ الجزائري بالضغط الاجتماعي، وهو من أوثق الأسباب للقضاء على جميع ألوان الجرائم والانحطاط في المجتمع.

لقد اهتمّت شريعة الإسلام كتاباً وسنّة بهذا الواجب المقدّس، وجعلته من الفرائض الإسلاميّة.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ**

---

(١) أصول الكافي: ٢: ١٦٥، الحديث ٣. وسائل الشيعة: ١٢: ٩٨ و ٩٩.

(٢) تحف العقول: ٤٤٢.

(٣) آل عمران ٣: ١٠٤.

(٤) الأعراف ٧: ١٦٥.

الْفاسِقُونَ﴾(١).

وقال رسول الله ﷺ: «ما بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إلّا وَلَهُ حَوارِي، فَيَمْكُثُ النَّبِيُّ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ما شاءَ اللهُ، يَعْمَلُ فيهِمْ بِكِتابِ اللهِ وَبِأَمْرِهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ، فَإِذا انْقَرَضوا كانَ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ يَرْكَبونَ رُؤوسَ الْمَنابِرِ يَقولونَ ما يَعْرِفونَ، وَيَعْمَلونَ ما يُنْكِرونَ، فَإِذا رَأَيْتُمْ ذلِكَ فَحَقٌّ عَلىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ جِهادُهُمْ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَلَيْسَ وَراءَ ذلِكَ إِسْلامٌ»(٢).

وقال سيّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ رَأىٰ عِدْواناً يُعْمَلُ بِهِ، وَمُنْكَراً يُدْعىٰ إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكونَ كَلِمَةُ اللهِ الْعُلْيا، وَكَلِمَةُ الظّالِمينَ السُّفْلىٰ، فَذلِكَ الَّذي أَصابَ سَبيلَ الْهُدىٰ، وَقامَ عَلَى الطَّريقِ، وَنَوَّرَ في قَلْبِهِ الْيَقينَ»(٣).

وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْروفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ سَبيلُ الْأَنْبياءِ، وَمِنْهاجُ الصُّلَحاءِ، فَريضَةٌ عَظيمَةٌ بِها تُقامُ الْفَرائِضُ، وَتَأْمَنُ الْمَذاهِبُ، وَتَحِلُّ الْمَكاسِبُ، وَتُرَدُّ الْمَظالِمُ، وَتُعْمَرُ الْأَرْضُ، وَيُنْتَصَفُ مِنَ الْأَعْداءِ، وَيَسْتَقيمُ الْأَمْرُ، فَأَنْكِروا بِقُلوبِكُمْ، وَأَلْفِظوا بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَصُكّوا بِها جِباهَهُمْ، فَلاسَبيلَ عَلَيْهِمْ ﴿إِنَّما السَّبيلُ عَلَى الَّذينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ﴾(٤)، هُنالِكَ فَجاهِدوهُمْ بِأَبْدانِكُمْ، وَأَبْغِضوهُمْ بِقُلوبِكُمْ غَيْرَ طالِبينَ سُلْطاناً،

---

(١) آل عمران ٣: ١١٠.

(٢) إحياء العلوم: ٢: ٢٧٢.

(٣) نهج البلاغة: ٤: ٨٩، الخطبة ٣٧٣.

(٤) الشورى ٤٢: ٤٢.

وَلَا باغِينَ مالاً ، وَلَا مُرِيدينَ لِظُلْمٍ ظَفَراً ، حَتّىٰ يَفيئوا إلىٰ أَمْرِ اللهِ ، وَيَمْضوا عَلىٰ طاعَتِهِ»[١].

إنّ إقامة المعروف ، وتحطيم المنكر ، يقضي على جميع ألوان الفساد في المجتمع ، ويوجب إعلاء كلمة الحقّ والعدل في الأرض ، وهو من أهمّ الأهداف الأصيلة التي ينشدها الإسلام ، ومن أجلها فقد ضحّى سيّد شباب أهل الجنّة ، وريحانة رسول الله ﷺ الإمام الحسين عليه‌السلام بنفسه وبأولاده وأصحابه لإعادة الحياة الإسلاميّة إلى مجراها الطبيعي بعدما تعرّضت إلى الانهيار الشامل في حكم يزيد بن معاوية الذي أعلن الكفر والإلحاد بقوله : « لا خبر جاء ولا وحيّ نزل ».

وقد أعرب سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه‌السلام عن أسباب نهضته وثورته على الحكم الأموي بقوله : «**إنّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً وَلَا ظالِماً ، وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدِّي رَسولِ اللهِ ﷺ ، أُريدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْروفِ ، وَأَنْهىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ**»[٢].

من أجل هذه الغاية النبيلة انبرى إلى ميادين الجهاد والكفاح حتّى استشهد سلام الله عليه .

وعلى أي حال ، فإنّ الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، من أهمّ الدعائم التي يقام عليها الأمن العامّ ، ومن أوثق الركائز التي يستند إليها العدل الاجتماعي والسياسي في البلاد .

وهنا بحوث تتعلّق بهذا الواجب الإسلامي ذكرها الفقهاء ، وعرضنا لذكرها بالتفصيل في كتابنا (النظام السياسي في الإسلام).

وبهذا ينتهي بنا المطاف عن المجتمع السليم في الإسلام .

---

(١) الكافي : ٥ : ٥٥ ، الحديث ١ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٤ : ٣٢٩ .

المجتمع المنهار

أمّا المجتمع المنهار فهو الذي فقد جميع مقوّمات الارتقاء والنهوض ، ومنيت قطاعاته بالجهل والذلّ والخنوع ، ولم يعد يتمتّع بما تتمتّع به الشعوب الحرّة من العزّة والكرامة .

ومن الطبيعي أنّ ذلك كان ناجماً عن أمراض خطيرة أُصيبت بها قطاعاته ، ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للتحدّث عنها .

أمّا الآفات المدمّرة للمجتمع ، والتي تجعله أعصاباً رخوة لا حياة فيها ولا إحساس ، فهي :

أوّلاً : الجهل

أمّا الجهل فهو من أخطر الأمراض الاجتماعيّة التي تمنى بها الأُمّة ، فهو يسدّ عليها كلّ نافذة من نوافذ الحياة ، ويدعها نهزة للطامع ولقمة للجائع .

قال الإمام الهادي عليه السلام : «**الْجَهْلُ وَالْبُخْلُ أَذَمُّ الْأَخْلَاقِ**»(١) .

إنّ الأُمّة الجاهلة لا تملك أي قيمة من قيم الحياة ، ولا يسود فيها أي وعي سياسي ، أو وعي اجتماعي ، قد خلدت إلى الذلّ والهوان .. وقد جهد الإسلام على محاربة الجهل وإقصائه عن المجتمع الإسلامي ، ودعا بصورة إيجابيّة وملزمة إلى التحرّر من ربقة الجهل ، والانطلاق في ميادين المعرفة والعلم ، لتزدهر بذلك

---

(١) نزهة الناظر : ١٤٠ ، الحديث ١٦ . بحار الأنوار : ٧٥ : ٣٦٩ ، الحديث ٣ .

الحياة ، وينعم المجتمع بحياة كريمة ، ويتخلّص من سلبيّات الجهل وآفاته المدمّرة ، وقد ذكرنا في البحوث السابقة مدى اهتمام الإسلام بالعلم ، ومناجزته للجهل .

ثانياً : الفقر

أمّا الفقر فهو من الكوارث المدمّرة للشعوب ، ويجعل الحياة جحيماً لا تُطاق ، وقد قرنه الإسلام بالكفر ، ففي الدعاء : « **اللّٰهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْفَشَلِ وَالْهَمِّ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْغَفْلَةِ وَالْقَسْوَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ وَالْفاقَةِ وَكُلِّ بَلِيَّةٍ وَالْفَواحِشِ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ** »(١) .

إنّ جميع الوسائل التي تتطوّر بها الحياة ، وينعم بها الإنسان من تأسيس الجامعات والمعاهد ، وبناء المستشفيات ، ودور الولادة ، وإقامة المعامل ، كلّ ذلك لا يمكن تأسيسه في ظلّ الفقر والبؤس ، ويبقى المواطنون يعانون أقسى ألوان الحياة وأمرّها ، تنهش أبدانهم سياط الفقر ، وكوارث الحرمان ، وقد ألمحنا في البحوث السابقة إلى مكافحة الإسلام للفقر بأحدث الوسائل الاقتصاديّة المتطوّرة .

ثالثاً : المرض

أمّا انتشار المرض فهو من سمات المجتمع المنهار الذي انعدمت فيه جميع وسائل الصحّة المتطوّرة من إنشاء المستشفيات ، وتوفّر الأطبّاء المتمرّسين والمتخصّصين ، الذين يعالجون المرضى بأمانة وإخلاص ، لا طمعاً بالمادّة كما عليه أكثر أطبّاء العصر الذين استولى عليهم الجشع ، وانعدمت من نفوسهم روح الإنسانيّة ، وهم الذين يسوقون المرضى إلى ساحات الموت ، وذلك لعدم تشخيصهم للمرض ، وإعطائهم وصفات مضادّة للمرض الأمر الذي يسبّب الوفاة للمريض

---

(١) مصباح المتهجّد : ٥٦٧ .

في أكثر الأحوال.

وعلى أي حال، فإنّ المرض آفة مدمّرة، وكارثة تنسف جميع معالم الحياة في الأرض، وقد عرضنا فيما تقدّم إلى وسائل الصحّة التي أقامها الإسلام والتي تجعل الطبّ وقائيّاً.

رابعاً: خيانة الوطن

أمّا خيانة الوطن والعمالة للأجنبي، فإنّها من سمات المجتمع المنهار الذي فقد عزّته وكرامته وحرّيّته واستقلاله، وارتدى ثياب الخزي والعار.

«**إنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مِنَ الْإيمانِ**» كما في الحديث الشريف، والذي يتنكّر لوطنه ويخونه، أويعمل لغير صالحه فهو من الخونة المجرمين.

وعلى أي حال، فإنّ الإخلاص للوطن وحمايته، والعمل من أجل صالحه واجب مقدّس على كلّ مواطن، وقد استوعبنا الكلام في هذا الموضوع في البحوث السابقة، فلا حاجة لإعادته.

أمراض خطيرة

وإذا أُصيب المجتمع بالأمراض التالية، فإنّه يفقد أصالته وتنهار مقوّماته، ويكون مجتمعاً متخلّفاً، قد فقد عناصر التقدّم والارتقاء، ومن بين هذه الأمراض ما يلي:

١ ـ السخريّة بالناس

من الأمراض التي تفتك بالمجتمع الإنساني هي السخريّة بالناس، والاستهزاء بهم، وقد حرّمها الإسلام، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِن نِسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإيمانِ وَمَن لَمْ يَتُبْ فَأُولَـٰئِكَ**

هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(١).

إنّ السخريّة بالناس إنّما تكون من السفلة الذين مُحِيَ من نفوسهم الشرف والفضيلة.

٢ ـ الظلم والإيذاء

أمّا الظلم فإنّه يهدم الروابط الاجتماعيّة، وينسف عوامل المحبّة والأُلفة، ويلقي الناس في شرّ عظيم، وقد حذّر منه الإسلام أشدّ ما يكون التحذير، قال الله تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٥).

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي لعنت الظالمين، ووعدتهم بالانتقام العاجل منهم.

أمّا الأحاديث الواردة في التحذير من الظلم، فهي أكثر من أن تحصى، والتي منها قول النبيّ ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّهُ ظُلُماتٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ»(٦).

وفي حديث آخر: «لَوْ بَغىٰ جَبَلٌ عَلىٰ جَبَلٍ لَجَعَلَ اللهُ الْباغيَ مِنْهُما دَكّاً»(٧).

---

(١) الحجرات ٤٩: ١١.

(٢) الشعراء ٢٦: ٢٢٧.

(٣) إبراهيم ١٤: ٤٢.

(٤) البقرة ٢: ٢٥٨. آل عمران ٣: ٨٦. التوبة ٩: ١٩ و ١٠٩. الصفّ ٦١: ٧. الجمعة ٦٢: ٥.

(٥) الأنعام ٦: ٤٥.

(٦) الكافي: ٢: ٣٣٣، الحديث ١٠.

(٧) وسائل الشيعة: ١١: ٣٣٤، الحديث ١٠.

إنّ الظلم والاعتداء على الناس بغير حقّ من الأمراض التي تفتك بالمجتمع، وتؤدّي إلى خرابه وانهياره.. أمّا إيذاء الناس فهو من أفحش المحرّمات، وقد تظافرت الأخبار بتحريمه، والتي منها:

١ - قال رسول الله ﷺ: «**قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ: مَنْ أَهانَ لي وَلِيّاً فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُحارَبَتي**»(١).

٢ - قال الإمام الصادق عليه السلام: «**قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: لِيَأْذَنَ بِحَرْبٍ مِنّي مَنْ آذىٰ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ، وَلْيَأْمَنَ غَضَبي مَنْ أَكْرَمَ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ**»(٢).

٣ - قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إِذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ نادىٰ مُنادٍ: أَيْنَ الصُّدودُ لِأَوْلِيائي؟ فَيَقومُ قَوْمٌ لَيْسَ عَلىٰ وُجوهِهِمْ لَحْمٌ فَيُقالُ: هٰؤُلاءِ الَّذينَ آذَوا الْمُؤْمِنينَ، وَنَصَبوا لَهُمْ، وَعَنَّفوهُمْ في دينِهِمْ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلىٰ جَهَنَّمَ**»(٣).

٤ - وعن الإمام الجواد عليه السلام: «**يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلومِ**»(٤).

٥ - قال الإمام الهادي عليه السلام: «**الْعامِلُ بِالظُّلْمِ، وَالْمُعينُ عَلَيْهِ، وَالرّاضي بِهِ شُرَكاءُ ثَلاثَتُهم**»(٥).

إلى غير ذلك من الأخبار التي حرّمت الاعتداء على الناس، والنيل منهم، لأنّها تؤدّي إلى إشاعة الكراهية والبغضاء بين الناس.

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ٣٥١.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ٣٥٠.

(٣) أُصول الكافي: ٢: ٣٥١.

(٤) مستدرك الوسائل: ١٢: ٩٧. بحار الأنوار: ٧٢: ٣٢٠.

(٥) الكافي: ٢: ٣٣٣. بحار الأنوار: ٧٢: ٣١٢.

٣- الغيبة

الغيبة من الأمراض التي تنخر في جسم المجتمع الإنساني ، وتؤدّي إلى شيوع الكراهية والبغضاء بين الناس ، وقد حرّمها الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾(١).

وروى الإمام الصادق عليه‌السلام بسنده عن جدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، أنّه قال : « **مَنِ اغْتابَ مُؤْمِناً بِما فيهِ لَمْ يَجْمَعِ اللهُ بَيْنَهُما في الْجَنَّةِ أَبَداً ، وَمَنِ اغْتابَ مُؤْمِناً بِما لَيْسَ فيهِ فَقَدِ انْقَطَعَتِ الْعِصْمَةُ بَيْنَهُما ، وَكانَ الْمُغْتابُ خالِداً في النّار وَبِئْسَ الْمَصيرِ** »(٢).

وخطب النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله حتّى أسمع العواتق في بيوتها ، وقد عرض في خطابه إلى الغيبة ، فقال : « **يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسانِهِ ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ ، لا تَغْتابوا الْمُسْلِمينَ ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْراتِهِمْ ، فَإِنَّ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخيهِ ، يَتَتَبَّعُ اللهُ عَوْرَتَهُ حَتّىٰ يَفْضَحَهُ في جَوْفِ بَيْتِهِ** »(٣).

وقال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله : « **ما عُمِّرَ مَجْلِسٌ بِالْغِيبَةِ إِلّا خَرِبَ بِالدِّينِ ، فَنَزِّهُوا أَسْماعَكُمْ عَنِ اسْتِماعِ الْغِيبَةِ ، فَإِنَّ الْقائِلَ وَالْمُسْتَمِعَ لَها شَريكانِ في الْإِثْمِ** »(٤).

وقال الإمام الصادق عليه‌السلام : « **مَنْ قالَ في مُؤْمِنٍ ما رَأَتْهُ عَيْناهُ ، وَسَمِعَتْهُ أُذناهُ ، فَهُوَ مِنَ الَّذينَ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ**

---

(١) الحجرات ٤٩ : ١٢.

(٢) أمالي الصدوق : ١٦٤.

(٣) جامع السعادات : ٢ : ٢٩٨.

(٤) بحار الأنوار : ٧٢ : ٢٥٩.

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١]»[٢].

إنّ الغيبة من أخبث الأمراض التي تغلّل وحدة المجتمع وتنشر الحقد والكراهية في النفوس.

٤ ـ النميمة

ومن الأمراض التي حرّمها الإسلام النميمة، وهي أن ينقل النمّام قول الغير إلى المقول فيه، فيقول له ـ مثلاً ـ إنّ فلاناً قال فيك كذا وكذا، من ألفاظ الذمّ والنقص، وهي تؤدّي إلى إشعال نار الفتنة، وتلقي الناس في شرّ عظيم، وقد أعلن القرآن الكريم حرمتها، قال الله تعالى: **﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾**[٣].

وقال تعالى: **﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾**[٤].

والمراد بالهُمزة اللمزة هو النمّام المغتاب، وقد حذّر الرسول الأعظم ﷺ أمّته منها، قال ﷺ: «**أَحَبُّكُمْ إِلَى اللهِ أَحاسِنُكُمْ أَخْلاقاً الْمُوَطَّئُونَ أَكْنافاً، الَّذينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللهِ الْمَشّاءُونَ بِالنَّميمَةِ، الْمُفَرِّقونَ بَيْنَ الْإِخْوانِ، الْمُلْتَمِسونَ لِلْبَراءِ الْعَثَراتِ**»[٥].

وخاطب النبيّ ﷺ أصحابه فقال لهم: **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرارِكُمْ؟**

وطفق أصحابه قائلين: بلى يا رسول الله.

---

(١) النور ٢٤: ١٩.

(٢) الكافي: ٢: ٣٥٧، الحديث ٢.

(٣) قلم ٦٨: ١١ ـ ١٣.

(٤) الهُمزة ١٠٤: ١.

(٥) بحار الأنوار: ٦٨: ٣٨٣.

وانبرى الرسول ﷺ يبيّن لهم الأشرار ليبتعدوا عنهم قائلاً: **«المَشّاءُونَ بِالنَّميمَةِ ، المُفَرِّقونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ ، الْباغُونَ لِلْبَراءِ الْمَعايبَ»**[1].

وكثير من أمثال هذا الحديث تظافرت عن النبيّ ﷺ وعن أئمّة الهدى عليهم السلام وهي تحذّر المسلمين من الاتّصال بالنمّامين الذين يصدعون شمل المسلمين ويمزّقون وحدتهم .

٥ ـ فقدان التربية

من الأمراض الخطيرة التي يُمنى بها المجتمع ، فقدان التربية الواعية للأبناء في البيوت والمدارس والمعاهد ، فإنّها تؤدّي إلى خلق جيل لا عهد له بالقيم الصحيحة والآداب الرفيعة ، ممّا يسبّب تفلّل المجتمع وانهياره ، وإصابة أبنائه بكثير من الأمراض النفسيّة ، كالكذب والاعتداء على الغير واقتراف الجريمة ، وغير ذلك من المضاعفات السيّئة .

٦ ـ انعدام الدين

أمّا الدين فهو السياج الواقي للمجتمع من الشذوذ والانحراف ، وهو من أهمّ الأرصدة الروحيّة التي تمنع الإنسان من اقتراف الجريمة والرذيلة ، وتكسبه الفضائل والآداب التي يسمو بها .

إنّ الوازع الديني إذا انعدم من النفوس ، فإنّ الناس يأكل بعضهم بعضاً ، فإنّ الحروب التي مُني بها العالم ، وراح ضحيّتها الملايين من الناس ، كما في الحرب العالميّة الأُولى والثانية ، إنّما كانت ناجمة من فقدان الدين من نفوس ساسة العالم الذين أغرقوا الأرض في المحن والويلات .

---

(١) الكافي : ٢: ٣٦٩. وسائل الشيعة : ١٢: ٣٠٦.

وعلى أي حال ، فإنّ انعدام الدين أو ضعفه ، من الأمراض الخطيرة التي يُمنى بها المجتمع الإنساني ، كما أكّدت ذلك البحوث الاجتماعيّة والنفسيّة الحديثة .

٧ـ الغضب

الغضب من الرذائل الخُلقيّة ، وهو رأس الإثم ومفتاح الشرّ ، يفقد الإنسان رشده وصوابه ، ويصبح وحشاً مفترساً يقترف الضرب للغير وقتله وشتمه وغير ذلك ، وقد جعل الله تعالى العفو عند الغضب من صفات المؤمنين الأخيار .

قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾[١] ، وقد حذّر منه أئمّة الهدى في كثير من الأخبار ، وهذه أمثلة منها :

١ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **اِحْذَرِ الْغَضَبَ ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ** »[٢] .

٢ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ** »[٣] .

٣ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام : « **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ فَما يَرْضىٰ أَبَداً حَتّىٰ يَدْخُلَ النّارَ** »[٤] .

٤ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : « **سَمِعْتُ أَبِي عليه السلام يَقُولُ : إِنَّ رَجُلاً بَدَوِيّاً أَتى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقالَ لَهُ : إِنِّي أَسْكُنُ الْبادِيَةَ فَعَلِّمْني جَوامِعَ الْكَلامِ ، فَقالَ لَهُ : آمُرُكَ أَنْ لَا تَغْضَبَ** » .

---

(١) الشورى ٤٢ : ٣٧ .

(٢) نهج البلاغة : ٤٥٩ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ١٩ : ٦٦ .

(٤) أُصول الكافي : ٢ : ٣٠٢ .

فَأَعادَ الْأَعْرابي الْكَلامَ عَلَيْهِ ثَلاثَ مَرّاتٍ وَالنَّبيُّ يُجيبُهُ: لَا تَغْضَبْ.

فَقالَ الْأَعرابي: ما أَمَرَني رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَّا بِالْخَيْرِ.

قالَ: وكانَ أَبي يَقُولُ: أَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنَ الْغَضَبِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ فَيَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ، وَيَقْذِفُ الْمُحْصَنَةَ»[١].

٥ ـ قال الإمام العسكري عليه السلام: «الْغَضَبُ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ»[٢].

إنّ الغضب المذموم هو الذي يخرج الإنسان عن موازين الاعتدال، ويلقيه في شرّ عظيم.

وليس من الغضب المذموم في شيء الغضب على من انتقص شريعة الإسلام، أو نال من كرامة أحد المؤمنين من الأخيار، فإنّ الغضب في محلّه، والردّ عليه من الأعمال الصالحة إذا لم يكن في ذلك ضرر عليه، فإنّه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد عرضت مصادر الأخلاق إلى بواعث الغضب والطرق في علاجه.

٨ـ سوء الخُلق

من الصفات الممقوتة: سوء الخُلق، وهو من رذائل الصفات التي ينفر منها، ولا تترك للإنسان صديقاً حتّى مع أهله، وقد خاطب الله تعالى رسوله الكريم بالآية: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ﴾[٣]، وقد حذّر النبيّ ﷺ منه قال: «إِيّاكُمْ وَسُوْءَ الْخُلُقِ، فَإِنَّ سُوْءَ الْخُلُقِ في النّارِ لا مَحالَةَ»[٤].

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ٣٠٣.

(٢) تحف العقول: ٤٨٨. بحار الأنوار: ٧٥: ٣٧٣، الحديث ١٥.

(٣) آل عمران ٣: ١٥٩.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٣١.

وقال صلى الله عليه وآله: «أَبَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِصاحِبِ الْخُلُقِ السَّيِّئِ بِالتَّوْبَةِ».

قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟

قال: «لِأَنَّهُ إِذاتابَ مِنْ ذَنْبٍ وَقَعَ في ذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنْهُ»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ ساءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ»[٢].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث دوّنت في مصادر الأخبار والأخلاق، وهي تحذّر المسلمين من الاتّصاف بهذه الظاهرة الممقوتة.

٩ ـ الحرص

من النزعات الشريرة التي ندّد بها الإسلام: الحرص، وهو من الخصال السيّئة التي تصدّ الإنسان عن فعل الخير، وتمنعه من صلة الأرحام والفقراء، وقد ندّد بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وهذه طائفة من أخبارهم:

١ ـ قال الإمام محمّد الباقر عليه السلام: «مَثَلُ الْحَريصِ عَلَى الدُّنْيا مَثَل دودَةِ الْقَزِّ كُلَّما ازْدادَتْ عَلىٰ نَفْسِها لَفّاً كانَ أَبْعَدَ لَها مِنَ الْخُروجِ حَتّىٰ تَموتَ غَمّاً»[٣].

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ فيما نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّماءِ، لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وادِيَيْنِ يَسيلانِ ذَهَباً وَفِضَّةً لابْتَغىٰ لَهُما ثالِثاً. يابْنَ آدَمَ، إِنَّما بَطْنُكَ بَحْرٌ مِنَ الْبُحورِ، وَوادٍ مِنَ الْأَوْدِيَةِ لا يَمْلَأُهُ شَيْءٌ إِلَّا التُّرابُ»[٤].

٣ ـ قال الإمام الحسن الزكيّ سلام الله عليه: «هَلاكُ النّاسِ في ثَلاثٍ: الْكِبْرُ، وَالْحِرْصُ، وَالْحَسَدُ. فَالْكِبْرُ هَلاكُ الدِّينِ، وَبِهِ لُعِنَ إِبْليسُ، وَالْحِرْصُ عَدُوُّ النَّفْسِ،

---

(١) و (٣) أُصول الكافي: ٢: ٣٢١.

(٣) الوافي: ٢: ٣١٦.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٢: ٤١٨.

وَبِهِ أُخْرِجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ. والحَسَدُ رائِدُ السُّوءِ، وَمِنْهُ قَتَلَ قابيلُ هابيلَ»(١).

إنّ الحرص يدفع الإنسان إلى الجهد الشاقّ والعسير في طلب المال من أي طريق كان، لا يبالي أكان من حلال أم من حرام، كما أنّه يصدّه عن أعمال الخير وإغاثة الفقراء وصلة الأرحام، وغير ذلك ممّا يقرّبه إلى الله تعالى زلفى.

١٠ - البخل

من الصفات الممقوتة: البخل، وهو من أرذل النزعات، وقد ذمّه القرآن الكريم والسُّنّة، وحذّرا منه؛ لأنّه جامع لجميع المساوئ الذميمة، وهذه طائفة من الآيات والأخبار في ذمّه:

في رحاب القرآن

أمّا الآيات الذامّة للبخل والمحذّرة منه، فهذه بعضها:

١ - قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾(٢).

إنّ الله تعالى أعدّ للذين يبخلون ناراً وقودها النّاس والحجارة لبخلهم وعدم إنفاقهم من المال في سبيل الله تعالى.

٢ - قال تعالى: ﴿ هَا أَنتُمْ هٰؤُلاَءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنكُم مَن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾(٣).

إنّ المصابين بداء البخل لا ينفقون في أي مشروع خير، ولا يفكّرون إلّا في جمع المال وتكديس الثروة، وهم لا يعلمون أنّهم إنّما يبخلون على أنفسهم، فإنّ الأموال

---

(١) بحار الأنوار: ٧٥: ١١١.

(٢) النساء ٤: ٣٧.

(٣) محمّد ﷺ ٤٧: ٣٨.

التي حرصوا عليها سوف يغادرونها إلى قبورهم ، فيكون الهناء لغيرهم والوزر عليهم .

٣ ـ قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[١] .

حكت الآية مصير الذين يبخلون بما آتاهم الله تعالى من فضله إنّ ذلك هو خير لهم ولكن لا يعلمون ، أنّ تلك الأموال ستكون أطواقاً من النّار في أعناقهم يوم القيامة .

في ظِلال السنّة

وقد أُثرت طائفة من الأخبار في ذمّ البخلاء كان منها ما يلي :

١ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **عَجِبْتُ لِلْبَخيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفقْرَ الَّذي مِنْهُ هَرَب ، وَيَفوتُهُ الْغِنَى الَّذي إِيّاهُ طَلَب ، فَيَعيشُ في الدُّنْيا عَيْشَ الفُقَراءِ ، وَيُحاسَبُ في الْآخِرَةِ حِسابَ الْأَغْنِياء** »[٢] .

٢ ـ روى الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « **السَّخِيُّ قَريبٌ مِنَ اللهِ ، قَريبٌ مِنَ النّاسِ ، قَريبٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَالْبَخيلُ بَعيدٌ مِنَ اللهِ ، بَعيدٌ مِنَ النّاسِ ، قَريبٌ مِنَ النّارِ** »[٣] .

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿ **كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ** ﴾[٤] ، قال : « **هُوَ الرَّجُلُ يَدَعُ مالَهُ لا يُنْفِقُهُ في طاعَةِ اللهِ تَعالىٰ بُخلاً ،**

---

(١) آل عمران ٣: ١٨٠.

(٢) جامع الأخبار: ١٣١.

(٣) مستدرك الوسائل: ٧: ١٣.

(٤) البقرة ٢: ١٦٧.

ثُمَّ يَمُوتُ فَيَدَعهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فيهِ بِطاعَةِ اللهِ تَعالىٰ أَوْ في مَعْصيةِ اللهِ تَعالىٰ ، فَإِنْ عَمِلَ فيهِ بِطاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ رَآهُ في ميزانِ غَيْرِهِ حَسْرَةً ، وَقَدْ كانَ الْمالُ لَهُ ، وَإِنْ كانَ عَمِلَ بِهِ في مَعْصِيَةِ اللهِ تَعالىٰ قَوّاهُ بِذلِكَ الْمالِ حَتّىٰ عَمِلَ بِهِ في مَعْصِيَةِ اللهِ تَعالىٰ »[١] .

هذه أمثلة من الأخبار دلّت على عقاب البخيل ، وأنّـه قـد جرّ لنفسه العقاب الأليم ، خصوصاً إذاكان البخل في عدم دفع الأموال التي فرضها الله تعالى كالخمس والزكاة ، فإنّ حسابه يكون عسيراً وعقابه عظيماً . . وبهذا نطوي الحديث عن المُثل التربويّة في الإسلام .

وبهذه اللقطات والبحوث الموجزة ينتهي بنا الحديث عن النظام الاجتماعي في الإسلام ، آملين أن يجد فيه السادة القرّاء المتعة والفائدة ، وهو ما أتمنّاه .

(١) فروع الكافي : ٤ : ٤٢.

النظام الاقتصادي

الاقتصاد جزء من رسالة ، ومبدء من أهمّ مبادئه وقيمه لأنّ فيه ضماناً لحياة الفقراء والبؤساء ، فهو ينفي عنهم غائلة الجوع والحرمان ، ويوفّر لهم حياة كريمة لا ظلّ فيها للحاجة ، وذلك بما شرّعه من الأنظمة الخلّاقة التي تبيد الرأسماليّة ، وتنشر السعة والرخاء ، فكان من أوليّات منهاجه:

١ ـ توفير العمل.

٢ ـ القضاء على البطالة.

٣ ـ التكافل الاجتماعي ، ونعني به مسؤوليّة الدولة عن تسديد نفقات من لا يكفيه أُجرة عمله.

٤ ـ تفح باب المضاربة في المصارف والبنوك ، وعدم أخذ فائض من أي أحد ، وعلى الدولة أن تمنع المعاملات الربويّة ، أمّا تسديد رواتب الموظّفين والعمّال فهو من أرباح المضاربة حسب ما ذكر في البحوث الفقهيّة.

٥ ـ الضرائب التي فرضت على الأنعام والحنطة والشعير والتمر والزبيب والنقود ، وهي تشكّل وارداً خطيراً تصرف وتنفق على ضعفاء المنطقة ، ولا تنقل من بلد إلى آخر إلّا في حالة فقد الفقير أو الحاكم الشرعي.

٦ ـ النذور والصدقات التي حثّ عليها الإسلام.

٧ ـ حرمة الغشّ ، وهو من بنود الاقتصاد الإسلامي.

٨ ـ حرمة التلاعب بالميزان.

٩ ـ حرمة الاحتكار.

١٠ ـ حرمة المعاملات الربويّة بجميع أنواعها.

١١ ـ حرمة أخذ أُجور العمّال أو شيء منها ، وإنّما يعطى العامل حسب أُجوره غير ناقصة.

١٢ ـ الصدق في المعاملة ، وحرمة الكذب في المعاملة ، وهو من العوامل الأخلاقيّة.

١٣ ـ عدم المغالاة في السلع والأُجور ، فإنّ ذلك يؤدّي إلى الأضرار البالغة على المواطنين.

١٤ ـ عدم جواز بيع الأعيان المتضرّرة والمصابة حفظاً على الصحّة العامّة.

١٥ ـ مراقبة السوق من التلاعب بالأسعار ، والنظر بدقّة بالمبيعات خوفاً من أن تكون معيبة.

هذه بعض البنود من الاقتصاد الإسلامي ، وقد مني الاقتصاد الماركسي بالفشل لأنّه ألغى الكثير من شؤون الحياة ، كما مني الاقتصاد الرأسمالي بالفشل ، فقد منيت البنوك في اوروبا بالإفلاس ، وأغلقت الكثير منها ، لأنّ الاقتصاد فيها لم يكن قائماً على أساس وثيق.

وهذا عرض موجز للاقتصاد الإسلامي القائم على التطوّر والابداع ، وفيما يلي شذرات عنه.

مناهج الرخاء في الإسلام

أمّا المناهج التي قرّرها الإسلام لنشر الرخاء، وبسط السعة بين الناس، فهي :

العمل على زيادة الانتاج

من الأسباب التي تهدم صروح الفقر، وتقوّض أركانه ودعائمه هو العمل على زيادة انتاج ثروات البلاد، سواء أكانت زراعيّة أم معدنيّة أم غيرها، أمّا وسائل زيادة الانتاج فهي :

١ - توفير العمل

إنّ الإسلام يلزم الدولة التي تسير على منهجه بتوفير العمل للمواطنين وتهيئة جميع وسائله من المعامل والمصانع والمشاريع العامّة التي تزدهر بها البلاد، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «**أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ : فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْما تَعْلَمُوا، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ في الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ**»[١].

توفير الفيء هو ما يحتويه بيت المال من الأموال، يجب أن توفّر للمواطنين وتستخدم في تطوير حياتهم الاقتصاديّة، ويقول الإمام في عهده للزعيم مالك

---

(١) نهج البلاغة : ١ : ٨٤، الخطبة ٣٤.

الأشتر: «وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ في عِمارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ في اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذٰلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بالْعِمارَةِ».

وأضاف الإمام قائلاً: «وَمَنْ طَلَبَ الْخَراجَ بِغَيْرِ عِـمارَةٍ أَخْـرَبَ الْـبِلَادَ، وَأَهْـلَكَ الْعِبادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَليلاً. فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً، أَوِ انْقِطاعَ شِـرْبٍ أَوْ بَـالَّةٍ، أَوْ إِحالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَها غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِها عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِما تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ؛ وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ في عِمَارَةِ بِلادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ، بِما ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمامِكَ لَهُمْ، والثِّقَةَ مِنْهُمْ بِما عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ.

فَرُبَّما حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ ما إِذا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ؛ فَإِنَّ الْعُمْرانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّما يُؤْتَىٰ خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِها، وَإِنَّما يُعْوِزُ أَهْلُها لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْـوُلَاةِ عَـلَىٰ الْـجَمْعِ، وَسُـوءِ ظَـنِّهِمْ بِـالْبَقاءِ، وَقِـلَّةِ انْـتِفاعِهِمْ بِالْعِبَرِ»(١).

إنّ الزراعــة مـن شـرايـين الحـياة الاقـتصاديّة فـي العـالم، والواجب مسـاعدة المزارعين، وذلك ببذل البذور لهم، وبذل الأسمدة الكيماويّة والماء الوافر لهـم، كما يلزم مراعاة حياتهم الاقتصاديّة، خصوصاً في هذا العـصر الذي تشـعّبت فـيه وسائل الحياة.

٢ ـ رفع الضرائب عن الضعفاء

ممّا يؤدّي إلى زيادة الانتاج وتحسين الحالة الاقتصاديّة للفلّاحين والعمّال رفع

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ٩٦ و٩٧. تحف العقول: ١٣٧ و ١٣٨.

الضرائب عنهم ، فإنّ ذلك يدفعهم إلى العمل ، وقد أسّس ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام في أيّام حكومته ، يقول عليه‌السلام لبعض ولاته :

« وَلَا تَبِيعُنَّ لِلنّاسِ في الْخَراجِ كِسْوَةَ شِتاءٍ وَلَا صَيْفٍ وَلَا دابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْها » .

وأضاف الإمام قائلاً : **« وَلا تَبعْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَرَضاً في شَيْءٍ مِنَ الْخَراجِ ، وَإِنَّما أُمِرْنا أَنْ نَأْخُذَ مِنْهُمْ بِالْعَفْوِ »**[١] .

من المؤكّد أنّ هذه الإجراءات الحكيمة توجب انتشار العمل وزيادة الانتاج ، وتدفع العمّال والمزارعين إلى زيادة عملهم تحصيلاً للربح .

آراء علماء الاقتصاد

وقد أكّد علماء الاقتصاد على أنّ فرض الضرائب الثقيلة ترهق العمّال ، وتصدّهم عن العمل ، وقد ذكروا هذه المواد :

١ ـ إنّ زيادة الضرائب توجب قلّة الرغبة في العمل ، وتبعث اليأس والقنوط في نفوس العمّال ، وتقلّل من نشاطهم ، الأمر الذي يوجب قلّة الثروة في البلاد .

٢ ـ زيادة الضرائب تؤدّي إلى تفسّخ الأخلاق ، فإنّ الإنسان بطبعه ميّال إلى الهروب من الضرائب التي تفرض عليه ، ويتخلّص منها بالوسائل المنكرة ، كالكذب والتزوير والتهريب والاحتيال وغير ذلك ممّا يؤدّي إلى تفسّخ الأخلاق واللجوء إلى الأعمال المنكرة .

٣ ـ تسبّب الهجرة إلى بلد آخر سالم من الضرائب ، وهذا يؤدّي إلى شلّ الحركة الاقتصاديّة .

٤ ـ ومن الأضرار في فرض الضرائب أنّ ذوي الأموال يضطرّون إلى تهريبها إلى البلاد الأجنبيّة لاستثمارها فيها ، وذلك ممّا يوجب انتشار البطالة وإشاعة الجوع

---

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٨١.

وغير ذلك من المآسي[١].

وقد شاهدنا هذه الظاهرة أيّام المدّ الشيوعي في العراق، فقد قام المثرون بتهريب أموالهم إلى الخارج خوفاً من مصادرة الشيوعيّين لها، وقد اضطربت الحركة الاقتصاديّة، وتوقّفت الزراعة وحركة العمل والاستيراد وغيرها.

٣ـ تشجيع التجارة والصناعة

وممّا يؤدّي إلى زيادة الانتاج ونموّ الحركة الاقتصاديّة تشجيع الدولة ودعمها للتجّار وأرباب الصناعات والمهن، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده للزعيم مالك الأشتر: «**ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجّارِ وَذَوِي الصِّناعاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوادُّ الْمَنافِعِ، وَأَسْبابُ الْمَرافِقِ، وَجُلّابُها مِنَ الْمَباعِدِ وَالْمَطارِحِ، في بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لا يَلْتَئِمُ النّاسُ لِمَواضِعِها، وَلا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْها، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لا تُخافُ بائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لا تُخْشىٰ غائِلَتُهُ. وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفي حَواشي بِلادِكَ**»[٢].

إنّ التجارة والصناعة عنصران في تطوّر الحركة الاقتصاديّة ونموّ العمران في البلاد، وقد أكّدت النظريّات الاقتصاديّة الحديثة أنّ موآزرة التجّار وأرباب الصناعة من أهمّ الوسائل لتنمية الانتاج القومي، وأنّ نشأة علم الاقتصاد وعلم المال مدينان لهذين الأمرين، فالعلم «الديواني» الذي ازدهر في ألمانيا خلال القرن الثامن عشر لم يكن يرمي إلّا لتوجيه موارد الدولة نحو الأكثر انتاجاً، كما أنّ علماء الاقتصاد في فرنسا وانجلترا أجمعوا على القول بواجب الدولة بموآزرة التجارة والصناعة[٣].

---

(١) النظام السياسي في الإسلام: ٢٥١ و ٢٥٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٣: ١١٠.

(٣) النظام السياسي في الإسلام: ٢٢٢.

إنّ تشجيع التجارة والصناعة يؤدّي إلى توفير العمل في البلاد ، وشلّ البطالة فيها ، ولكنّ الإسلام لم يمنح التجّار وأرباب الصناعات الحريّة التامّة كما منحتها لهم الرأسماليّة التي ترى كلّ ما يزيد ربح الفرد فهو مسموح به كالربا والاحتكار والاستغلال بينما لا يرى الإسلام ذلك ، كما سنتحدّث عنه .

٤ـ مراقبة السوق

وشيء بالغ الأهميّة في الحفاظ على المنتوجات العامّة من التلاعب فيها بالأسعار ، فإنّ عند بعض الحرفيّين شحاً وتهالكاً على حصول المادّة فيعمدون إلى التلاعب بأسعار السلع ، فلذا كانت مراقبة السوق ضرورة ، بالإضافة إلى ذلك فإنّ بعض السلع قد تكون معيبة ، فالرقابة تمنع ذلك حفظاً لسلامة المبيع ، وحفظاً للصحّة العامّة من أن تكون بعض السلع مصابة بما يخلّ بصحّة الناس .

قال الإمام الصادق عليه السلام : «**كُلُّ ذي صِناعَةٍ مُضْطَرٌّ إلىٰ ثَلاثِ خِلالٍ يَجْتَلِبُ بِها الْمَكْسَبَ وَهُوَ : أَنْ يَكونَ حاذِقاً بِعَمَلِهِ ، مُؤَدِّياً لِلأَمانَةِ فيهِ ، مُسْتَميلاً لِمَنِ اسْتَعْمَلَهُ**»[١] .

٥ـ تحديد التجارة

حدّد الإسلام التجارة ، وحرّم بعض طرقها وصورها لأنّها تؤدّي إلى اضطراب الحياة الاقتصاديّة .

يقول الإمام الصادق عليه السلام : «**وَوجوهُ الْحَلالِ مِنْ وَجْهِ التِّجاراتِ الَّتي يَجوزُ لِلْبائِعِ أَنْ يَبيعَ مِمّا لَا يَجوزُ لَهُ ، وَكَذلِكَ الْمُشْتري الَّذي يَجوزُ لَهُ شِراؤُهُ مِمّا لَا يَجوزُ لَهُ ، فَكُلُّ مَأْمورٍ بِهِ مِمّا هُوَ غِذاءٌ لِلْعِبادِ وَقِوامُهُمْ بِهِ في أُمورِهِمْ في وُجوهِ الصَّلاحِ الَّذي لَا يُقيمُهُمْ غَيْرُهُ مِمّا يَأْكُلونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَلْبَسُونَ وَيَنْكِحُونَ وَيَمْلِكُونَ وَيَسْتَعْمِلونَ مِنْ جِهَةِ**

---

(١) تحف العقول : ٣٢٢.

مِلْكِهِمْ ، وَيَجوزُ لَهُمُ الْاسْتِعْمالُ لَهُ مِنْ جَميعِ جِهاتِ الْمَنافِعِ الَّتي لَا يُقيمُهُمْ غَيْرُها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَكونُ لَهُمْ فيهِ الصَّلاحُ مِنْ جِهَةٍ مِنَ الْجِهاتِ ، فَهٰذا كُلُّهُ حَلالٌ بَيْعُهُ وَشِراؤُهُ وَإِمْساكُهُ وَاسْتِعْمالُهُ وَهِبَتُهُ وَعارِيَتُهُ.

وَأَما وُجوهُ الْحَرامِ مِنَ الْبَيْعِ وَالشِّراءِ ، فَكُلُّ أَمْرٍ يَكونُ فيهِ الْفَسادُ مِمّا هُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ مِنْ جِهَةِ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ ، أَوْ كَسْبِهِ ، أَوْ نِكاحِهِ ، أَوْ مِلْكِهِ ، أَوِ امْساكِهِ ، أَوْ هِبَتِهِ ، أَوْ عارِيَتِهِ ، أَوْ شَيْءٍ يَكونُ فيهِ وَجْهٌ مِنْ وُجوهِ الْفَسادِ ، نَظيرُ الْبَيْعِ بِالرِّبا ، لِما في ذٰلِكَ مِنَ الْفَسادِ ، أَوْ الْبَيْعِ لِلْمَيْتَةِ ، أَوِ الدَّمِ ، أَوْ لَحْمِ الْخِنْزيرِ ، أَوْ لُحومِ السِّباعِ مِنْ صُنوفِ سِباعِ الْوَحْشِ أَوِ الطَّيْرِ أَوْ جُلودِها ، أَوِ الْخَمْرِ ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ وُجوهِ النَّجَسِ ، فَهٰذا كُلُّهُ حَرامٌ وَمُحَرَّمٌ ، لِأَنَّ ذٰلِكَ كُلَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْ أَكْلِهِ ، وَشُرْبِهِ ، وَلُبْسِهِ ، وَمِلْكِهِ ، وَإِمْساكِهِ ، وَالتَّقَلُّبِ فيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجوهِ لِما فيهِ مِنَ الْفَسادِ. فَجَميعُ تَقَلُّبِهِ في ذٰلِكَ حَرامٌ.

وَكَذٰلِكَ كُلُّ بَيْعٍ مَلْهُوٍّ بِهِ ، وَكُلُّ مَنْهِيٍّ عَنْهُ مِمّا يُتَقَرَّبُ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ ، أَوْ يَقْوى بِهِ الْكُفْرُ وَالشِّرْكُ مِنْ جَميعِ وُجوهِ الْمَعاصي ، أَوْ بابٍ مِنَ الْأَبْوابِ يَقْوىٰ بِهِ بابٌ مِنْ أَبْوابِ الضَّلالَةِ ، أَوْ بابٌ مِنْ أَبْوابِ الْباطِلِ ، أَوْ بابٌ يُوهِنُ بِهِ الْحَقَّ ، فَهُوَ حَرامٌ مُحَرَّمٌ ، حَرامٌ بَيْعُهُ ، وَشِراؤُهُ ، وَإِمْساكُهُ ، وَمِلْكُهُ ، وَهِبَتُهُ ، وَعارِيَتُهُ ، وَجَميعُ التَّقَلُّبِ فيهِ إِلّا في حالٍ تَدْعُو الضَّرورَةُ فيهِ إِلىٰ ذٰلِكَ »[١].

٦ ـ ضرائب ماليّة

وفرض الإسلام ضرائب ماليّة تؤدّي إلى الرخاء وإشاعة الرفاهيّة ، وتمنع من طغيان أصحاب رؤوس الأموال ، وتنتشر المحبّة والمودّة بين أفراد المجتمع ، فقد ألزم الإسلام مالكي الثروة بدفع ما عليهم من الضرائب إلى الفقراء لسدّ

---

(١) تحف العقول : ٣٣٢ و ٣٣٣.

حاجاتهم ، ومن المؤكّد أنّ ذلك يؤدّي إلى إشاعة المحبّة بينهم ، ومن هذه الضرائب :

أوّلاً : الزكاة

إنّ الزكاة ليست إحساناً فرديّاً إن شاء من فرضت عليه دفعها ، وإن شاء تركها ، وإنّما هي حقّ واجب تأخذه الدولة وتقاتل عليه ، لأنّها من أركان الإسلام ، وقد جاء الأمر بها مقروناً بالصلاة في نحو ثلاثين موضعاً في كتاب الله تعالى ، كان منها :

١ ـ قال تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾[١].

٢ ـ قال تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾[٢].

أمّا في السنّة :

١ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : « **أحبّ النّاس إليَّ منزلة : رجل يؤمن بالله ورسوله ، ويقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعمّر ماله ، ويحفظ دينه ، ويعتزل النّاس** »[٣].

٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام : « **مَنْ مَنَعَ قيراطاً مِنَ الزَّكاةِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا مُسْلِمٍ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعالىٰ : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾[٤]** »[٥].

٣ ـ وعنه عليه السلام : « **نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ ـ ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾[٦] ـ في شَهْرِ رَمَضانَ ، فَأَمَرَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله مُناديهِ فَنادىٰ في النّاسِ : إِنَّ اللهَ**

---

(١) البقرة ٢ : ٤٣.

(٢) البيّنة ٩٨ : ٥.

(٣) مستدرك الوسائل : ١١ : ٣٨٧.

(٤) المؤمنون ٢٣ : ١٠٠.

(٥) الميزان في تفسير القرآن : ١٥ : ٧٤.

(٦) التوبة ٩ : ١٠٣.

فَرَضَ عَلَيْكُمُ الزَّكاةَ كَما فَرَضَ عَلَيْكُمُ الصَّلاةَ، فَفَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِم مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَفَرَضَ الصَّدَقَةَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَمِنَ الْحُنْطَةِ وَالشَّعيرِ وَالتَّمْرِ وَالزَّبيبِ، فَنادىٰ بِهِمْ بِذلِكَ في شَهْرِ رَمَضانَ، وَعَفىٰ لَهُمْ عَمّا سِوىٰ ذٰلِكَ.

ثُمَّ لَمْ يَفْرِضْ لِشَيْءٍ مِنْ أَمْوالِهِمْ حَتّىٰ حالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ مِنْ قَبْلُ، فَصاموا وَأَفْطَروا، فَنادىٰ مُناديهِ في الْمُسْلِمينَ: أَيُّها الْمُسْلِمونَ، زَكُّوا أَمْوالَكُمْ تُقْبَلْ صَلاتُكُمْ، ثُمَّ وَجَّهَ عُمّالَ الصَّدَقَةِ وَعُمّالَ الطُّسوقِ»(١).

وعنه عليه‌السلام: «**حَصِّنوا أَمْوالَكُمْ بِالزَّكاةِ**»(٢).

وعنه عليه‌السلام: «**السُّرّاقُ ثَلاثَةٌ: مانِعُ الزَّكاةِ، وَمُسْتَحِلُّ مُهورِ النِّساءِ، وَمَنِ اسْتَدانَ دَيْناً وَلَمْ يَنْوِ قَضاءَهُ**»(٣).

٤ ـ وعن الإمام الكاظم عليه‌السلام، عن آبائه عليهم‌السلام، قال: «قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: «**لا تزال أمّتي بخير ما تحابّوا، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأقروا الضيف، فإن لم يفعلوا ابتلوا بالسنين والجدب**»(٤).

تقوم فلسفة الزكاة على مبدأ التكافل الاجتماعي الذي أسّسه الإسلام، وهو مسؤوليّة المسلم عن أخيه المسلم مسؤوليّة ماديّة لا يمكن أن يعفى عنها أو يتخلّص منها، ولا يوجد لذلك نظير في أي دين أو مذهب اجتماعي.

وعرض الإمام كاشف الغطاء في حديث له عن فلسفة تشريع الزكاة، قال: «وليست فوائد هذا التشريع مقصودة على الناحية الماديّة، بل فيها من الفوائد

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٩: ٣٦٤.

(٢) حلية الأولياء: ٣: ١٩٤.

(٣) الخصال: ١٤٥.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٤: ٣١٣.

الاجتماعيّة ، والتأليف بين الطبقات ، وتعاطف الناس بعضهم مع بعض ، وقطع دابر الفساد والشغب فيما بينهم ما هو أوسع وأجل وأجمع ، فإنّ فيه غرس بذور المحبّة بين الفقير والغني ، فالغني يدفع وينفع الفقير باليسير من ماله عن طيب خاطره أداء لواجبه ورغبة لطلب المثوبة من ربّه ، والفقير يأخذها من غير مهانة ولا ذلّة لأنّه أخذ الحقّ الواجب من مالكه وخالقه »(١).

مصرف الزكاة

أمّا الجهات التي تصرف فيها الزكاة ، فهي :

١ - الفقراء والمساكين(٢).

٢ - العاملون على جبايتها.

٣ - المدينون الذين لا يستطيعون وفاء ديونهم ، وهم الغارمون(٣).

---

(١) الفردوس الأعلى : ١٨٢.

(٢) عن أحدهما عليه السلام أنّه سأله عن الفقير والمسكين ، فقال : «**الفقير الذي لا يسأل ، والمسكين الذي هو أجهد منه الذي يسأل**» وسائل الشيعة : ٦: ١٤٤.

وضابطة الفقر الشرعيّة هي أن لا يكون الفقير يملك ما يكفيه لمدّة سنة كاملة.

(٣) سأل الإمام الرضا عليه السلام رجل فقال له : جعلت فداك ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ** ﴾ [البقرة ٢: ٢٨٠] ، اخبرني عن هذه النظرة التي ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه ، لها حدّ يعرف إذا صار هذا المعسر إليه لا بدّ له من أن ينتظر ، وقد أخذ مال هذا الرجل وأنفقه على عياله ، وليس له غلّة ينتظر إدراكها ، ولا دين ينتظر محلّه ، ولا مال غائب ينتظر قدومه ؟

قال : **نعم ، ينتظر بقدر ما ينتهي خبره إلى الإمام فيقضي عنه ما عليه من الدَّين من سهم الغارمين إذا كان أنفقه في طاعة الله عزّ وجلّ ، فإن كان أنفقه في معصية الله عزّ وجلّ ، فلا شيء له على الإمام.**

قلت : فما لهذا الرجل الذي ائتمنه وهو لا يعلم فيما أنفقه ؟ في طاعة الله أم ⇦

٤ ـ عتق العبيد.

٥ ـ أبناء السبيل[١].

٦ ـ المؤلّفة قلوبهم لاستمالتهم للإسلام.

٧ ـ سبيل الله تعالى، وهو المصالح العامّة، كبناء المستشفيات والمدارس والقناطر وغيرها، وقد نصّ القرآن الكريم على هذه الجهات، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[٢].

وفي السنّة الشريفة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَإِنَّ لَكَ في هٰذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَكاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ، وَضُعَفاءَ ذَوِي فاقَةٍ، وَإِنّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَبُؤْسىٰ لِمَنْ ـ خَصْمُهُ عِنْدَ اللهِ ـ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ، وَالْغارِمُونَ وابْنُ السَّبِيلِ! وَمَنِ اسْتَهانَ بِالْأَمانَةِ، وَرَتَعَ في الْخِيانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْها، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ وَالْخِزْيَ في الدُّنْيا، وَهُوَ في الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزىٰ**»[٣].

⇐ في معصيته؟

قال: **يسعى له في ماله فيردّه عليه وهو صاغر**» وسائل الشيعة: ١٨: ٣٣٦، باب أنّه يجب على الإمام قضاء الدين عن المؤمن المعسر.

(١) سئل الإمام عليه السلام عن ابن السبيل، قال: «**ابن السبيل هو ابن الطريق يكون في السفر في طاعة الله فيقطع بهم ويذهب مالهم، فعلى الإمام أن يردّهم إلى أوطانهم من مال الصدقات**» المعتبر للمحقّق الحلّي: ٢: ٥٧٨.

(٢) التوبة ٩: ٦٠.

(٣) نهج البلاغة: ٣: ٢٧، الخطبة ٢٦.

وقال ﷺ : «**إِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ فَرَضَ في أَمْوالِ الأَغْنِياءِ أَقْواتَ الْفُقَراءِ؛ فَما جاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِما مُتِّعَ بِهِ غَنِي ، واللهُ تَعالَىٰ سائِلُهُمْ عَنْ ذٰلِكَ**»(١).

المكان الذي تصرف فيه الزكاة

يجب أن تصرف الزكاة في البلد الذي تؤخذ منه ولا يجوز إخراجها منه ، إلّا إذا لم يوجد فقير ، كما أنّه إذا فضل منها شيء ردّ إلى بيت المال العامّ لينفق في موضعه .

مَن هو الفقير ؟

أمّا الفقير الذي تنفق عليه الزكاة فيشمل من وجدت عنده هذه الأمتعة :

١ ـ مسكن لائق له ولأهله .

٢ ـ ما يحتاجه من الألبسة الصيفيّة والشتائيّة بما يتّفق مع وضعه وشرفه .

٣ ـ من يملك خادماً محتاجاً له .

٤ ـ من يملك فرساً أو سيّارة يحتاج إليه .

فالفقير في العرف الإسلامي هو الذي يملك هذه الأُمور ، ولكنّه لا يملك مؤونة سنته بالفعل أو بالقوّة ، فله أن يأخذ من الزكاة ما يقيم أوده كما يجوز أن يأخذ من أموال الزكاة ليشتري هذه الأُمور إذا كان محتاجاً لها(٢).

إنّ ضريبة الزكاة تسير بالمجتمع نحو الرفاهية الواسعة ، ويتخلّص بها المجتمع من ويلات الفقر وكوارثه .

أمّا بيان المواد التي تجب فيها الزكاة وتستحبّ وبيان شرائطها وأحكامها ،

---

(١) نهج البلاغة : ٤: ٧٨، الخطبة ٣٢٨.

(٢) الروضة ـ كتاب الزكاة : ٢: ٥٠.

فقد عرضت لها كتب الفقه ورسائل الفقهاء.

ثانياً: الخمس

من الضرائب الماليّة التي فرضها الإسلام على أموال الأغنياء الخمس، فقد فرضه الله تعالى لنبيّه وعبده الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وللسادة الهاشميّين، وجعل ذلك عوضاً عن الزكاة تكريماً لهم، وقد تظافرت الأدلّة من الكتاب والسنّة على وجوبه وحرمة منعه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله الصَّدَقَةَ، فَعَوَّضَهُ مِنْها سَهْماً مِنَ الْخُمْسِ، وَحَرَّمَها عَلىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ خاصَّةً دونَ قَوْمِهِمْ. وَأَسْهَمَ لِصَغيرِهِمْ وَكَبيرِهِمْ، وَذَكَرِهِمْ وَأُنْثاهُمْ، وَفَقيرِهِمْ وَشاهِدِهِمْ وَغائِبِهِمْ، وَلأَنَّهُمْ إنَّما أُعْطُوا سَهْمَهُمْ لِأَنَّهُمْ قَرابَةُ نَبِيِّهِمْ، وَالَّتي لا تَزُولُ عَنْهُمْ.**

الْحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَهُ مِنّا وَجَعَلَنا مِنْهُ، فَلَمْ يُعْطِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَحَداً مِنَ الْخُمْسِ غَيْرَنا وَغَيْرَ حُلفائِنا وَمَوالينا»[١].

وقال عليه السلام: **نَحْنُ وَاللهِ الَّذينَ عَنَى اللهُ بِذي الْقُرْبىٰ، الَّذينَ قَرَنَهُمُ اللهُ بِنَفْسِهِ وَنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله فَقالَ: ﴿ما أَفاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِن أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتامىٰ وَالْمَساكِينِ﴾**[٢] **مِنّا خاصَّةً، وَلَمْ يَجْعَلْ لَنا سَهْماً في الصَّدَقَةِ، أَكْرَمَ اللهُ نَبِيَّهُ وَأَكْرَمَنا أَنْ يُطْعِمَنا أَوْساخَ ما في أَيْدي النّاسِ»**[٣].

---

(١) تحف العقول: ٣٤٧ و ٣٤٨.

(٢) الحشر ٥٩: ٧.

(٣) الكافي: ١: ٥٣٩. وسائل الشيعة: ٩: ٥١١، الحديث ١٢٦٠٣. مستدرك الوسائل: ٧: ١٢٠، الحديث ٧٨٠٣. بحار الأنوار: ٩٣: ٢٠٣. عوالي اللئالي: ٣: ١٢٥. شرح نهج البلاغة: ١٢: ٢١٢.

وعن الإمام الباقر عليه‌السلام : «لَا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنَ الْخُمْسِ شَيْئاً حَتّىٰ يَصِلَ إِلَيْنا حَقُّنا»[1].

وعن الإمام الصادق عليه‌السلام : «إِنَّ اللهَ لَا إِلٰهَ إِلّا هُوَ لَمّا حَرَّمَ عَلَيْنا الصَّدَقَةَ أَنْـزَلَ لَـنا الْخُمْسَ فَالصَّدَقَةُ عَلَيْنا حَرامٌ ، وَالْخُمْسُ لَنا فَريضَةٌ ، وَالْكَرامَةُ لضنا حَلالٌ»[2].

وعن الإمام الكاظم عليه‌السلام : «الْخمْسُ مِنْ خَمْسَةِ أَشْياءَ : مِنَ الْغَنائِمِ ، وَالْغَوْصِ ، وَمِنَ الْكُنُوزِ ، وَمِنَ الْمَعادِنِ ، وَالْمِلاحَةِ ، يُؤْخَذُ مِنْ كُلِّ هٰذِهِ الصُّنوفِ الْخُمْسُ ، فَيَجْعَلُ لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ تَعالىٰ لَهُ .

وَيُقْسَمُ الْأَرْبَعَةُ الْأَخْماسِ بَيْنَ مَنْ قاتَلَ عَلَيْهِ ، وَوَلِيَ ذلِكَ ، وَيُقْسَمُ بَيْنَهُمُ الْخُمْسُ عَلىٰ سِتَّةِ أَسْهُمٍ ، سَهْمٌ للهِ ، وَسَهْمٌ لِرَسُولِ اللهِ ، وَسَهْمٌ لِذي الْقُرْبىٰ ، وَسَهْمٌ لِـلْيَتامىٰ ، وَسَهْمٌ لِلْمَساكِينِ ، وَسَهْمٌ لأَبْناءِ السَّبيلِ ...»[3].

الموارد التي يجب فيها

ويجب الخمس في سبع موارد دون غيرها ، وهي :

١ ـ الغنيمة

وهي ما يحوزه الجيش الإسلامي من معسكر العدوّ بغير سرقة ولا غيلة وبإذن من الإمام عليه‌السلام ، سواء أكانت الأموال منقولة أم غير منقولة ، على رأي بعض الفقهاء .

٢ ـ المعادن

وهي المستخرجة من الأرض ، كالنفط الذي هو الذهب الأسود في هذا العصر ،

---

(١) وسائل الشيعة : ٩ : ٤٨٤ .

(٢) وسائل الشيعة : ٩ : ٤٨٣ .

(٣) الكافي ١ : ٥٣٩ . وسائل الشيعة ٩ : ٤٨٧ .

وكالكبريت وأمثال ذلك من المعادن كالذهب والفضّة[١].

٣ ـ الغوص

وهو ما يستخرج من قعر البحر، كاللؤلؤ والمرجان وغير ذلك.

٤ ـ الحلال المختلط بالحرام

وهو المال الحلال المختلط بالحرام[٢]، ولا يعرف مقداره ولا صاحبه.

٥ ـ الكنز

وهو المال المذخور في الأرض في دار الحرب أو في دار الإسلام ولا أثر له عليه.

عن الإمام الصادق عليه‌السلام: «**إنَّ النَّبيَّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قالَ في وَصِيَّتِهِ لِعَليٍّ: يا عَليُّ، إنَّ عَبْدَالْمُطَّلِبِ سَنَّ في الْجاهِلِيَّةِ خَمْسَ سُنَنٍ أَجْراها اللهُ لَهُ في الْإِسْلامِ:...**

وَوَجَدَ كَنْزاً فَأَخْرَجَ مِنْهُ الْخُمْسَ وَتَصَدَّقَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ ﴾[٣]»[٤].

٦ ـ الأرض التي اشتراها ذمّيّ من مسلم، سواء انتقلت الأرض بشراء أم هبة على رأي بعض الفقهاء.

(١) كأن يكون المعدن له قيمة وثمن، مثل الأحجار الكريمة، كالعقيق والفيروزج والياقوت ونحوها. أمّا مثال المعادن التي لا قيمها كالحصى والأحجار الرمليّة التي لا قيمة لها.

(٢) المقصود بالمال الحرام هو المال الذي يكون قد دخل في ملك الإنسان بغير وجه شرعي، كالمال المتحصّل من الربا والسرقة والغصب ونحوها، فإنّ المال ترجع ملكيّته إلى صاحبه الواقعي.

(٣) الأنفال ٨: ٤١.

(٤) الخصال: ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

٧ ـ أرباح المكاسب

وهو ما يفضل من مؤونة السنة من أرباح التجارة والصناعة والزراعة وسائر أنواع المكاسب.

مصرف الخمس

ويقسم الخمس إلى قسمين: قسم يدفع إلى فقراء العترة الطاهرة، ويشمل السادة من بني هاشم كالعقيليّين والجعفريّين والعبّاسيّين، أمّا النصف الآخر فيدفع إلى الإمام عليه السلام، وفي حال الغيبة يدفع إلى نائبه وممثّله الحاكم الشرعي الذي ترجع إليه الأُمّة في تقليدها، وهو ينفقه في مصالح المسلمين حسب ما ذهب إليه بعض المحقّقين من الفقهاء، وفي حقّ الإمام آراء أُخرى تعرّضت لها موسوعات الفقه.

هذه بعض الضرائب الماليّة التي فرضها الإسلام، وهناك ضرائب أُخرى مثل كفّارة من أفطر في شهر رمضان عمداً، والكفّارات لمن أخلّ ببعض مناسك الحجّ، وكفّارة حنث اليمين والعهد، وقد فرضها الإسلام لإشاعة الرخاء ومكافحة الفقر.

ومن موارد مصرف الخمس ردّ المظالم(١).

ثالثاً: الإنفاق في سبيل الله تعالى

حثّ الإسلام على البرّ والإحسان والإنفاق في سبيل الله تعالى، وقد تكرّر الطلب في القرآن الكريم على ذلك، كان منه قوله تعالى:

١ ـ **﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي**

---

(١) ردّ المظالم هو عبارة عن أموال يدين بها الإنسان إلى آخرين لا يعلمهم، أو لا يتمكّن من إيصالها إليهم.

سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنّاً وَلَا أَذىً لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

٢ ـ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

٣ ـ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٣).

كما تظافرت الأخبار عن أئمّة الهدى عليهم السلام وهي تحثّ المسلمين على البرّ والإحسان لإشاعة الرخاء والسعة بين المسلمين.

يقول الإمام كاشف الغطاء: «ما من شريعة من الشرائع، ولا دين من الأديان، ولاكتاب من الكتب قد حثّ وبالغ في الدعوة إلى البرّ والإحسان والمعروف وبذل المال في سبيل الخير مجّاناً ولوجه الله تعالى كشريعة الإسلام وكتابها المجيد»(٤).

إنّ الإنفاق في سبيل الله عزّ اسمه من أهمّ الأسباب التي تدعو إلى نشر المحبّة والاخوّة بين المسلمين، ولو قام ذوو الثراء بمساعدة الفقراء لما وقع المسلمون فريسة بيد الدول الكبرى التي عاثت فيها فساداً وصارت تحت نفوذها.

---

(١) البقرة ٢: ٢٦١ و ٢٦٢.

(٢) الصفّ ٦١: ١٠ و ١١.

(٣) البقرة ٢: ٢٥٤.

(٤) الفردوس الأعلى: ١٧٥.

مسؤوليّات الدولة

وشيء آخر بالغ الأهميّة في إنعاش المعوزين والعاطلين هو مسؤوليّة الدولة عنهم والإنفاق عليهم، وهو ما يسمّى بالضمان الاجتماعي، ومن مظاهره:

١ - قيام الدولة بتسديد الاعواز لمن لا يكفيه راتب عمله، فإنّها مسؤولة عن تسديد بقيّة نفقاته.

٢ - مسؤوليّة الدولة عن الإنفاق على العاطلين عن العمل، أمّا لعدم توفّره أو للعجز عن العمل لمرض أو شيخوخة أو عمى، وقد ذكر المؤرّخون أنّ عمر بن عبدالعزيز جعل لكلّ أعمى قائداً، ولكلّ مقعد خادماً، وفرض للزمين رزقاً حتّى قيل إنّ الزمين أحبّ لأهله من الصحيح.

٣ - تقديم المبرّات للضعفاء والمحرومين، وقد أكّد على ضرورة ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر، قال عليه السلام: **ثُمَّ اللهَ اللهَ في الطَّبَقَةِ السُّفْلَىٰ مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ الْمَساكِينِ والْمُحْتاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَىٰ وَالزَّمْنَىٰ[1]، فإِنَّ في هٰذِهِ الطَّبَقَةِ قانِعاً[2] وَمُعْتَرّاً[3]، وَاحْفَظْ للهِ ما اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَـلَّاتِ صَوافي[4] الْإِسْلَامِ في كُلِّ بَلَدٍ**».

---

(١) **الزمنى**: جمع زمين، وهم المصابون بعاهة تمنعهم من العمل.

(٢) **القانع**: السائل.

(٣) **المعترّ**: الذي يتعرّض للعطاء.

(٤) **الصوافي**: الأرض الغنيّة.

وأضاف الإمام مؤكّداً على ضرورة رعايتهم والإحسان إليهم قائلاً:

«فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ[١]، فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ.

فَلَا تُشْخِصْ[٢] هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ[٣] الْعُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ؛ فَفَرِّغْ لِأُولٰئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَىٰ اللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هٰؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَىٰ الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ».

ويؤكّد الإمام اهتمامه البالغ برعاية الأيتام والمسنّين قائلاً:

«وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذٰلِكَ عَلَىٰ الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ»[٤].

أرأيتم هذه السياسة التي تنعم في ظلالها الشعوب، وينتشر العدل، وتعمّ الرحمة، ويسود الرخاء.

إنّها السياسة التي أرادها الله تعالى لعباده، ولكن الأطماع السياسيّة حالت بين المسلمين وبين سعادتهم، فأخّروا هذا العملاق العظيم، وقدّموا غيره عليه حتّى آل الحكم إلى الخونة واللصوص من الأمويّين والعبّاسيّين، فأمعنوا في ظلم الناس وإذلالهم.

---

(١) **البطر**: الطغيان للنعمة.

(٢) **لا تشخص**: أي لا تصرف همّك عن رعايتهم.

(٣) **تقتحمه العيون**: أي تحقّره العيون.

(٤) نهج البلاغة: ٣: ١٠٠ و ١٠١.

١ ـ الاحتياط بأموال الدولة

وشيء بالغ الأهميّة في نشر الرخاء وزيادة الإنشاء والعمران في البلاد هو الاحتياط التامّ في أموال الدولة ، وعدم إنفاق أي شيء منها في المصالح السياسيّة الخاصّة ، كما سار على ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد العدالة الاجتماعيّة في دنيا الإسلام ، فقد رصد أموال الدولة لصالح المواطنين وإنعاشهم ، وساوى بين جميع الطبقات في العطاء ، ولم يدّخر أي شيء منها لنفسه ولا لأبنائه وأهل بيته ، وحمّل نفسه رهقاً ، كما ساوى في العطاء بين جميع المواطنين ، مسلمين وغيرهم .

وقد نقل الرواة أنّه اجتاز في إحدى شوارع الكوفة ، فرأى شيخاً يتسوّل فهاله ذلك لأنّ الفقر عنده كارثة مدمّرة يجب اجتثاثها ، فسأل عنه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنّه مسيحي .

فقال عليه السلام : «**فَإِنَّهُمْ ـ النّاس ـ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**»[(١)] ، وأمر بمرتّب شهري له .

وكان من احتياطه في أموال الدولة أنّه لمّا أفل نجم حكومته من مساواته العادلة بادر إليه وزيره ومستشاره عبدالله بن عبّاس فعرض عليه أن يترك المساواة ، ويهب الأموال للوجوه ، فيفضّل العرب على العجم ، ويفضل قريشاً على سائر العرب .

فبهر الإمام من ذلك وردّ عليه قائلاً : **يابْنَ عَبّاسٍ ، تُرِيدُ مِنّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ ، لَوْ كانَ الْمالُ لي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ بِالْعَطاءِ ، فَكَيْفَ وَالْمالُ مالُ اللهِ** .

على هذا المنهج المشرق سار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في سياسته العادلة التي أراد أن يقيم بها في هذا الشرق حكومة العدل والمساواة بحيث لا يعود في ظلالها

---

(١) نهج البلاغة : ٣ : ٤٢٧ .

أي لون من ألوان البؤس والحرمان ، ويزدهر العالم الإسلامي بالرفاهية والأمن والرخاء .

إنّ الإنسانيّة على ما جرّبت من تجارب ، وبلغت من رقي وإبداع في أنظمة الحكم والإدارة فإنّها لا تستطيع أن تنشئ نظاماً سياسيّاً يضمن حقوق الضعفاء كما أنشأه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام رائد الحضارة الإنسانيّة .

٢ ـ التكافل الاجتماعي

وهو من المشاريع الاقتصاديّة المهمّة التي شرّعها الإسلام لإبادة الفقر ، والقضاء على الحاجة والحرمان ، ونعني به مسؤوليّة الدولة عن ضمان العيش للمواطنين ، ومن بنوده ما يلي :

١ ـ قيام الدولة بتسديد الأعوان لمن لا تكفيهم مؤونتهم ، فإنّهم يأخذون بقيّة نفقتهم وما يحتاجون إليه من بيت المال .

٢ ـ إنّ الطبقة الفقيرة إذا استدانت لوجه مشروع كالدين لشراء مسكن ، أو لتعميره ، أو للزواج ، وغير ذلك ممّا تحتاج إليه ، وعجزت عن وفائه ، فإنّ الدولة مسؤولة عن وفائه .

وفي الحديث : «**مَنْ تُوُفِّيَ فَتَرَكَ دَيْناً فَعَلَيَّ قَضاؤُهُ**»[١] .

ويقول الإمام موسى بن جعفر عليهما‌السلام : «**مَنْ طَلَبَ هٰذَا الرِّزْقَ مِنْ حِلِّهِ لِيَعودَ بِهِ عَلىٰ نَفْسِهِ وَعِيالِهِ ، فَهُوَ كَالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللهِ ، فَإِنْ غُلِبَ عَلَيْهِ فَلْيَسْتَدِنْ عَلَى اللهِ وَرَسولِهِ ما يَقوتُ بِهِ عِيالَهُ ، فَإِنْ ماتَ وَلَمْ يَقْضِهِ كانَ عَلَى الْإِمامِ قَضاؤُهُ ، فَإِنْ لَمْ يَقْضِهِ** ـ أي الإمام ـ **كانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**

---

(١) صحيح البخاري : ٣ : ١٧٩ .

وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ ﴾[١]**، وَهـذا فَقيرٌ مِسْكينٌ مُغْرَمٌ »**[٢].

وقال الإمام الصادق عليه‌السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله : أَيّما مُؤْمِنٍ أَوْ مُسْلِمٍ تَرَكَ دَيْناً وَلَمْ يَكُنْ في فَسادٍ وَلَا إِسْرافٍ ، فَعَلَى الْإِمامِ أَنْ يَقْضِيَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَقْضِهِ فَعَلَيْهِ إِثْمُ ذلِكَ . إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ يَقولُ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ الآية ، فَهُوَ مِنَ الغارِمينَ ، وَلَهُ سَهْمٌ عِنْدَ الْإِمامِ ، فَإِنْ حَبَسَهُ فَإِثْمُهُ عَلَيْهِ** »[٣].

وقال الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه‌السلام : « **الْمُغْرَمُ إِذا تَدَيَّنَ أَوِ اسْتَدانَ في حَقٍّ أُجِّلَ سَنَةً ، فَإِنِ اتَّسَعَ وَإِلّا قَضىٰ عَنْهُ الْإِمامُ مِنْ بَيْتِ الْمالِ** »[٤].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث الشريفة ، وهي تلزم الدولة بتسديد ديون الفقراء إذا عجزوا عن وفائها .

٣ ـ إنّ الدولة مسؤولة عن الإنفاق على العاجزين عن العمل لمرض أو عاهة ، كالعمى والإقعاد والشيخوخة ، ولم يكن لهم مال أو ولد ينفق عليهم ، وقد جعل عمر بن عبدالعزيز لكلّ أعمى قائداً ، ولكلّ مقعد خادماً ، وفرض للزمنى[٥] رزقاً مخصوصاً ، حتّى قيل إنّ الزمين أحبّ إلى أهله من الصحيح .

٤ ـ إنّ الدولة مسؤولة عن تقديم جميع المبرّات والمعونات للضعفاء والبؤساء والمحرومين . يقول الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام في عهده الذهبي إلى مالك الأشتر :

---

(١) التوبة ٩ : ٦٠ .

(٢) الكافي : ٥ : ٩٣ ، الحديث ٣ .

(٣) أُصول الكافي : ١ : ٤٠٣ .

(٤) أُصول الكافي : ١ : ٤٠٧ .

(٥) الزمنى : جمع زمين ، وهم أرباب العاهات العاجزون عن الكسب .

«ثُمَّ اللهَ اللهَ في الطَّبَقَةِ السُّفْلَىٰ مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ الْمَساكِينِ والْمُحْتاجِينَ وأَهْلِ الْبُؤْسَىٰ وَالزَّمْنَىٰ، فإِنَّ في هٰذِهِ الطَّبَقَةِ قانِعاً[١] وَمُعْتَرّاً[٢]، واحْفَظْ لِلّٰهِ ما اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، واجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوافي[٣]الإِسْلامِ في كُلِّ بَلَد».

ويؤكّد الإمام عليه السلام اهتمامه البالغ بالبؤساء، فيقول: «فَلا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ[٤]، فَإِنَّكَ لا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التّافِهَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ. فَلا تُشْخِصْ[٥] هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ[٦]، وَتَحْقِرُهُ الرِّجالُ؛ فَفَرِّغْ لِأُولٰئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ والتَّواضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ.

ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذارِ إِلَىٰ اللهِ يَوْمَ تَلْقاهُ، فَإِنَّ هٰؤُلاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَىٰ الْإِنْصافِ مِنْ غَيْرِهِمْ».

أرأيتم هذا العدل والعطف على الفقراء الذي أدلى به باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله؟ ومن المقطوع به أنّه لو طبّقت هذه التعاليم على مسرح الحياة الإسلاميّة لما بقي فقير ولا بائس، وسلمت الأمّة من الأزمات والاضطرابات.

ويتعرّض الإمام عليه السلام في عهده لمالك إلى صنف آخر من الضعفاء، فيأمر بالحنان عليهم ومساعدتهم.

---

(١) **القانع**: السائل.

(٢) **المعترّ**: المعترض للعطاء بلا سؤال.

(٣) **الصوافي**: جمع صافية، وهي أرض الغنيمة.

(٤) **البطر**: طغيان النعمة.

(٥) **لا تشخص**: أي لا تصرف نظرك عنهم.

(٦) **أي تحتقره**.

يقول عليه السلام: «**وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ**[١] **في السِّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذٰلِكَ عَلَىٰ الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ**»[٢].

الفقر ومتاركه

ويؤدّي الفقر إلى متارك فظيعة لا تشكّل خطراً على المصاب به وحده، وإنّما تمتدّ إلى المجتمع بأسره، وهذه بعضها:

١ ـ الكفر

أمّا الفقر فهو رديف الكفر، وبيته ومأواه.

عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**كادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكونَ كُفْراً**»[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لابن ابن الحنفيّة: **يابُنَيَّ، إِنِّي أَخافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْهُ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ، داعِيَةٌ لِلْمَقْتِ**»[٤].

وعنه عليه السلام: «**الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكبَرُ**»[٥].

ويقول بعض الشعراء:

كَمْ عاقِلٍ عاقِلٌ أَعْـيَـتْ مَـذاهِـبُهُ   وَجـاهِلٍ جـاهِلٌ تَـلْقاهُ مَـرْزوقا

هٰذا الَّذي تَـرَكَ الْأَوْهـامَ حـائِرَةً   وَصَـيَّرَ الْـعالِمَ النِّحْريرَ زِنْـديقا

وكثير من الذين تركوا دينهم وانضمّوا إلى ركب الملحدين والكافرين كان بسبب

---

(١) ذو الرقّة: المتقدّم في السنّ.

(٢) نهج البلاغة: ٣: ١١١.

(٣) وسائل الشيعة: ١٥: ٣٦٥.

(٤) نهج البلاغة: ٤: ٧٦، الخطبة ٣١٩.

(٥) نهج البلاغة: ٤: ٤١، الخطبة ١٦٣.

البؤس والحرمان.

إنّ الكثيرين ممّن انضمّوا إلى المذاهب الهدّامة كالشيوعيّة، كان بسبب الفقر، يقول جابر عبدالعال:

«إنّ الأزمات الاقتصاديّة إذا طال أمدها تضعف العقول، وتجعلها فريسة للمذاهب الهدّامة التي تبرق للناس مورية بحياة سعيدة»[١].

إنّ وسائل الإعلام التي تملكها الشيوعيّة هي التي غرّرت ببعض الشباب إلى اعتناق الفكرة الماركسيّة التي تؤدّي إلى شقاء الإنسان، وتحطيم حياته.

٢ ـ الانتحار

وكثير من الشباب الذي يملكون وعياً أصيلاً وإحساساً مرهفاً يريدون الحياة الكريمة لينعموا في ظلالها بزوجة وأطفال قد ضاقت بهم السبل، وانطوت حياتهم على الحرمان، فإنّهم يقدمون على الانتحار للتخلّص من البؤس، وقد قرأنا أخبارهم فيما نشرته الصحف المحلّيّة.

٣ ـ الجرائم

إنّ معظم الجرائم التي ضاق الناس منها ذرعاً ناشئة من الفقر والحرمان ومن بين الجرائم:

- القتل العمدي.
- السرقة بأنواعها المتعدّدة التي منها الاحتيال على أموال الدولة.
- الاعتداء على أعراض الناس.
- الشذوذ الجنسي.

---

(١) حركات الشيعة المتطرّفين: ٢٩.

- الارهاب .

ومعظم هذه الجرائم تستند إلى الفقر والبؤس ، وعدم الظفر بحياة اقتصاديّة ينعم فيها هؤلاء البؤساء .

وحفلت هذه الوصيّة بجميع صنوف البرّ والإحسان بالفقراء والبؤساء .

إنّ تطبيق الإسلام على حقيقته وواقعه لا يبقي شبحاً للفقر ، ولا ظلّاً للبؤس والحرمان .

معاملات محرّمة

وكان من بين ما حرّمه الإسلام :

الاحتكار

حرّم الإسلام الاحتكار من أجل المصلحة العامّة للناس ، وهو حبس المال انتظاراً لغلائه[١].

وقد أعلن النبيّ ﷺ حرمته في بعض أحاديثه ، منها :

١ ـ قال ﷺ : « **لَا يَحْتَكِرُ الطَّعامَ إِلّا خاطِئٌ ، وَإِنَّهُ مَلْعونٌ** »[٢].

٢ ـ قال ﷺ : « **مَنِ احْتَكَرَ الطَّعامَ أَرْبَعينَ يَوْماً فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ ، وَبَرِئَ اللهُ مِنْهُ** »[٣].

٣ ـ وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده للزعيم مالك الأشتر واليه على مصر : « **وَاعْلَمْ ـ مَعَ ذٰلِكَ ـ أَنَّ في كَثيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فاحِشاً ، وَشُحّاً قَبيحاً ، وَاحْتِكاراً لِلْمَنافِعِ ، وَتَحَكُّماً في الْبِياعاتِ ، وَذٰلِكَ بابُ مَضَرَّةٍ لِلْعامَّةِ ، وَعَيْبٌ عَلَىٰ الْوُلَاةِ. فَامْنَعْ مِنَ الْإِحْتِكارِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّىٰ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوازِينِ عَدْلٍ ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَريقَيْنِ مِنَ الْبائِعِ والْمُبْتاعِ ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً**

---

(١) القاموس المحيط : ٣٧٨ ، مادة « حَكَرَ ».

(٢) تهذيب الأحكام : ٧ : ١٥٩ ، الحديث ٧٠١. وسائل الشيعة : ١٧ : ٤٢٦ ، الحديث ٢٢٩٠٧.

(٣) مستدرك الوسائل : ١٣ : ٢٧٣.

بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ»(١).

٤ ـ فقد روى الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : سألته عن الرجل يحتكر الطعام ويتربّص به ، هل يصلح ذلك ؟

قال : «**إِنْ كانَ الطَّعامُ كَثيراً يَسَعُ النّاسَ فَلا بَأْسَ بِهِ ، وَإِنْ كانَ الطَّعامُ قَليلاً لا يَسَعُ النّاسَ ، فَإِنَّهُ يُكْرَهُ أَنْ يُحْتَكَرَ الطَّعامُ وَيُتْرَكَ النّاسُ لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ**»(٢).

٥ ـ عن الإمام عليه السلام ، قال : «**قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : «أَيُّما رَجُلٍ اشْتَرىٰ طَعاماً فَكَبَسَهُ أَرْبَعينَ صَباحاً ، يُريدُ بِهِ غَلاءَ الْمُسْلِمينَ ، ثُمَّ باعَهُ ، فَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهِ ، لَمْ يَكُنْ كَفّارَةً لِما صَنَعَ**»(٣).

أمّا الموادّ التي يحرم احتكارها ، فهي :

١ ـ الحنطة .

٢ ـ الشعير .

٣ ـ التمر .

٤ ـ الزبيب .

٥ ـ السمن .

٦ ـ الزيت .

٧ ـ الملح(٤).

فقد نهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن الاحتكار فقال صلى الله عليه وآله ، قال : «**الْحُكْرَةُ في سِتَّةِ أَشْياءٍ في**

---

(١) نهج البلاغة : ٤٣٨ ، ٥٣ ـ من كتاب له عليه السلام كتبه إلى الأشتر النخعي .

(٢) وسائل الشيعة : ١٧ : ٤٢٤ ، باب تحريم الاحتكار عند ضرورة المسلمين .

(٣) وسائل الشيعة : ١٧ : ٤٢٤ ، باب تحريم الاحتكار عند ضرورة المسلمين .

(٤) الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة : ٢ : ٣٥ ، الحادي والعشرون : ترك الحُكرة .

الْحُنْطَةِ وَالشَّعيرِ وَالتَّمْرِ وَالزَّيْتِ وَالسَّمْنِ وَالزَّبيبِ»[١].

وليس من المستبعد إلحاق الأدوية والملابس بها، وذلك لاشتراكهما معها في وحدة المناط، وهو الإضرار بمصلحة الناس.

وعلى أي حال، فإنّ الاحتكار يتناقض مع التنافس الذي هو وليد لإطلاق التجارة وعدم احتكارها، يقول بعض الباحثين في علم الاقتصاد:

« يعترف الخاصّ والعامّ بمزايا التنافس وبمضار الاحتكار، وأنّهما فعلان متناقضان، إلّا أنّ مزايا التنافس زيادة الانتاج في جميع الأصناف والتنزيل التاريخي في الأسعار، فتستفيد من ذلك الطبقات الفقيرة أكثر من غيرها، وتنظيم الأرباح، وإيجاد نسبة بينها وبين أجر العمّال توزّع الثروة بين الجميع بطريقة أعدل نوعاً مع إيجاد تساوٍ فيها بين جميع الصناعات وعلى نقيض هذه المزايا يقوم الاحتكار، وتظهر مضارّه، خصوصاً في رفع الأسعار بغير مقتضٍ...»[٢].

وعند ابن خلدون في مقدّمته فصلاً خاصّاً عن أضرار الاحتكار، جاء فيه:

« وممّا اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الأمصار أنّ احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشؤوم، وأنّه يعود على فائدته بالتلف والخسران، وسببه والله تعالى أعلم أنّهم لحاجاتهم إلى الأقوات مضطرّون إلى ما يبذلون فيها من المال اضطراراً، فتبقى النفوس متعلّقة به، وفي تعلّق النفوس بمالها سرّ كبير في وباله على من يأخذه مجّاناً، ولعلّه الذي اعتبره في الشرع من أخذ أموال الناس بالباطل.

وهكذا وإن لم يكن مجاناً فالنفوس متعلّقة به لإعطائه ضرورة من

---

(١) وسائل الشيعة: ١٧: ٤٢٦، باب تحريم الاحتكار عند ضرورة المسلمين.

(٢) فوائد الثمرات الأحمديّة في المباحث الاقتصاديّة: ٩٢.

غير سعة في العذر، فهو كالمكره وما عدا الأقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطرار للناس إليها، وإنّما يبعثهم عليها التفنّن في الشهوات فلا يبذلون أموالهم فيها إلّا باختيار وحرص ولا يبقى لهم تعلّق بماأعطوه، فلذا يكون من عرف الاحتكار تجتمع القوى النفسانيّة على متابعته لما يأخذه من أموالهم فيفسد ربحه»[١].

وفلسفة ابن خلدون في تحريم الاحتكار خالية من التحقيق، وليس بها شيء يمتّ إلى المصلحة بصلة، وإنّما الذي ذكرناه وهو الإضرار بالعامّة، واضطراب السوق، وشلّ الحركة الاقتصاديّة، فإنّها هي العوامل في التحريم.

معاقبة المحتكرين

وحكم الإسلام بمعاقبة المحتكرين والاستيلاء على الأموال المحتكرة، وقيام الدولة بتسعيرها إن أجحف صاحبها بالسعر وكان هذا هو الحكم العادل الذي لا إجحاف فيه، والذين يضمن حقوق الناس.

الربا

حرّم الإسلام الربا، ونهى عنه لأنّه يوجب تكدّس الثراء عند فئة من الناس، وإشاعة الفقر والإخلال بالرخاء العامّ، وقد أعلن القرآن تحريمه بصورة قطعيّة. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**

---

(١) مقوّمات الحياة الاجتماعيّة في الإسلام: ٧٥.

(٢) البقرة ٢: ٢٧٥.

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١).

وعلّق الإمام كاشف الغطاء محمّد الحسين على هذه الآية بقوله: «وهذا تصوير بديع لحال المرابين، وعظيم جشعهم وحرصهم على جمع المال وادّخاره وتوفيره، فهو كالذي فيه مسّ من الجنون يذهب ويجيء، ويقوم ويقعد، ويأخذ ويعطي، فهو في حركة دائبة، وعمل متواصل لا يقرّ له قرار، ولا يستريح من التفكير والتوفير والادّخار في ليل ولا نهار، وإذا اعترض ضدّه معترض قال مبرّراً عمله: ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾(٢)، والبيع حلال، فالربا مثله، وهو قياس فاسد، ويعرف فساده من القاعدة الشرعيّة المباركة، والغنم بالغرم، فكلّ معاملة فيها غنم بلا غرم فهي أكل مال بالباطل، والبيع غنم بغرم، ومبادلة مال بمال بخلاف الربا، فإنّه للآخذ غنم بلا غرم، وللدافع غرم بلا غنم، فإذا أعطى عشرة باثنتي عشرة من جنس واحد فهو أكل مال بالباطل...»(٣).

إنّ الربا أفحش الموبقات، ومن أعظم الكبائر، وقد توعّد النبيّ صلى الله عليه وآله بالعذاب الدائم على مستحلّه.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَنْ أَكَلَ الرِّبا مَلأَ اللهُ تعالى بَطْنَهُ مِنْ نارِ جَهَنَّمَ بِقَدَرِ ما أَكَلَ، وَإِنِ اكْتَسَبَ مِنْهُ مالاً لَمْ يَقْبَلِ اللهُ تَعالىٰ مِنْهُ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ، وَلَمْ يَزَلْ في لَعْنَةِ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ ما كانَ عِنْدَهُ قيراطٌ واحِدٌ**»(٤).

---

(١) البقرة ٢: ٢٧٨ ـ ٢٨٠.

(٢) البقرة ٢: ٢٧٥.

(٣) الفردوس الأعلى: ١٧٦.

(٤) وسائل الشيعة: ١٨: ١٢٢، الحديث ٢٣٢٨٤.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «**آكِلُ الرِّبا ، وَموكِلُهُ ، وَكاتِبُهُ ، وَشاهِدُهُ في الزّورِ سَواءٌ**»(١).

وروى هشام بن الحكم ، قال : « سألت أبا عبدالله عليه السلام عن علّة تحريم الربا ؟ قال : **إنَّهُ لَوْ كانَ الرِّبا حَلالاً لَتَرَكَ النّاسُ التِّجاراتِ وَما يَحْتاجونَ إلَيْهِ ، فَحَرَّمَ اللهُ الرِّبا لِتَنْفُرَ النّاسُ عَنِ الْحَرامِ إلَى التِّجاراتِ وَإلَى الْبَيْعِ وَالشِّراءِ ، فَيَفْضُلُ ذلِكَ بَيْنَهُمْ في الْقَرْضِ**»(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «**دِرْهَمُ رِبا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ مِنْ سَبْعينَ زَنْيَةً كُلُّها بِذاتِ مَحْرَمٍ في بَيْتِ اللهِ تَعالَى الْحَرامِ**»(٣).

أرأيتم هذا العقاب الصارم الذي يحلّ بالمرابين الذين أقاموا ثرواتهم على نهب أموال الناس ، وأخذها بغير حقّ ، وتركوا شبح الفقر جاثماً في بيوت الفقراء .

الربا والاستعمار

الربا من أهمّ الوسائل لاستعمار الشعوب ، والاستيلاء على ثرواتها ، إنّ الدول التي تستقرض من الدول الكبرى قد فتحت أبواب بلادها للاستعمار ، فلم تمض إلّا سنون يسيرة حتّى تقع تحت قبضة الاستعمار فريسة لها يتصرّف في شؤونها حيث ما يتّفق مع مصالحها .

الاستغلال

من الأمور التي لا يقرّها الإسلام استغلال العمّال بأجور بسيطة دون أُجرة المثل ،

---

(١) فروع الكافي : ٥ : ١٤٤ ، الحديث ٢.

(٢) علل الشرائع : ٤٨٢.

(٣) فروع الكافي : ٥ : ١٤٤ ، الحديث ١.

أو أن يُنقص أحد المتعاملين ممّا اتّفقا عليه من أُجرة أو ثمن ، فإنّ ذلك يؤدّي إلى الضرر بحقّ العمّال ، كما يسبّب شيوع الاضطراب في البلاد .

إنّ العمّال الذين هم الشريحة في بناء المجتمع ومصدر الحركة الاقتصاديّة يجب أن تعطى لهم الأُجور التي تساوي عملهم ، وأن توفّر لهم الفرص المتكافئة التي تضمن معيشتهم برخاء لئلّا يكون أداة بأيدي المخرّبين من الشيوعيّين وأمثالهم .

١ - في رواية : اشتريت لأبي عبدالله عليه السلام جارية ، فلمّا ذهبت أنقدهم ، قلت : استحطّهم ؟

قال : **لا ، إنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله نَهىٰ عَنِ الْإِسْتِحْطاطِ بَعْدَ الصَّفْقَةِ**[1] .

٢ - وفي رواية أُخرى : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّي أتقبّل العمل ، فيه الصناعة وفيه النقش ، فأُشارط عليه النقّاش على شيء فيما بيني وبينه ، العشرة أزواج بخمسة دراهم ، والعشرين بعشرة ، فإذا بلغ الحساب ، قلت له : أحسن فأستوضعه من الشرط الذي شارطته عليه .

قال : **تَطيبُ نَفْسُهُ** ؟ قلت : نعم .

قال : **لَا بَأْسَ**[2] .

٣ - عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **أَيُّما عَبْدٍ أَقالَ مُسْلِماً في بَيْعٍ ، أَقالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ** »[3] .

الغبن

حرّم الإسلام الغبن في التجارة ، وهو البيع والشراء بدون ثمن المثل ، مع الجهل بالقيمة ، فكان يشتري ما قيمته مائة بخمسين أو ما قيمته خمسون بمائة ، وفي

---

(١) و (٢) وسائل الشيعة : ١٧ : ٤٥٢ ، باب كراهة الاستحطاط بعد الصفقة .

(٣) وسائل الشيعة : ١٧ : ٣٨٦ ، باب استحباب إقالة النادم وعدم وجوبها .

مثل ذلك جعل الشارع المعيار للمغبون المشتري أو البائع بفسخ المعاملة حين اطّلاعه على ذلك.

عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: جاءت زينب العطّارة إلى نساء النبيّ صلى الله عليه وآله، فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله، فإذا هي عندهنّ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **إذا أَتَيْتِنا طابَتْ بُيوتُنا.**

قالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إذا بِعْتِ فَأَحْسِني، وَلَا تَغُشّي فَإِنَّهُ أَتْقىٰ للهِ، وَأَبْقىٰ لِلْمالِ**»[1].

ومن وصايا الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام لبعض أصحابه: «**عَلَيْكَ بِصِدْقِ اللِّسانِ في حَديثِكَ، وَلَا تَكْتُمْ عَيْباً يَكونُ في تِجارَتِك، وَلَا تَغْبِنِ الْمُسْتَرْسِلَ، فَإِنَّ غُبْنَهُ لَا يَحِلُّ، وَلَا تَرْضَ لِلنّاسِ إِلّا ما تَرْضىٰ لِنَفْسِكَ، وَأَعْطِ الْحَقَّ وَخُذْهُ، وَلَا تَخْفِ، وَلَا تَخُنْ، فَإِنَّ التّاجِرَ الصَّدوقَ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرامِ الْبَرَرَةِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَاجْتَنِبِ الْحَلْفَ، فَإِنَّ الْيَمينَ الْفاجِرَةَ تُورِثُ صاحِبَها النّارَ. وَالتّاجِرُ فاجِرٌ إِلّا مَنْ أَعْطَى الْحَقَّ وَأَخَذَهُ**»[2].

الغشّ

ويحرم الغشّ في المعاملة، وذلك بأن يخلط الجيّد من الطعام بالرديء ويبيعه على أنّه جيّد، ففي مثل ذلك يثبت الخيار للمشتري في فسخ المعاملة.

والغشّ: اسم مِن غشّه، بمعنى لم يمحضه النصح أو أظهر له خلاف ماأضمره[3].

وجاء في جملة من الأحاديث:

---

(١) وسائل الشيعة: ١٧: ٣٨٧.

(٢) وسائل الشيعة: ١٧: ٣٨٥.

(٣) القاموس المحيط: ٦٠٠، مادة «غَشَش».

١ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **ألا ومَنْ غشّنا فليْسَ منّا** (قالها ثلاثاً)، **ومَنْ غشَّ أخاهُ المُسْلِمَ نزعَ اللهُ بركَةَ رِزْقِهِ، وأفسَدَ عليْهِ معيشتَهُ، ووكَلَهُ إلى نفْسِهِ، ومَنْ سمعَ فاحِشةً فأفْشاها، فهُوَ كمَنْ أتاها، ومَنْ سمِعَ خيْراً فأفْشاهُ، فهُوَ كمَنْ عمِلَهُ**»[١].

٢ ـ عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام قوله: «**المُؤْمِنُ أخو المُؤْمِنِ عيْنُهُ ودليلُهُ، لا يخونُهُ، ولا يظْلِمُهُ، ولا يغُشُّهُ، ولا يعِدُهُ عِدَةً فيُخْلِفُهُ**»[٢].

٣ ـ عن الإمام جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ليْسَ منّا مَنْ ماكرَ مُسْلِماً**»[٣].

٤ ـ وعنه عليه السلام، قال ـ وقد دخل عليه رجل يبيع الدقيق ـ: «**إيّاكَ والغِشُّ، فإنّهُ مَنْ غَشَّ غُشَّ في مالِهِ، فإنْ لمْ يكُنْ لهُ مالٌ، غُشَّ في أهْلِهِ**»[٤].

٥ ـ وعنه عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام ـ في حديث المناهي ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «**ومَنْ غشَّ مُسْلِماً في شِراءٍ أوْ بيْعٍ فليْسَ منّا، ويُحْشَرُ يوْمَ القِيامَةِ معَ اليهودِ؛ لأنّهُمْ أغشُّ الخلْقِ**»[٥].

٦ ـ عن الحسين بن المختار، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّا نعمل القلانس فنجعل فيها القطن العتيق، فنبيعها ولا نبيّن لهم ما فيها؟

قال: **أُحِبُّ لكَ أنْ تُبيِّنَ لهُمْ ما فيها**»[٦].

---

(١) وسائل الشيعة: ١٧: ٢٨٣، باب تحريم الغشّ بما يخفى.

(٢) الكافي: ٢: ١٩٤، باب أُخوّة المؤمنين بعضهم لبعض.

(٣) الكافي: ٢: ٣٤٩، باب المكر والغدر والخديعة.

(٤) و (٥) وسائل الشيعة: ١٧: ٢٨٢.

(٦) وسائل الشيعة ١٧: ٢٨٢، باب تحريم الغشّ بما يخفى.

التلاعب بالأوزان (التطفيف)

حرّم الإسلام التلاعب بالأوزان. قال تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَّا يَظُنُّ أُولَـٰئِكَ أَنَّـهُم مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[١].

لقد أمر الإسلام بإقامة الوزن بالقسط، قال تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ** ﴾[٢].

أمّا من السنّة النبويّة:

١ ـ عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام، قال: مرّ أمير المؤمنين على جارية قد اشترت لحماً من قصّاب، وهي تقول: زدني؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **زِدْها فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلْبَرَكَةِ**»[٣].

٢ ـ وعنه عليه السلام، قال: «**وَلَا يَكُونُ الْوَفاءُ حَتّىٰ يَميلَ الْميزانُ**»[٤].

٣ ـ وعن عبيد بن إسحاق، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي صاحب نخل، فخبّرني بحدّ أنتهي إليه فيه من الوفاء.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: **إِنْوِ الْوفاءَ، فَإِنْ أَتىٰ عَلىٰ يَدِكَ وَقَدْ نَوَيْتَ الْوَفاءَ نُقْصانٌ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْوَفاءِ، وَإِنْ نَوَيْتَ النُّقْصانَ ثُمَّ أَوْفَيْتَ، كُنْتَ مِنْ أَهْلِ النُّقْصانِ**»[٥].

٤ ـ وعن الباقر عليه السلام، قال: «كان أمير المؤمنين يقول منادياً في السوق: **تَبَرَّكوا**

---

(١) المطفّفين ٨٣: ١ ـ ٦.

(٢) الرحمن ٥٥: ٩.

(٣) وسائل الشيعة: ١٧: ٣٩٢.

(٤) وسائل الشيعة: ١٧: ٣٩٢.

(٥) وسائل الشيعة: ١٧: ٣٩٣.

بِالسُّهولَةِ ، وَاقْتَرِبوا مِنَ الْمُبْتاعينَ ، وَتَزَيَّنوا بِالْحِلْمِ ، وَتَناهوا عَنِ الْيَمينِ ، وَجانِبوا الْكَذِبَ ، وَتَجافوا عَنِ الظُّلْمِ ، وَأَنْصِفوا الْمَظْلومينَ ، وَلا تَقْرَبوا الرِّبا ، وَأَوْفوا الْكَيْلَ وَالْميزانَ ، وَلَا تَبْخَسوا النّاسَ أَشْياءَهُمْ ، وَلَا تَعْثَوا في الْأَرْضِ مُفْسِدينَ[١]»[٢].

إنّ التلاعب بالأوزان حرام ، وما يؤخذ من طريقه فهو مال مغصوب يجب ردّه إلى صاحبه .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ هود ١١ : ٨٥.

(٢) وسائل الشيعة : ١٧ : ٣٨٢ ، باب جملة ممّا يستحبّ للتاجر من الآداب ، الحديث ١/٢٢٧٩٨.

مع المذاهب الاجتماعيّة

إنّ مشكلة الفقر من أعقد المشاكل العالميّة وأهمّها، وقد أعيى حلّها رجال الاقتصاد، فوضعوا لها المناهج التي تؤدّي إلى حلّها، والتي منها:

١ ـ الرأسماليّة

إنّ الرأسماليّة القديمة والحديثة وضعت المناهج الاقتصاديّة لزيادة ربح الفرد، فأباحت الاحتكار والاستغلال والربا وغير ذلك من الوسائل التي تؤدّي إلى نموّ الأموال وزيادة الأرباح، وقد أشاعت الفقر والحرمان في الأكثريّة الساحقة من شعوبها، وتكدّس الثراء العريض عند فئة من الناس.

٢ ـ الشيوعيّة

وقد اتّخذت لها شعاراً وهو «من لا يعمل لا يأكل»، وأمّمت جميع ممتلكات الدولة، ولم تبح بأي حال الملكيّة الفرديّة التي هي من أقوى الغرائز الأصليّة في الإنسان الذي هو مجبول على حبّ التملّك، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾[1].

وارتكبت الشيوعيّة أفحش الجرائم، فقتلت ونكّلت بالمواطنين الذين رفضوا هذه الفكرة، حتّى اضطرّت إلى العدول عنها فأباحت الملكيّة الصغيرة وفرضت عليها القيود والأغلال.

---

(١) العاديات ١٠٠: ٨.

إنّ الفكرة الشيوعيّة قد فنيت بالفشل في وطنها الأمّ روسيا ، وتمزّقت جميع أفكارها التي تؤمن بالإلحاد وإقصاء الأخلاق والتمرّد على جميع القيم الإنسانيّة .

إنّ الرأسماليّة والشيوعيّة لم تستطيعا أن تحقّقا للإنسان ما يصبوا إليه من الأمن والرخاء ، فقد أقصيا الأخلاق الذي هو عنصر أساسي في الاقتصاد الإسلامي ، كما سنوضّحه .

٣ـ النظام الإسلامي

إنّ الإسلام بقيمه العظيمة هو الذي يقضي على غائلة الفقر ، وينشر السعة والرخاء بما لا يوجب إجحافاً أو ضرراً بأي فرد من المجتمع كما أوجبته النظم الاقتصاديّة من الشيوعيّة والرأسماليّة .

إنّ الأنظمة الاقتصاديّة الخلّاقة في الإسلام لا تدع مجالاً للفقر والحرمان ، وتضمن معيشة الجميع .

يقول إقبال :

« لقد توصّلت بعد دراستي للشريعة الإسلاميّة دراسة دقيقة طويلة إلى أنّه حيث يتيسّر فهم هذه الشريعة فهماً جيّداً ، ويتمّ تطبيقها كما ينبغي ، فإنّ حدّ العيش يغدو مضموناً للجميع » .

وأضاف قائلاً :

« إنّ معضلة الخبز تزداد حدّة ... لكنّنا نجد لحسن الحظّ حلّاً موافقاً بتطبيق الشريعة الإسلاميّة ، وبتوسيع أحكامها »[١] .

---

(١) دراسات إسلاميّة : ٣٨٨ .

إنّ الأنظمة الاقتصاديّة الإسلاميّة إذا طبقت بدقّة ، فإنّه لا يبقى أي إنسان يشكو الفقر .

وهي تقصي الفقر وتزيل شبحه البغيض ، وتنشر الرخاء والسعة بين الناس .

إلى هنا ينتهي بنا المطاف عن بعض اللقطات في الاقتصاد الإسلامي .

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

مصادر الكتاب



الاثنا عشريّة في المواعظ العدديّة .... محمّد بن قاسم الحسيني

أحكام القرآن .... الجصّاص

إحياء العلوم .... الغزالي

الاختصاص .... الشيخ المفيد

الإرشاد .... الشيخ المفيد

إرشاد القلوب .... الحسن بن محمّد الديلمي

أسباب النزول .... الواحدي النيسابوري

أُسد الغابة في معرفة الصحابة .... ابن الأثير الجزري

الإسلام بنظرة عصريّة ....

الإسلام والطبّ الحديث .... عبدالعزيز إسماعيل

الإصحاح ١٨ ....

أعلام الدين .... الحسن بن محمّد الديلمي

إعلام الورى .... الشيخ الطبرسي

أعيان الشيعة .... السيّد محسن الأمين العاملي

أمالي الصدوق .... الشيخ الصدوق

أمالي الطوسي .... الشيخ الطوسي

أمالي المفيد .... الشيخ المفيد

الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب .... جمع من علماء الغرب

الإمام جعفر الصادق .... أحمد مغنية

الأنساب .... السمعاني

الأنوار البهيّة .... الشيخ عبّاس القمّي

بحار الأنوار .... العلّامة المجلسي

تاج العروس .... الزبيدي الحنفي

تاريخ أبي الفداء .... إسماعيل بن علي أبو الفداء

تاريخ الإسلام .... الذهبي

تاريخ بغداد .... الخطيب البغدادي

تاريخ الفلسفة في الإسلام .... ت . ج . دي بور

تاريخ مدينة دمشق .... ابن عساكر الشافعي

تحف العقول .... الشيخ ابن شعبة الحرّاني

تذكرة الحفّاظ .... محمد بن أحمد الذهبي

تذكرة الموضوعات .... الهندي الفتني

التشريع الجنائي في الإسلام ....

التغيير الاجتماعي في البلاد العربيّة وعلاقته بالجريمة ....

تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم .... ابن كثير القرشي الدمشقي

تفسير الرازي = التفسير الكبير .... الفخر الرازي

تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن .... محمّد بن أحمد القرطبي

تفسير الكشّاف .... محمود بن عمر الزمخشري

التوحيد .... الشيخ الصدوق

تهذيب الأحكام .... الشيخ الطوسي

تهذيب التهذيب .... ابن حجر العسقلاني

جامع الأخبار .... الشيخ محمّد بن محمّد السبزواري

جامع السعادات .... الشيخ محمّد مهدي النراقي

الجعفريّات .... محمّد بن محمّد الأشعث الكوفي

حركات الشيعة المتطرّفين .... محمّد جابر عبدالعال

حضارة العرب .... غوستاف لوبون

حلية الأولياء .... أبو نعيم الاصفهاني

حياة الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام .... المؤلّف

حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام .... المؤلّف

حياة الإمام زين العابدين عليه السلام .... المؤلّف

حياة الإمام محمّد جواد عليه السلام .... المؤلّف

الخراج .... أبو يوسف

الخصال .... الشيخ الصدوق

دراسات إسلاميّة .... عبدالمتعال الصعيدي

الدرّ المنثور .... جلال الدين عبدالرحمن السيوطي

الدرّ النظيم يوسف بن حاتم الشامي العاملي

دستور الأخلاق في القرآن ....

الذكرى .... الشهيد الأوّل

ربيع الأبرار .... الزمخشري

رجال الكشّي = اختيار معرفة الرجال .... الشيخ الطوسي

روح الإسلام .... السيّد مير علي الهندي

روح الدين الإسلامي .... عفيف عبدالفتّاح

الروضة البهيّة .... الشهيد الثاني

روضة الواعظين .... الفتّال النيشابوري

الرياض النضرة .... محبّ الدين الطبري

زاد المعاد .... العلّامة المجلسي

سبل الهدى والرشاد .... محمّد بن يوسف الصالحي

سراج الملوك .... أبو بكر الطرطوسي

سفينة البحار .... الشيخ عبّاس القمّي

السنن الكبرى .... البيهقي

سنن الترمذي = جامع الصحيح .... ابن سورة الترمذي

سنن النسائي .... أحمد بن شعيب النسائي

شرح إحقاق الحقّ .... نور الله الشوشتري

شرح الرسالة الذهبيّة .... للمؤلّف

شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد

الشفا بتعريف أحوال المصطفى .... القاضي عيّاض

الشيوعيّة اليوم وغداً .... مجموعة من الكتّاب

الصحاح .... إسماعيل بن حمّاد الجوهري

صحيح ابن حبّان .... ابن حبّان

صحيح ابن خزيمة .... ابن خزيمة

صحيح البخاري .... محمّد بن إسماعيل البخاري

صحيح الترمذي .... محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي

صحيح مسلم .... مسلم بن الحجّاج القشيري النيشابوري

الصحيفة السجّاديّة .... أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام

صفات الشيعة .... الشيخ الصدوق

طبّ الأئمّة .... ابنا بسطام النيسابوريان

الطبقات الكبرى .... محمّد بن سعد الواقدي

العدالة الاجتماعيّة في الإسلام .... سيّد قطب
العقد الفريد .... ابن عبدربّه أحمد بن محمّد الأندلسي
علل الشرائع .... الشيخ الصدوق
العمل وحقوق العامل في الإسلام .... المؤلّف
عوالي اللئالي .... ابن أبي جمهور الاحسائي
عيون أخبار الرضا عليه السلام .... الشيخ الصدوق
عيون الحكم والمواعظ .... الليثي الواسطي
غرر الحكم .... الآمدي
الفتوح .... أحمد بن أعثم الكوفي
فرائد السمطين .... الجويني
الفردوس الأعلى .... الإمام كاشف الغطاء
الفصول المهمّة .... ابن الصبّاغ المالكي
فوائد الثمرات الأُحمديّة في المباحث الاقتصاديّة .... محمّد عفيفي
في النفس والمجتمع ....
فيض القدير (شرح جامع الصغير) .... عبدالرؤوف المناوي
في ظلال القرآن .... سيّد قطب
القاموس المحيط .... الفيروزآبادي
القرآن والطبّ الحديث .... محمّد الخليلي
قرب الإسناد .... أبو العبّاس الحميري
الكافي .... الشيخ الكليني
كشف الغمّة .... أبو الفتح الإربلي
كنز الدقائق .... الشيخ محمّد رضا المشهدي
كنز العمّال .... المتّقي الهندي

كنز الفوائد .... أبو الفتح الكراجكي

الكنى والألقاب .... الشيخ عبّاس القمّي

اللمعة الدمشقيّة .... الشهيد الأوّل

مباني تكملة المنهاج .... السيّد الخوئي

اُلمثل العليا في الإسلام .... الإمام كاشف الغطاء

المجازات النبوية .... الشريف محمّد بن الحسين الرضي

مجمع البيان في تفسير القرآن .... الفضل بن الحسن الطبرسي

مجمع الزوائد .... أبو بكر الهيثميّ

المحاسن .... أحمد بن محمّد بن خالد البرقي

مرآة الزمان .... سبط ابن الجوزي

مستدرك الوسائل .... الميرزا حسين النوري الطبرسي

مستدرك الحاكم .... الحاكم النيسابوري

مسند أحمد .... أحمد بن حنبل الشيباني

مشكاة الأنوار .... الشيخ الطبرسي

مصباح المتهجّد .... الشيخ الكفعمي

المصنّف .... ابن أبي شيبة

المعتبر .... المحقّق الحلّي

معجم الأُدباء .... ياقوت الحموي

المعجم الكبير .... الطبراني

معدن الجواهر .... أبو الفتح الكراجكي

مفاهيم إنسانيّة في كلمات جعفر الصادق .... محمّدجواد مغنية

المفتتح في علم المجتمع .... محمّد نبيل جامع

مقتل الحسين عليه السلام .... الموفّق بن أحمد الخوارزمي

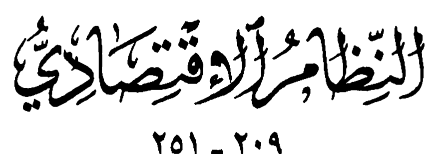
مقدّمة ابن خلدون .... ابن خلدون المغربي
مكارم الأخلاق .... الشيخ الطبرسي
مناقب آل أبي طالب .... ابن شهرآشوب المازندراني
من لا يحضره الفقيه .... الشيخ الصدوق
منهاج الصالحين .... السيّد الحكيم
مواقف حاسمة ....
مواهب الجليل .... محمّد المغربي المعروف بالحطّاب الرعيني
الميزان في تفسير القرآن .... العلّامة الطباطبائي
نزهة الناظر وتنبيه الخاطر .... الحسين بن محمّد الحلواني
النظام التربوي في الإسلام .... المؤلّف
النظام السياسي في الإسلام .... المؤلّف
النظام الشيوعي .... ماهر نسيم
نور البراهين .... السيّد نعمة الله الجزائري
نهج البلاغة .... محمّد عبده
نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة .... العلّامة المحمودي
الوافي .... المحدّث الفيض الكاشاني
وسائل الشيعة .... الشيخ الحرّ العاملي
وفيات الأعيان .... ابن خلّكان
ينابيع المودّة .... القندوزي الحنفي

مُحتويات الكتاب

المجتمع السليم

٥٣ ـ ١٩١

المجتمع المنهار



مناهج الرخاء في الإسلام